أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير:
أ. أيّوب شهوان

أسرة التحرير:
الأب غابي أبو سمرا
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
الأب سمير بشارة
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمانس حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الأرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الأخت باسمة الخوري
الخوري نعمةالله الخوري
الأب لويس الخوند
القس د. عيسى دياب
الأخت ماري-لويز شهوان
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
د. دانيال عيّوش
القس هادي غنطوس
الخوري بولس الفغالي
الأب هادي محفوظ
الخوري أنطوان مخايل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

▪ ▪ ▪

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب. : ٤٤٦ جونيه – لبنان
تلفون : ٠٠٠ ٠٩/٦٠٠
فاكس : ١٠٠ ٠٩/٦٠٠

في هذا العدد

الافتتاحية

بعض لاهوت الرسالة إلى الفيلبيين ـــــــ رئيس التحرير ٢

١– مدخل

الخلفيات التاريخية للرسالة إلى الفيلبّيين ـــــــ الخوري نعمةالله الخوري ... ٧

٢– تفسير نصوص

فل ١: ١–٢، إلى جميع القدّيسين نعمة وسلام ـــــــ الأب أيوب شهوان ١١
فل ١: ١٢–٢٦، بولس في سجن أفسس ـــــــ الخوري بولس الفغالي..... ١٩
فل ١: ٢٧–٣٠، الثبات على النضال في سبيل الإنجيل ـــــــ الأب أنطوان طربيه ٢٧
فل ٢: ١–٤، عيشوا في الوحدة! ـــــــ الأب أنطوان مخايل ٣١
فل ٢: ٦–١١، "وأخلى ذاته": المسيحُ مثالٌ للمؤمنين ـــــــ الأخت دولّي شعيا ٣٧
فل ٢: ١٢، "إعملوا لخلاصكم" ـــــــ الأب جورج خوّام.......... ٤٥
فل ٢: ١٩–٣٠، بولس الرسول ورفاقه في العمل ـــــــ الخوري بولس الفغالي..... ٥١
فل ٣: ١–١١، البرّ والحقّ ـــــــ الأب لويس الخوند ٥٧
فل ٣: ١٢–٤: ١، يسوع وبولس: مَن يُدرك مَن؟ ـــــــ الأب ميلاد الجاويش...... ٦٣
فل ٤: ١٠–٢٠، شكرٌ على إعانة ـــــــ الأب نجم شهوان ٦٩

٣– تفاسير آبائيّة

إعداد الخوري بولس الفغالي:

١– أفرام السريانيّ، على الرسالة إلى أهل فيلبّي ـــــــ ٧٣
٢– يوحنّا الذهبيّ الفمّ، في الرسالة إلى أهل فيلبّي ـــــــ ٧٥
٣– بشرى بن سرّي، في الرسالة إلى فيلبّي ـــــــ ٧١
٤– الرسالة إلى فيلبّي في شروح تفاسير ديونيسيوس برصليبي ـــــــ ٨٥
أبو الفرج عبد الله بن الطيِّب، تفسير رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبّي ـــــــ الأب أيوب شهوان ٨٩

ثمن العدد

في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)

في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الصف الإلكتروني، الإخراج،
فرز الألوان والطباعة:
دكّاش برينتنغ هاوس
عمشيت (لبنان)

العنوان
كلّيّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
فاكس: ٠٩/٦٠٠١٠٠

الافتتاحية

بعض لاهوت الرسالة إلى الفيلبيين

رئيس التحرير

مقدمة

بالرغم من كون الرسالة إلى الفيلبيين قصيرةً نسبيًّا (٤ فصول)، فإنها بالمقابل واحدة من أهم رسائل القديس بولس التي لا جدال حول نسبتها إلى هذا الأخير. بالطبع، عندما نتكلّم على هذه الرسالة نذكر أوّلاً "نشيد المسيح" في ٢: ٦–١١، أقدمَ نشيدٍ مسيحيّ نعرفه، والذي كُتب حوله الكثير الكثير وما زال.

إنّ تحليل المفردات المشتركة بين فل ١–٢ وفل ٣: ٢–١٦ يبيّن أنّ كلاً من هذين النصّين يدعو إلى الاتّضاع، أي إلى التماهي مع المسيح في تنازله حتى قبوله الصليب[١]. قد يجوز أن نؤكّد أنّ الآب السماويّ يَتعرّف على ابنه الحبيب في المؤمن المعمَّد. والمسيحي هو مَن يعيش اتّضاع الصليب، وهذا شرطُ حياةِ جماعةٍ مؤمنةٍ حقًّا، من أجل بلوغ هدف الحياة المسيحيّة، أي التحوّل بالمسيح (٣: ٣–٢٠)، والاشتراك في أبديّته المجيدة.

هناك علاقة في فل بين حكمة العالم وبين رسالة الصليب. لدينا هنا قرابةٌ مع ما في ١ كو ١–٤؛ حيث يؤكّد بولس أنّ المسيح يكشف حكمةَ الله من خلال موته على الصليب. أمّا تلميذُ المسيح فقد صَلَبَ في ذاته حكمةَ العالم كي يتلقّى حكمةَ الصليب.

إضافة إلى نشيد ٢: ٦–١١، تقدّم لنا فل لمحةً نادرةً عن بولس الإنسان، وتُبرزه تحت أضواء ألطف من تلك التي يتبدّى فيها عادة؛ كما أنّها تعكس تفكيرَ بولس في أمور لاهوتيّة هامة، كالتبرير بالإيمان، مثلاً، وغيرها، علمًا أنه نادرًا ما يُستَشهَد بالرسالة إلى الفيلبيين في النقاش حول مسألة التبرير بالإيمان، مع أنها في قلب نداء بولس: "فإنّي لأَحسب كلّ شيء خسرانًا، بالنظر إلى الحصول على معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي من أجله خسرت كلّ شيء، وأحسبه نفايات لأربح المسيح، وأكون فيه، لا برّ لي من الشريعة، بل من الإيمان بالمسيح، برًّا من الله، قائمًا على الإيمان، لكي أعرفه وأعرف قوّة قيامته، والاشتراك في آلامه، مشابهًا إيّاه في موته، لعلّي أبلغ القيامة من بين الأموات" (٣: ٨–١١). كذلك تفكير الرسول حول سجنه وآلامه من أجل الإنجيل (١: ١٢–١٤؛ ٢: ١٧؛ ٤: ١٠–٢٠)، والآلام التي تقاسيها جماعة فيلبي، وما تواجهه من معارضة (١: ٢٧–٣٠؛ ٣: ١٧–٤: ١)، وعلاقة الاثنين بنموذج حياة المسيح كما هي مرسومة في ٢: ٦–١١، كلّ ذلك يسلّط ضوءًا على فهم بولس لمعنى الألم، وعلى مسألة البرّ الذي من الله. في فل، يستضئ الألم بالصليب. إضافة إلى ذلك، تُميّزُ صِيَغ كلمة "نعمة" (χαρις) مفردات فل، وتوفّر فرصةً أخرى لوزن الرسالة اللاهوتي.

كثيرون يحبّون الرسالة إلى الفيلبّيين لأنهم يجدون بولس فيها قريبًا إلى القلب، إن جاز التعبير، وأنه يتفاعل مع كنيسة لم تُطرَح فيها سلطته على بساط البحث، وحيث "إنجيله" لم يتعرّض للهجوم. إنّ ما أثار غضب بولس، ليس مسيحيّو فيلبي، بل "الكلاب"، "العملة الأردياء"، "ذوو قطع اللحم" (٣: ٢). ومع أن فل هي رسالة تحريضيّة، فإنها أيضًا رسالة موجّهة إلى أصدقاء أعزّاء من قِبَل إنسان يحبّهم حبًّا شديدًا، ويُعنَى جدًّا بما يفيدهم.

(١) J.-B. EDART, *L'épître aux Philippiens, Rhétorique et composition stylistique,* Etudes Bibliques, NS 45, Gabalda, Paris, 2002, pp. 326-328.

في فل نشهد وجودَ مثالٍ، ليس فقط على براعة بولس في الكلام على الصداقة، بل أيضًا على اللطف الذي به يتعاطى مع العاملين معه في سبيل الإنجيل: "وقد حسبت من الضروريّ أن أبعث إليكم أبفرديطس أخي ومعاوني ورفيق تجنّدي، رسولكم وخادمَ عَوَزي" (٢: ٢٥ي)، وحتّى مع الذين هدّدوا وحدة الجماعة: "أطلب إلى أفوديا، وأطلب إلى سنتيخا أن تكونا على رأيٍ واحد في الربّ" (٤: ٢). إنّ طابع الرسالة المُهَيمِن هو مُحدَّد بجذرِ كلمة "فرح" (χαρις) التي تَرِدُ مرات عدّة، والتي يمكن نقلها بكلمة "نعمه" أيضًا، أو "حظوة إلهيّة"، لكنّه ليس فرحًا سهلَ المنال لا ألم فيه أو صعوبة، بل، بالأحرى، فرح عميق ينبع من غياهب المعتقل حيث القيود و"السلاسل" (١: ٧، ١٣)، ومن جسد الكنيسة المتألّمة ، حيث إمكانيّة الاستشهاد هي حقيقة ملموسة: "لأنّكم قد أُنعِمَ عليكم من أجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فحسب، بل أن تتألّموا من أجله" (١: ٢٩).

بالإمكان إذًا استخراج بعض الموضوعات الهامّة التي تلفت نظر القارىء المتبحّر في نصوصها، والتي سنستعرض أهمّها.

١- الإنجيل

ندرك تماما أهمية كلمة "إنجيل" (τὸ εὐαγγέλιον)، واستعمالَها المتكرِّرَ في الرسائل البولسية الكبيرة؛ فلقد قال الرسول كلّ ما عنده تقريبًا حول هذه الكلمة في روم ١: ١٦ : "أنا لا أخجل بالإنجيل، لأنه قوة الله لخلاص كلِّ مَن يؤمن"[٢]. إن إعلان الإنجيل هو مَهمَّة بولس الرسوليّة الأغلى[٣].

إذًا، حتى ولو كانت رسالة فيلبّي قصيرة، فإن موضوع "الإنجيل" يتكرر فيها أغلبَ الأحيان، كما نتبيّن ممّا يلي:

- على بولس أن يدافع عن الإنجيل: "جُعِلْتُ للدفاع عن الإنجيل" (١: ١٦)؛
- لا همّ أن يكون أسيرًا، لأن أَسْرَهُ سيتحوّل لصالح الإنجيل: "أريد أن تعلموا، أيها الإخوة، أنّ ما جرى لي قد آلَ بالحريّ إلى نموّ الإنجيل" (١: ١٢).
- وإذا كان الرسول يمدح أهل فيلبي، فليس ذلك بسبب سخائهم فقط، بل أيضًا لأنهم "انحازوا إلى الإنجيل" (١: ٥)، "والدفاع عنه وتثبيته" (١: ٧)، على مثال تيموتاوس، الخادم الأمين لقضيّة الإنجيل:"لأنه خدم معي في سبيل الإنجيل" (٢: ٢٢).
- على المؤمنين أن يجاهدوا لأجل الإنجيل، كما "ناضلت أفوديا وسُنْتِيخا مع بولس في الإنجيل" (٤: ٣)، "فيسيروا سيرة جديرة بإنجيل المسيح" (١: ٢٧)، "ثابتين في روح واحد ومناضلين معًا بقلب واحد في سبيل الإيمان بالإنجيل" (١: ٢٧).
- في ١: ٥ يتكلم الرسول على "مشاركة الفيلبيين في الإنجيل"، بعد أن تقبّلوا البشرى بالإنجيل من بولس ورفاقه، سيلا (أع ١٥: ٤٠)، وتيموتاوس (١٦: ٣)، ولوقا (١٦: ١٠)، وشاركوهم فيها بإيمان، وتألموا معهم بفرح من أجلها (فل ١: ٢٧-٣٠)، ومدّوا يد العون إلى بولس في فاقته أكثر من مرّة (فل ٤: ١٦-١٨؛ ٢ قور ١١: ٨-٩). نشير إلى أن "المشاركة" (κοινωνία) هي لفظة هامّة مميِّزة للعهد الجديد؛ فهناك خاصةً المشاركة في الإنجيل (١: ٥)، وفي الروح القدس (٢: ١)، وفي آلام المسيح (٣: ١٠) وفي الخيور المادية (٤: ١٥). إن المشاركة هي موضوع رسالة كاملة لبولس، كما نقرأ في ١ كور ١: ٩: "أمينٌ هو الله الذي دعاكم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا"؛ وهي تميز الكنيسة الأولى في أورشليم: "وكانوا مواظبين على تعليم الرسل، والمشاركة" (٢: ٤٢).

نلاحظ أنّ الجذر اليوناني κοινων، "شركة"، لا نصادفه إلاّ في مستهلّ الرسالة (κοινωνία في ١: ٥) وفي نهايتها (συγκοινωνήσαντές في ٤: ١٤) حيث الصيغة هي فريدة الرسالة، وهذه الشركة هي دلالة على ما بين بولس والفيلبيين من علاقة وثيقة وشراكة عميقة.

- في ١: ٢٧ يتكلّم بولس على "السيرة الجديرة بإنجيل المسيح". إنّ السيرة هي التطابق مع أسلوب الإنجيل ومع تعاليمه: "نناشدكم أن تسلكوا مسلكًا جديرًا بالله" (١ تس ٢: ١٢؛ رج أيضًا ٢ تس ١: ١١؛ أف ٤: ١؛ قول ١: ١٠). ويشدّد الرسول في الآية عينها (فل ١: ٢٧) على أن يكون أهل فيلبي "مناضلين معه بنفس واحدة في سبيل الإيمان بالإنجيل"؛ فالإنجيل يعني البشرى التي تولّد الإيمان، أو البشرى التي تُقْبَلُ بإيمان.
- في ١: ١٢، يودّ بولس "أن يعلم الإخوةُ أنّ ما جرى له قد آلَ بالحريّ إلى نموّ الإنجيل". هو لا يهتمّ إلاّ بأمر الإنجيل وبخير المؤمنين، ولم يكن يشغله "ما جرى له"، أي القبض عليه وسجنه مقيَّدًا بسلاسل، بانتظار الحكم عليه إمّا بالموت أو بالإطلاق، بل "نموّ الإنجيل". إنّ كلمة "نموّ" (προκοπὴ) في العهد الجديد، والتي تعني أساسًا في الأصل اليوناني "السير إلى الأمام والتقدّم والنمو"[٤]، هي خاصة ببولس الذي يتكلّم على "نموّ الإنجيل" (فل ١: ١٢)، و"نموّ إيمانكم" (١: ٢٥)، الخ.

(٢) Ου γαρ επαισχυνομαι το ευαγγελιον, δυναμις γαρ θεου εστιν εις σωτηριαν παντι τω πιστευοντι

(٣) رج كارلوس مسترز، **بولس العامل المبشّر بالإنجيل**، سلسلة بيبليات، ٦، لبنان ١٩٩٥.

(٤) W. BAUER, *A Greek-English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature* (The University of Chicago Press: Chicago and London 1979).

- في ١: ٧ يتكلّم بولس على "المشاركين في نعمته" (συγκοινωνούς μου τῆς χάριτος)؛ إنّها نعمة التبشير بالإنجيل التي وُهبت للرسل ولبولس، ويشترك فيها مؤمنو فيلبي أيضًا: "مناضلين معي" (١: ٢٧)، و"مجاهدين الجهاد عينه" (١: ٣٠).
- ويتكلّم بولس كذلك في آ ٧ ذاتها على أنّه "في السلاسل والدفاع عن الإنجيل وتثبيته"، مبيّنًا بذلك أنّه كان أبدًا يذهب حتى النهاية في احتمال الآلام من أجل الإنجيل والدفاع عنه وترسيخه.
- ونصل إلى ٤: ٣ حيث يتكلّم الرسول على "أفوديا وسُنْتيخا" (٤: ٢) اللتين "ناضلتا معه في الإنجيل" (٤: ٣)، بالرغم من اختلافهما في ما يتعلّق بالرسالة الإنجيلية.

٢- التبرير بالإيمان

يعرض بولس هذه العقيدة بشكل واسع في رسالته إلى الرومانيين، ويوردها في فل أيضًا بوضوح؛ فهو يضع البرّ الذي من الشريعة ("أنا بلا لوم من حيث البرّ الذي في الشريعة"، ٣: ٦)، وهو البرّ البشريّ البحت ("لا برّ لي من الشريعة"، ٣: ٩)، مقابل البرّ الذي من الله، "المستند إلى الإيمان" (٣: ٩)، والذي يتمّ الحصول عليه بالإيمان بالمسيح: إنه "برّ من الإيمان بالمسيح، برّ من الله، قائم من الإيمان" (٣: ٩).

إنّ الإيمان الذي به يتبرّر الإنسان هو عطيّة النعمة: "لأنّكم قد أُنعِمَ عليكم من أجل المسيح" (١: ٢٩؛ رج ١: ١١)، لأنّ الله هو مَن يُفعّل في الإنسان الإرادةَ والعمل، كما يقول بولس: "لأنّ الله هو العامل فيكم برضاه أن تريدوا وأن تعملوا" (٢: ١٣؛ رج ١: ٦).

لا يمكن المؤمن إذًا أن يتباهى باستحقاقاته، إذ ليس له أيّ سبب لأن "يتباهى" أو "يفتخر" (καυχώμενοι؛ ٣: ٣)، وهذا الفعل نراه يتكرّر غالبًا في روم ("نفتخر في الله أيضًا، بربّنا يسوع المسيح"، ٥: ١١)، وأكثر في ٢ كور ("إنّا لا نفتخر فوق القياس بأتعاب غيرنا"، ١٠: ١٥؛ رج روم ١٥: ٢٠). إنّ الوقوع في تجربة الكبرياء هذه، هو بالنتيجة إزدراءُ صليبِ المسيح: "أولئك يسلكون مسلك الأعداء لصليب المسيح" (٣: ١٨؛ رج غل ٦: ١٢-١٤).

٣- الفرح

إذا كان موضوع "الفرح" لا يغيب أبدًا من رسائل بولس، فإنه يعود بقوّة وبإلحاح في فل، حيث نجد الفعل "فَرِحَ" تسع مرّات، والفعل "فَرِحَ مع" مرّتين، والاسم "فَرَح" خمس مرات. فبولس، وبالرغم من أسره ومن إمكانية استشهاده، يفيض فرحًا عظيمًا، كما نتبيّن من الاستشهادات التالية: "ضارعًا بفرح" (١: ٤)؛ "حسبي أن يُبَشَّر بالمسيح، على كلّ حال، بغرض أو بحقّ: إنّي لأفرح بهذا ولن أزال أفرح" (١: ١٨)؛ "بل لو أنّي أُراق على ذبيحة إيمانكم وخدمته، فلأفرحنّ وأبتجهنّ معكم جميعًا" (٢: ١٧)؛ "إذًا، يا إخوتي أحبّائي، الذين إليهم أَشْدُّ اشتياقي، فرحي وإكليلي، فاثبتوا هكذا في الرب" (٤: ١)؛ "لقد فرحت في الرب فرحًا عظيمًا" (٤: ١٠). لكن الرسول لا يفرح وحده، بل يدعو أهل فيلبي، كما فعل مع مسيحيّي روما (روم ١٢: ١٢، و ٢ كو ١٣: ١١)، إلى أن يفرحوا معه، قائلاً: "وأنتم أيضًا فافرحوا الفرح نفسه، وابتهجوا معي" (٢: ١٨)؛ "وإني لباعثُه (أي أبفرديطس) إليكم عاجلاً حتى تروه، فيعودكم الفرح" (٢: ٢٨)؛ "وبعد، يا إخوتي، فافرحوا بالرب" (٣: ١)؛ "إفرحوا في الرب على الدوام؛ أكرّر: إفرحوا" (٤: ٤). يشكّل الفرح إذًا قلب برهان بولس في فل.

٤ - "الأساقفة (و)الشمامسة" (فل ١: ١)

"الأساقفة (و)الشمامسة" هم مسؤولون في جماعة فيلبي، ومكانتهم هي "مع" (σὺν) المؤمنين، ولا يحتلّون مركزًا يجعلهم "فوق" هؤلاء. يذكرهم بولس هنا بعد أن مدّوه بالمعونة المادية، أو لأنهم مولجون بإيجاد حلٍّ لأزمة ما ضمن الجماعة المذكورة.

إنّ العبارة "مع الأساقفة (و)الشمامسة" (σὺν ἐπισκόποις καὶ διακόνοις) في فل ١: ١ هي غير معتادة؛ فإننا إذا استثنينا الرسائل الراعوية، التي هناك جدلٌ حول أصالتها البولسيّة، فإننا لا نجد أيّ ذكر للأساقفة (ἐπισκόποι) في رسائل بولس الأخرى. أما بالنسبة إلى كلمة "شماس" (διακόνος)، فإن بولس يستعملها تكرارًا، ولكن في معاني متنوعة ليُشير بها إلى مختلف الخدم، بما فيها خدمته هو: "أخدّام للمسيح هم؟" (٢ كو ١١: ٢٣)؛ "الإنجيل الذي صرت خادمًا له" (أف ٣: ٧). يجوز بالتالي أن نتساءل إذا ما كانت الكلمتان "أساقفة" و"شمامسة" في فل ١: ١ تدلاّن على درجتين من السلطة الهرميّة، كما في ١ تيم ٣: ١٣ ("فإنّ الذين يُحسنون الخدمة يُحرزون لأنفسهم مرتبة حسنة")، أو إذا كان المقصود فقط تعبيرًا جاهزًا يدلّ على ذات الأشخاص، والتعبيران لم يكن لهما بَعْدُ المعنى الإداريّ والتقنيّ الذي سيصير لهما لاحقًا.

إنّ هذه الفرضيّة الثانية هي أكثر إمكانية للقبول، كون المفردتين "أساقفة" و"شمامسة" تظهران في ثلاثة نصوص ترقى إلى المسيحيّة الأولى: **الديداكيه** ١٦: ١؛ **رسالة إكليمنضوس إلى الكورنثيين** ٤٢: ٤-٥؛ راعي هرماس، **الرؤى** ٧، ٥، ١)، حيث تدلّ على الأشخاص

ذاتهم[٥]. نلاحظ أيضًا أن الذهبيّ الفم، في تفسيره لفيلبي ١: ١، يُعلن أنّه، في البدء، كان "الأسقف يُدعَى شماسًا"، ممّا يفسّر، كما يقول، "أنه في أيامنا أيضًا الكثير من الأساقفة يكتبون إلى زملائهم في الأسقفية، مستعملين عبارة "شريكي في الرعاية" (copresbytre) أو "شريكي في الشمّاسيّة" (codiacre)، بالرغم من أنه، مع مرور الزمن، نُسب إلى كلّ من الكلمتين معنًى خاصّ بهما.

استناداً إلى أندريه لومير[٦]، إذا قبلنا هذا التفسير، فسيكون مناسبًا ترجمة فل ١: ١، ليس بـ"الأساقفة والشمامسة" بل بـ"الأساقفة الشمامسة"، الأمر الذي يتناسب تمامًا مع النص اليوناني (σὺν ἐπισκόποις καὶ διακόνοις).

ما ينبغي خاصة لحظه هو أنه، في فل ١: ١، يتوجّه بولس أوّلاً إلى الجماعة، ثم إلى الأساقفة (و)الشمامسة؛ ليس لهؤلاء علّة وجود إلاّ خدمة الكنيسة المحليّة وبارتباط بها.

٥- اتحاد بالمسيح

يعبّر بولس عن شهوته القويّة، هو المأخوذ بلا حدود بالمسيح، "لأنّ المسيح يسوع أدركه" (٣: ١٢)، أن يترك هذه الحياة الأرضيّة ليكون أبدًا مع الرب: "أشتهي أن أنحلّ وأكون مع المسيح" (١: ٢٣؛ رج ٢ كور ٥: ٦-٩؛ ٢ تيم ٤: ٦). لكن، بانتظار هذا الموعد النهائيّ، يواصل السعيَ: "أسعى لعلّي أُدرِك" (٣: ١٢)؛ "أنسى ما ورائي وأمتدّ إلى ما أمامي، ساعيًا نحو الهدف" (٣: ١٣-١٤).

وباستطاعة بولس أن يقول منذ الآن: "الحياة لي هي المسيح" (١: ٢١). لا قيمة لأيّ شيء خارجًا عن مَن كرّس له بولسُ حياتَه كلّها، وهو يبغي أن يربح مهما كان الثمن: "لكن كلّ هذه الأمور التي كانت لي أرباحًا، حسبتها من أجل المسيح خسرانًا، بل أكثر، فإني لأَحسبُ كلَّ شيءٍ خسرانًا، بالنظر إلى الحصول على معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي من أجله خسرت كلَّ شيء، وأحسبه نفايات لأربح المسيح" (٣: ٧-٨).

يهمّه قليلاً أن يحيا أو أن يموت، لأن المسيح سيتمجّد: "سيتمجّد المسيح في جسدي" (١: ٢١). هذا ما يفسّر مواجهته المحن بثقة بالنفس، لأنه قادر على كلّ شيء بالذي وشّحه بالقوة: "إنّي أستطيع كلّ شيء بالذي يقوّيني" (٤: ١٣؛ رج ٢ كور ١٢: ٩-١٠؛ ٢ تيم ٤: ١٧؛ كول ١: ١١، ٢٩). هو متأهّب لأن يسفك دمه: "بل لو أني أُراق على ذبيحة إيمانكم وخدمته، فلأفرحنّ وأبتهجنّ معكم جميعًا" (٢: ١٧)، ولأن يعيش سرَّ يسوعَ الفصحيّ، أي أن يُضحيَ شبيهًا به في موته كي يبلغ إلى القيامة من بين الأموات (٣: ١٠-١١).

وبكل ثقة، ينتظر بولس من السماء "الربّ يسوع المسيح مخلّصنا" (٣: ٢٠) الذي "يغيّر جسد ضعفنا، فيجعله على صورة جسد مجده" (٣: ٢١).

يتكلّم بولس مرّات عدّة في رسائله الأولى على المجيء، ونجد ذلك أيضًا في فيلبي: "لكي تكونوا أنقياء وبغير عثار إلى يوم المسيح" (١: ١٠)؛ "لفخري في يوم المسيح" (٢: ١٦)؛ "أمّا نحن فمدينتنا في السماوات، منها ننتظر الربَّ يسوع المسيح مخلّصنا" (٣: ٢٠)؛ "الربّ قريب" (٤: ٥).

ويشدّد الرسول تكرارًا على الحميمية مع المسيح بعبارة "في المسيح"، أو "في المسيح يسوع"، أو "في الربّ". فعلى مثال بولس الذي يضع في المسيح وحده افتخاره (١: ٢٦) ورجاءه (٢: ٢٤)، الفيلبيون هم "في المسيح يسوع" (١: ١)؛ لذا ينبغي أن "يثبتوا في المسيح" أو "في الرب" (٤: ١)، ويقبلوا الإخوة (٢: ٢٩)، ويعيشوا بفهم جيّد (٤: ٢)، ويفرحوا (٣: ١؛ ٤: ٤)، ويبشروا بالإنجيل (١: ١٤)، ويتلقّوا السلام وعطايا الله الأخرى (٤: ١؛ ٤: ١٩).

باتحاد الفيلبيين بالمسيح، لكونهم "فيه"، لا يمكنهم إلاّ أن يكونوا متّحدين بعضهم ببعض بقوّة[٧]. لقد تقسّم أهل فيلبي على بعضهم بسبب الأنانية والعُجْب بالذات، لهذا يدعوهم بولس إلى أن يبدّلوا سلوكهم وطرقهم، وأن يكونوا في خدمة بعضهم البعض في التواضع كما خدمهم المسيح (٢: ١-١١). حتى ولو لم تكن جماعة فيلبي منقسمة كجماعة كورنتس (١ كور ١: ١٠-١٢)، يشعر بولس بالحاجة إلى أن يشدّد على الوحدة الضرورية بين الجميع (١: ٢٧؛ ٢: ٢-٤؛ ٤: ٢) بتعابير قريبة من تعابير الرسائل الكبرى (رج روم ١٢: ١٦؛ ١٥: ٥؛ ٢ كور ١٣: ١١). نتبيّن هذا التشديد خاصةً من الاستعمالات العديدة لحرف الجر "مع"، منفردًا أو مركّبًا مع أفعال معيّنة (١: ٢٧؛ ٢: ١٧، ١٨؛ ٣: ١٠؛ ٤: ٣) أو مع أسماء (٢: ٢، ٢٥؛ ٣: ٢١؛ ٤: ٣). من أجل أن يحثّ بولس الفيلبيين على التفاهم وعلى الاتضاع الذي يشكّل شرطًا للتفاهم، يقترح عليهم أن يتأمّلوا مَثَلَ المسيح، الذي يعبّر نشيد ٢: ٦-١١ عمّا هو جوهريّ في هذا المجال. من خلال

---

(٥) بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي**، سلسلة محطات كتابية ٤، ١٩٩٦، ص ٣٩.

(٦) A. LEMAIRE, *Les ministères aux origines de l'Eglise*, Cerf, 1971, p. 100.

(٧) D. A. BLACK, " Paul and Christian Unity: A Formal Analysis of Philippians 2 : 1-4 ", *Journal of the Evangelical Theological Society* 28 (1985) 299-308.

هذا النشيد هو يعالج روح التحزّب، والنزعة الجامحة إلى تحقيق الطموحات الشخصية، واتّباع الآراء الفارغة أو الفاسدة، والاهتمام بالأمور الشخصية والخاصة، مقابل إهمال تلك العائدة إلى الجماعة. سيكون بولس سعيدًا إذا توصّل الفيلبيون إلى أن تقوم في ما بينهم علاقات تتميّز بالصدق والخلاص المتبادلَين، وذلك لخيرهم ومن أجل شهادة لا لوم فيها أما الناس (٢: ١٢-١٨) تليق بإنجيل المسيح:

"أتمّموا فرحي بأن تكونوا فكرًا واحدًا، وتكون لكم محبة واحدة، وتكونوا نفسًا واحدةً، مفكّرين فكرًا واحدًا".

لا تفعلوا شيئًا بتحزّب أو بعُجْب، بل بتواضع، حاسبين الآخرين أفضل منكم. لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل إلى ما هو للآخرين" (٢: ٢-٤).

خاتمة

ممّا تقدّم يمكننا أن نستنتج أن الرسالة إلى أهل فيلبي تتميّز بكونها فيضًا عفويًّا ملؤه الحنان والعاطفة، أكثر منها عرضًا عقائديًّا متينَ البنية. فباستثناء نشيد المسيح في ٢: ٦-١١، لا نجد في هذه الرسالة مطوّلات عقائديّة كالتي في الرسائل إلى الرومانيين والكولوسيين والأفسسيّين. وتبقى مسألة الوحدة هَمَّ بولس الرئيسيَّ، لأنها ضمانة للمشاركة في إعلان إنجيل المسيح يسوع، وما يعوز الفيلبيين ليحقّقوها هو أن يجعلوا حياتهم مطابقة لحياة يسوع الذي تواضع وأخلى ذاته. لذا، تُعتَبَر الرسالة إلى الفيلبيّين غذاءً عظيمًا لإيمان أبناء الكنيسة.

مراجع

الفغالي بولس، **رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي**، سلسلة محطات كتابية ٤، ١٩٩٦.

الفغالي بولس، "بنية الرسالة إلى فيلبي"، مجموعة محاضرين، **بولس ورسائله**، سلسلة دراسات بيبلية ٢٤، ٢٠٠١، ص ٣٩٦-٤١٦.

كارلوس مسترز، **بولس العامل المبشّر بالإنجيل**، سلسلة بيبليات، ٦، لبنان ١٩٩٥.

BLACK D. A., " Paul and Christian Unity: A Formal Analysis of Philippians 2: 1-4 ", *Journal of the Evangelical Theological Society* 28 (1985) 299-308.

DORNIER Pierre et CARREZ Maurice, " L'épître aux Philippiens ", in AAVV, *Lettres de Paul, de Jacques, Pierre et* Jude, coll. PBSB, NT 3, Desclée 1983, pp. 170-191.

LEMAIRE A., *Les ministères aux origines de l'Eglise*, Cerf, 1971.

LEGASSE S., *L'épître aux Philippiens*, Cahiers Evangile, n. 33, 1980.

MURPHY-O'CONNOR J., " Philippiens (Epître aux) ", *Supplément au Dictionnaire de la Bible*, t. 7, col. 1211-1233, Letouzey, Paris, 1965.

الخلفيات التاريخية للرسالة إلى الفيلبيّين

الخوري نعمة اللّه الخوري
دكتور في لاهوت الكتاب المقدّس

مقدمة

كتب بولس رسالته الى أهل فيلبي وضمّنها عواطفه الحميمة ومحبّته التي يُظهرها إلى مراسليه الأعزاء على قلبه. لا يعرض الرسول في هذه الرسالة الخطوط العريضة لتعليمه كما فعل في الرسائل الكبرى، بل يكتفي بالتوجّه إليهم ببساطة ويكتب إليهم بمحبته الأبوية. سنتعرّف إلى هذه الرسالة من خلال إلقاء الضوء على تأسيس مدينة فيلبي، وكيفية إنشاء كنيستها بحسب كتاب الأعمال، ثمّ نشير إلى دور النساء، وظروف هذه الكنيسة، لنتطرّق بعد ذلك إلى مكان وزمان تدوينها.

أولا: مدينة فيلبي

بنى فيلبس الثاني، ملك مقدونية ووالد الإسكندر الكبير، مدينة فيلبي سنة ٣٥٨ ق.م.، وسمّاها على اسمه؛ اهتمّ الرومان بها بسبب موقعها الجغرافي؛ فالطريق الأغناطية التي تربط الشرق بالغرب كانت تمرّ فيها. سيطر الرومان على مقاطعة مقدونية عام ١٦٩ ق.م.، وأضحت فيلبي تحت السيطرة ذاتها؛ في تلك الحقبة، حدثت حروب داخلية هزّت الإمبراطورية الرومانية، وجرت معركة في سهل فيلبي عام ٤٢ ق.م.، انتصر فيها أوكتافيوس وأنطونيوس على قاتلي يوليوس قيصر؛ وبعد المعركة حوّل أنطونيوس المدينة إلى مستوطنة (أع ١٦: ١٢)، لذلك يكون المولود فيها مواطنًا رومانيًا. سكن قدامى الجيش الروماني وعدد من المهاجرين من إيطاليا في فيلبي، فأضحت المدينة تضمّ مزيجًا متعدّدًا من السكان، وهذا يعني أنه كانت توجد فيها ديانات وعبادات مختلفة حين وصل إليها بولس ورفيقه لأول مرة. لا شك أنّ أنقاض المدينة حاليًا تدلّ على المجد الذي عرفته في أوج عظمتها.

ثانيا: تأسيس كنيسة فيلبي استنادًا إلى كتاب الأعمال

يخبرنا كتاب أعمال الرسل أنّ بولس بشّر كنيسة فيلبي حين مرّ بها في رحلته الرسولية الثانية في نهاية عام ٤٩ أو بداية عام ٥٠، وأقام هناك فترة وجيزة من الزمن؛ ترك الرسول ورفيقه سيلا آسيا وقصدا مقدونية إثر رؤية ليلية يقول فيها رجل مقدونيّ لبولس: "أعبر إلى مقدونية وأغثنا" (أع ١٦: ٩)، وكان عليهما أن يمرّا بمدينة فيلبي، وهكذا وصل الإنجيل إلى أولى المدن الأوروبية.

كانت بداية البشارة في فيلبي ناجحة ومثمرة، فتوجّه بولس إلى اليهود الذين كانوا يُشكّلون نسبة ضئيلة جدًا من السكان حيث لم يتجاوز عددهم العشرة، والبرهان على ذلك أنهم لم يبنوا مجمعًا بل كانوا يصلّون، يوم السبت، خارج المدينة قرب النهر، وهناك بشّرهم الرسول (أع ١٦: ١٣). لكنّ إقامة بولس في فيلبي انتهت بطريقة مأساوية لأنّ حكّام المدينة قبضوا عليه ورفيقه بعد أن أخرج الرسول روح عرّاف من امرأة جارية كانت تسير وراءهما، لأنّ

أسيادها كانوا يكسبون بسببها مالاً كثيرًا (أع ١٦: ١٦-١٨)؛ بعد خروج السجينين في الصباح من السجن بطريقة عجائبية اضطرًا إلى مغادرة المدينة.

تعدّدت زيارات الرسول إلى هذه المدينة، فمرّ بها ثانية في رحلته الرسولية الثالثة (١ كور ١٦: ٥؛ ٢ كور ٢: ١٣؛ ٧: ٥)، وقصدها للمرة الثالثة قبل توجّهه إلى أورشليم حيث وقع أسيرًا في قيصرية (أع ٢٠: ٦).

ثالثا: موقع النساء في مدينة فيلبي

لعبت النسوة دورًا ملحوظًا في كنيسة فيلبي، ونستطيع التعرّف إلى نشاطهنّ الرسولي استنادًا إلى كتاب الأعمال أو إلى الرسالة نفسها.

يؤكّد كاتب الأعمال أنّ أوّل مرتدّة إلى الإيمان في فيلبي هي امرأة اسمها ليديا (أع ١٦: ١٤)، آمنت بالبشارة الجديدة، فاعتمدت مع أهل بيتها، واستقبلت الرسولَين والمؤمنين في بيتها الذي أضحى كنيسة يجتمع فيه المؤمنون للصلاة. يبدو أنّ هذه المرأة كانت تجتمع مع عدة نسوة قرب ضفّة نهر، وهذه المجموعة من النسوة هي التي استمعت إلى بولس في أوّل نشاط تبشيريّ قام به في فيلبي. لا ندري لماذا امتنع بولس عن ذكر اسم ليديا في رسالته، إلى أهل فيلبي، في حين أنّ كتاب الأعمال يشدّد على دورها الأساسي في البشارة.

من ناحية أخرى، لم يهتمّ بولس في رسالته بذكر الجارية العرّافة التي يخبرنا كتاب الأعمال بوضوح أنها كانت تسير خلف بولس ورفيقه وهي تصيح: "هؤلاء الرجال هم عبيد الله العلي، يبشّرونكم بطريق الخلاص (أع ١٦: ١٧).

حين ختم بولس رسالته إلى أهل فيلبي، طلب من أفودية وسنتيخي أن تكونا على اتفاق في الرب (٤: ٢)، ولا يعطينا تفاصيل إضافية توضح دور تلك المرأتين؛ اسمهما متداول بكثافة عند اليونان، فاسم أفودية يعني "الطريق السهلة"، في حين أن اسم سنتيخي يعني "اللقاء". جاهدت تلك المرأتان مع بولس أثناء تبشيره فيلبي، ولكنّهما الآن بحاجة إلى وسيط يوفّق بينهما، لذلك يطلب الرسول من "صاحبه المخلص" (٤: ٣) أن يساعدهما لأنهما تستحقان العناية بسبب دورهما الإيجابي أثناء تأسيس كنيسة فيلبي.

رابعًا: ظروف كنيسة فيلبي استنادًا الى الرسالة

بعد رحيل الرسول عن فيلبي، ظلّ أهلها متعلّقين به؛ وحين عرفوا بوقوعه أسيرًا جمعوا المساعدات وأرسلوها مع أبفرديطس، فقبلها الرسول المسجون (٢: ٢٥- ٢٦)، مع أنه امتنع من قبول المساعدات التي قدّمتها الكنائس الأخرى، لأنه ما أراد ان يُثقّل على أحد (٢ كور ١١: ٧؛ ١ تس ٢: ٩)، وبمناسبة هذه الهبات كتب رسالته إليهم.

عرفت كنيسة فيلبي في غياب الرسول بعض الصعوبات والمشاكل؛ ويقول بولس في هذا الشأن:" أتمّوا فرحي بأن تكونوا على رأي واحد... لا تفعلوا شيئًا بدافع المنافسة أو العجب، بل على كلٍ منكم أن يتواضع ويعدّ غيره أفضل منه" (٢: ٢- ٣)، وهذه إشارة إلى وجود تنافس ومزاحمات داخل الجماعة.

تشير الرسالة إلى خصوم بولس (١: ٢٨) الذين يسمّيهم «الكلاب» و«العَمَلة الأشرار» (٣: ٢)، ويحذّر أهل فيلبي منهم لأنهم يعتمدون على الأمور البشرية، في حين أن الرسول يفتخر بالمسيح؛ يبدو أن هؤلاء الخصوم هم مسيحيون من أصل يهودي، لأن الرسول أثار موضوع الختان (٣: ٣) في معرض حديثه عنهم، فيتّهمهم أنهم يعتبرون أنفسهم كنماذج يجب الاقتداء بها، في حين أن بولس يقتدي بنموذج صليب المسيح (٣: ١٠). ربما طلب هؤلاء المتهودون من أهل فيلبي أن يختتنوا قبل دخولهم إلى المسيحية؛ وقد عرفت الكنائس الأولى هذه المشكلة، لاسيما في غلاطية، لذلك يؤكّد الرسول أنه فريسي، أصله عبراني، وقد اختتن في اليوم الثامن، وهو من سبط بنيامين (٣: ٥).

خامسًا: مكان وزمان تدوين الرسالة

كتب بولس رسالته الى أهل فيلبي حين كان مسجونًا، وهو يلمّح فيها مرّات عديدة إلى قيوده (١: ٧، ١٣–١٤، ١٧)؛ أين كان بولس مسجونًا حين دوّن الرسالة إلى فيلبي؟ يخبرنا كتاب الأعمال أنّ بولس، إضافة إلى سجنه في فيلبي، وقع في الأسر في قيصرية فلسطين (أع ٢٣: ٣٣–٢٦: ٣٢) وفي روما (أع ٢٨: ١٦–٣١).

لا يمكننا أن نقبل باحتمال تدوين الرسالة أثناء أسر قيصرية الذي حدث حوالى العام ٥٩، لأنّ الرسالة تفترض وجود مراسلات متكرّرة بين الرسول وأهل المدينة؛ علم هؤلاء بأسره، فأرسلوا إليه المساعدات مع أبفرديطس، ثمّ مرض هذا الأخير وأشرف على الموت حين كان يهتمّ بالرسول المسجون، فطلب بولس من أهل فيلبي أن يتقبّلوه بفرح ليبعدوا عنه المرض؛ هذه الاتصالات المتكرّرة تفترض أن يكون بولس مسجونًا في مكان قريب نسبيًا من فيلبي، وبالتالي من المستبعد أن تكون قيصرية الواقعة في فلسطين مكانًا محتملاً لتدوين الرسالة.

من ناحية أخرى، تظهر في الرسالة عدة إشارات تساعد على الاعتقاد أنها دُوّنت حين كان بولس مسجونًا في روما؛ يؤكّد الرسول في ١: ١٣ أنّ قيوده صارت معروفة في دار الولاية (بريتوريون) وهي كلمة ترتبط بالسلطات الرومانية، وقد استعملها العهد الجديد (مر ١٥: ١٦؛ مت ٢٧: ٢٧؛ يو ١٨: ٢٨، ٣٣)؛ كذلك يشير بولس في فل ٤: ٢٢ إلى خدم قيصر الذين يرسلون سلامهم إلى أهل فيلبي؛ هذه المعطيات تدفع الشراح إلى الاعتقاد أن الرسالة دُوّنت في روما حين وصل الرسول إلى هناك بين العامين ٦١ و٦٢، ولكنّ الصعوبة لا تزال قائمة لأن روما تبعد حوالى ١٣٠٠ كلم عن مدينة فيلبي (مسيرة أربعة أو خمسة أسابيع)، وهذا يعني أن الاتصالات المتلاحقة والمتكررة بين الرسول ومراسليه هي غير ممكنة إذا كان الرسول مسجونًا في روما. ولا بد من الإشارة إلى أنّ الرسول يؤكّد في روم ١٥: ٢٣–٢٤ أنه ينوي الذهاب إلى إسبانيا بعد مروره في روما، وهذا يتعارض مع ما قاله الرسول في رسالته إلى فيلبي، إنه سيأتي شخصيًا ليزور هذه المدينة بعد نجاته من السجن (٢: ٢٤).

اقترح دايسمان عام ١٨٩٧ نظرية تدوين الرسالة إلى فيلبي حين كان بولس مسجونًا في أفسس؛ وبالفعل يلمّح بولس مرارًا عديدة إلى وقوعه في السجن قبل أسره في قيصرية وروما ويمكننا أن نعتبر، في هذا الإطار، أن ٢ كور ٦: ٥؛ ١١: ٢٣؛ روم ١٦: ٧ هي إشارات بعيدة تلمّح إلى أسر بولس. فلقد عانى الكثير أثناء إقامته في أفسس حيث صارع الوحوش (١ كور ١٥: ٣٢)، ودفعته الاضطهادات المتلاحقة هناك إلى اليأس وعدم الرغبة في البقاء على قيد الحياة (٢ كور ١: ٣–٨).

يميل العديد من الشراح اليوم إلى الاعتقاد أن بولس دوّن رسالته إلى أهل فيلبي حين كان في أفسس القريبة من تلك المدينة والتي تبعد عنها مسيرة ثمانية أيام، وهذا يسهّل المراسلات بين بولس وأهل المدينة. كذلك نلاحظ تقاربًا لاهوتيًا بين تعليم فيلبي وتعليم الرسائل الكبرى، وبخاصة ٢ كور، وهذا يعني أن بولس دوّن فيلبي قبل هذه الرسائل (عام ٥٣–٥٤) أو بعدها (٥٦–٥٧).

خاتمة

رافق الألم والاضطهاد إقامة بولس الأولى في فيلبي، لذلك يُخبر الرسول التسالونيكيّين بشأن آلامه في فيلبي (١ تس ٢: ٢)، ويذكّر أهل فيلبي، في رسالته إليهم، أنّهم رأوا بأعينهم الاضطهاد الذي لحق به حين كان بينهم (فل ١: ٣٠)؛ يحمل بولس صليب المسيح في مهمته الرسولية، ويرفعه أمام المؤمنين ليحملوه في حياتهم اليومية، ويؤكّد أمام أهل فيلبي في ٢: ١٧ أنه يفرح إذا اقتضى الأمر أن يراق دمه ذبيحة مقرّبة في سبيل إيمانهم.

SACRA PAGINA
Daniel J. Harrington, S.J., Editor
PHILIPPIANS
& PHILEMON
Bonnie B. Thurston and Judith M. Ryan

ÉTUDES BIBLIQUES
(Nouvelle série N° 45)
L'ÉPÎTRE AUX PHILIPPIENS,
RHÉTORIQUE ET COMPOSITION STYLISTIQUE
par
Jean-Baptiste EDART
PARIS
J. GABALDA et C^ie, Éditeurs
RUE PIERRE ET MARIE CURIE, 18
2002

EPWORTH COMMENTARIES
The Epistle to the
PHILIPPIANS
Howard Marshall

COMMENTAIRE DE L'EPITRE
AUX PHILIPPIENS
KARL
BARTH
LABOR
ET FIDES

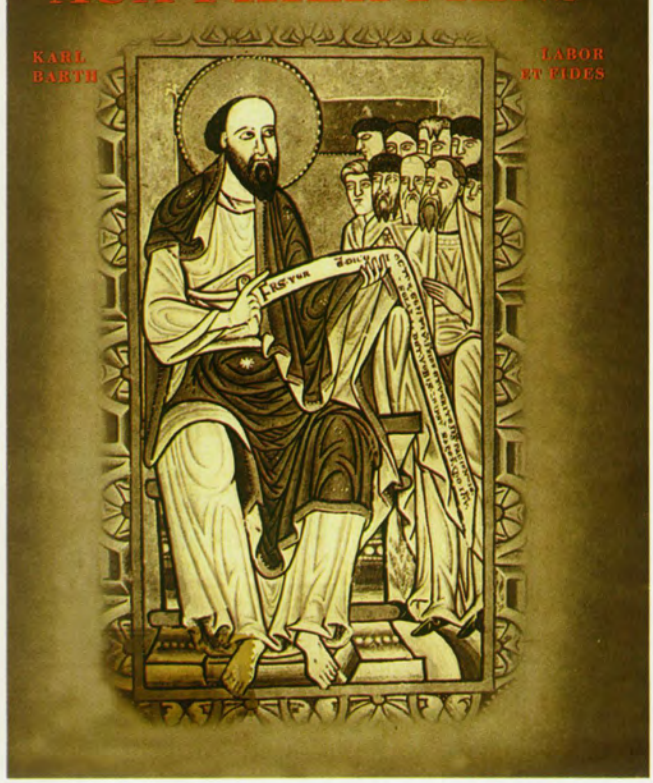

فل ١: ١-٢

إلى جميع القدّيسين نعمة وسلام

الأب د. أيوب شهوان

أستاذ مادة الكتاب المقدّس في جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدمة

يُثير سلامُ بولس في مستهل الرسالة (فل ١: ١-٢) اهتمامَ قارئيه وسامعيه، كونه يطبّق مقوّماتِ التحيّة ومكوّناتِها، التي تُستَهَلّ بها عادةً رسالةٌ ما[١]. إنّ الآيتين ١-٢ هما بشكل جَليّ عنوانٌ رسائليّ، وانطلاقًا من هذا المنظار يجب أن تُفهَم دلالاتُ الصُوَرِ المتضمّنةِ فيهما. لا يُدرجُ بولسُ في آ١-٢ برهانًا، بل سلامًا هو بالتأكيد ذو مفعولٍ في نفوس الفيلبيين.

١- فل ١: ١-٢: التحية

تَتبَعُ فل ١: ١-٢ الصيغةَ المعتادة للتحيات في الرسائل اليونانية والرومانية، التي ترمي إلى إرساء روابط الصداقة والمودّة بين المرسَل منه والمرسَل إليه، وإلى تحريك نوع من المشاعر المُحَبَّبَة لدى هذا الأخير. في رسائل بولس، تضفي التحياتُ الاستهلاليّةُ غالبًا تعبيرًا مرهفًا على ما يتبع في الرسالة، وهذا هو الحال في فل ١: ١-٢[٢].

إنّ التحية التي في فل ١: ٢ هي ذاتها في روم؛ ١ كو؛ ٢ كو؛ غل؛ أف؛ وهناك صيغة أبسط في ١ و٢ تس، وتعبّر عن الأمنية بأن تكون الموهبتان السماويّتان، أي "النعمة والسلام"، مع الذين سيتَلَقّون الرسالة. "النعمة" هي عطيّة من الله، يهبها بنوع خاص للشعب الخاطئ؛ يرفع بولس الشكر والصلوات من أجل عمل النعمة في مسيحيّي فيلبّي. أمّا "السلام" فهو العلاقة الإيجابيّة بين الله وبين الخطأة الذين نالوا المغفرة وينعمون ببركاته؛ مصدر هذه الأخيرة هما اثنان: هناك أوّلاً "الله"، الذي هو "أبونا"، وهي تسمية نادرة في العهد القديم، ولكنّ هذا لا يعني أنها غير معروفة، وَتضاعَفَ استعمالها لدى التيار اليهودي (judaïsme)؛ وهناك ثانيًا "الربّ يسوع المسيح" الذي يُذكَر إلى جانب "الآب" كمصدر نِعَمٍ كهذه.

٢- التفسير

تتكوّن الآيتان ١-٢ من مجموعة جُمل موزّعة على الوجه التالي:

- بولس وتيموتاوس
(Παῦλος καὶ Τιμόθεος)
- عبدَي يسوع المسيح
(δοῦλοι Χριστοῦ Ἰησοῦ)
- إلى جميع القديسين
(πᾶσιν τοῖς ἁγίοις ἐν Χριστῷ Ἰησου)
- الذين في فيلبي
(τοῖς οὖσιν ἐν Φιλίπποις)

(١) J.T. REED, *A Discourse Analysis of Philippians, Method and Rhetoric in the Debate over Literary Integrity* (JSNT Sup 136, Sheffield, 1997) 181.

(٢) Ernst BEST, " Bishops and Deacons: Philippians 1:1 ", in F.L Cross, ed., *Studia Evangelica* IV 1, Berlin: Akademie, 1968, 371-376.

- مع الأساقفةِ الشمامسةِ
(σὺν ἐπισκόποις καὶ διακόνοις)
- نعمةٌ لكم وسلام
(χάρις ὑμῖν καὶ εἰρήνη)
- من الله أبينا
(ἀπὸ θεοῦ πατρὸς ἡμῶν)
- والربّ يسوع المسيح
(καὶ κυρίου Ἰησοῦ Χριστοῦ)

يلاحظ القارئ في هاتين الآيتين تراكمَ الأوصاف التي تُسبَغُ على واضع الرسالة كما أيضًا على الذين يتلقّونها، ممّا يضفي على النصّ رونقًا خاصًا وطابعًا احتفاليًا.

هناك عبارتان ذات مدلول في المقطع، هما:

ἐπισκόποις καὶ διακόνοις،

وهي فريدة رسائل بولس؛

و δοῦλοι Χριστοῦ Ἰησοῦ،

"عبدَي المسيح يسوع"، لا نصادفها إلاّ في روم ١: ١.

وتَلْفُتُ انتباهَ القارىء أيضًا صورةُ "العبد" (δοῦλος) التي تُضاف إليها كلمة "المسيح" (Χριστοῦ)، فتحدّد هكذا هويّة "العبد" المقصود.

سنحاول في ما يلي تحليل الآيتَين، وتبيان معانيهما، واستخلاص مضمونهما.

آ ١أ: "من بولس وتيموتاوس عبدَي المسيح يسوع"

أ – من بولس

يحذف بولس في فل ١: ١ الإشارة إلى سلطته هو، أي إلى "رسوليّته"، التي يُدرجها غالبًا في مُستهلّ تحيّاته (رج روم؛ ١ و٢ كو؛ غل)، لأنّ تأكيدًا على السلطة هنا قد يكون في غير محلّه. في رسالةٍ يحتلّ فيها موضوع الاتّضاع موقعًا رائدًا (أنظر مثلاً ٢: ٥–٨، ١٩–٢٠، ٣٠)، يبدأ بولس بالتشديد على اتّضاعه الشخصي، مؤكّدًا أنه وتيموتاوس "عبدان"، وهذا أدنى ما يمكن من وجهة النظر الدنيويّة، لكن الأعظم من وجهة نظر الجماعة المسيحيّة (رج مر ١٠: ٤٤). قد يعطي هذا الأمرُ فكرةً عن سبب تخصيص "الأساقفة (و)الشمامسة" بذكرهم دون سواهم من حاملي المسؤوليات في هذه الرسالة[٣].

في الواقع، خارج الرسائل الراعوية، نجد القليل من الإشارات إلى الخدمة الكنسيّة، لأنّ بولس يفضّل الكلام على "مواهب الخدمة" (رج روم ١٢: ٣–٨ أو ١كو ١٢: ١–٣١). فعندما يقول عن ذاته وعن تيموتاوس إنهما "خادمان" أو "عبدان"، فهو يرمي على الأرجح من خلال ذلك إلى توبيخ أولئك الذين يظنّون أن "الأدوار ذات الألقاب" هي هامّة في الخدمة. يتعجّب القارئ، مثلاً، من أنّها ليست مُدرَجَة في ٤: ١٠–٢٠ عندما يشكر الجماعة على دعمها. هل هذا لأن بولس يشجب الذين يشدّدون على كرامة خدمتهم؟ بالتأكيد، إنّ استعمال كلمة "عَبدَي" (δουλοι) هو للتقديم لموضوعَي التألّم[٤] والخدمة اللذين سَيَلِيَان في توسيع الرسالة.

ب – "تيموتاوس"

يذكر بولس بانتظام في تحيّاته مرسَلين آخرين إلى جانبه، حتى وإن بدا أنه يكتب بمفرده وباسمه الشخصيّ في باقي الرسالة. رفيقه هنا هو "تيموتاوس" الذي يَرِدُ اسمُه في كلّ رسالة حرّرها بولس عندما كانَا معًا (١ تس؛ ٢ تس؛ ٢ كو؛ غل؛ فلم). في كلّ حال، هو كان معروفًا لدى مُتَلَقّيّ الرسالة من خلال زيارته لتلك الكنسة.

يرى البعض أنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار وجود شريك لبولس في تحرير الرسائل[٥]، كتيموتاوس في الرسالة إلى الفيلبّيين، مثلاً؛ ولكن هنا يُطرح السؤال: هل كان تيموتاوس أكثر من رفيق لبولس أو حتى من معاون له[٦]؟ من الصعب الجزم في

(٣) Randolph RICHARDS, *The Secretary in the Letters of Paul*, WUNT 2nd ser. 42, Tübingen: J.C.B Mohr (Paul Siebeck), 1991.
(٤) Gregory BLOOMQUIST, *The Function of Suffering in Philippians*, JSNTS 78, Sheffield: Sheffield Academic Press, 1993.
(٥) Jerome MURPHY-O'CONNOR, *Paul the Letter-Writer*, Collegeville Liturgical Press, 1995.
(٦) Terence Y. MULLINS, " Greeting as a New Testament Form ", *JBL* 87 (1968) 418-426.

الأمر، ولكن يمكن أن نتصوّر كيف كان يشعر عند ذكر ٢: ١٩-٢٤ أنه موضوع مديح كبير من قِبَل بولس الذي يقول: "لا أحد لي مثله" (٢: ٢٠)، وأنه قدوة في السلوك الذي يحثّ بولس الفيلبيّين عليه (٢: ٤، ٢٠-٢١).

وبالرغم من أنّ بولس لا يشير إلى تيموتاوس إطلاقًا على أنه رسول (رج ٢ كو ١: ١)، فإنّه هنا يضعه إلى جانبه كـ"خادم المسيح يسوع". بهذه الطريقة هو يقول للكنيسة إنّ تيموتاوس يقاسمه السلطان. فهو معاون بولس في عمل البشارة، وشريكه في تحرير عدة رسائل (رج ٢ كو ١: ١؛ كول ١: ١؛ ١ تس ١: ١؛ ٢ تس ١: ١؛ فلم ١، ونراه عاملاً بشكل جليّ في فيلبّي (٢: ١٩-٢٤).

ج - "عبد المسيح"

إن أرفع شرف لأعلى الخدام في الجماعة المؤمنة هو أن يكونوا "عبيد" المسيح يسوع. لذلك، وباستثناء ١ و٢ تس، يصف بولس ذاته بطريقة تعبّر عن وضعه كمُرسَل للمسيح، ويقدّم ذاتَه مرّات عدّة إلى قارئيه على أنّه "رسول يسوع المسيح" (١ كو ١: ١؛ ٢ كو ١: ١، غل ١: ١؛ أف ١: ١؛ كول ١: ١؛ ١ تيم ١: ١؛ ٢ تيم ١: ١)، أمّا هنا، في فل ١: ١، كما أيضًا في روم ١: ١ وتيط ١: ١، فإنه يعطي ذاته وتيموتاوس لقبًا مميّزًا مستوحًى من دون شك من العهد القديم، هو لقب "عبد" (עבד): إنه "عبد المسيح يسوع" (فل ١: ١؛ روم ١: ١؛ تيط ١: ١)، أو "رسول"، أو حتى "أسير" (فلم ١). يدلّ هذا اللّقب، وإن كان يكتب بطريقة شخصيّة جدًّا، أنه مدركٌ جيّدًا لوضعه؛ فهو يحتلّ موقعًا وضيعًا كعبد المسيح أو خادمه، وهذا ما يعطيه سلطانًا كقائد لجماعة المؤمنين، وهو يكتب انطلاقًا من هذه الموقع بالذات.

وإذا ما تعمّقنا في مضمون الرسالة ككلّ، نتبيّن وجود نوعٍ من الدعوة إلى وحدة أكبر لا يمكن أن تتحقّق إلاّ من خلال فعل اتّضاع على مثال الرب يسوع المسيح "الذي اتّخذ صورة عبد" (δουλος، ٢: ٧). لا يطالب بولس إذًا بسلطة رسوليّة هنا، بل يقترح بلطافة، وعَبْرَ قولِ يسوع: "مَن أراد أن يكون الأوّل في ما بينكم، فليكن خادمًا لكم" (مت ٢٠: ٢٧). "العبد" مبدئيًّا هو مَن ليس سيّد نفسه؛ أما يسوع المسيح الذي "اشترى" المسيحيين ("لقد اشتُريتُم بثمن"؛ ١ كو ٦: ٢٠)، كما يقول بولس، فهو بالتالي "يمتلكهم". هكذا يكون بولس وتيموتاوس خاصّةَ المسيح، وهُمَا بالتالي في خدمته.

يَرى العديد من الشراح[٧] في عبارة "عبد المسيح" لَقَب شرفٍ مصدرُه تقليدُ العهدِ القديم حيث لدينا عبارة "عبد يهوه" التي تعني أنّ إنسانًا ما هو بارّ، و"خادمٌ حقيقيٌّ" لله. يُدرج بولس نفسَه هنا إذًا في مصافّ عبيدِ الله العظامِ في العهد القديم.

مرّات عديدة يصف بولس بهذا اللقب المبشّرين بالإنجيل (٢ تيم ٢: ٢٤؛ ٢ كو ٢: ٦؛ ٤: ٥؛ ١ كو ٣: ٥، ٢٢)، ممّا يعني أن المبشّر بالإنجيل هو ذو مكانة مميّزة، ويُضحي بالتالي خادمًا لإخوته على مثال المسيح، دون أن ننسى، بالمقابل، أن المبشّرين يعامَلون وكأنّهم "أقذارُ العالم، ورُذالةُ الجميع" (١ كو ٤: ١٣).

يتوجّه بولس في هذه الرسالة إلى جماعة لم يؤسّسها، لذلك يأخذ اللقبُ "عبد المسيح" بُعدًا شرفيًّا أمام هذه الجماعة، وبهذا يصف رسالتَه بأنها إيجابيّة. ولكنّ التعبير يدلّ أيضًا على الاتّضاع تجاه الجماعة وعلى الطاعة لله.

كونُه "خادمَ المسيح" هو بذات الفعل خادمُ الجماعة. ومن حيث ارتباط اللقب بالعهد القديم والتجذّر فيه، فإنه يُبرز كرامةَ رسالةِ بولس وتيموتاوس الضمنيّةَ؛ فالاثنان كانا يتلقّيان عونًا ماديًّا من الفيلبيين (فل ٤: ١٨؛ ٢ كو ١١: ٩). من خلال هذه العبارة، هم الفيلبيون بالذات الذين يتشرّفون، لأنّ مَن يعتني بالمبشّر ينال أجرًا على ذلك.

(٧) أنظر مثلاً: J. MURPHY-O'CONNOR, *La prédication selon saint Paul*, CaRB 4, Gabalda 1966, p. 42-45.

آ ١ب: "إلى جميع القديسين بالمسيح يسوع الذين في فيلبّي"

يتوجّه كاتب الرسالة إلى قارئيه المؤمنين، وهم هنا كلّ شعب الله في فيلبّي، المنضوين تحت لواء المسيح يسوع، أو "كلّ القدّيسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي". ويتوجّه إليهم أيضًا على أنهم الكنيسة (أو الكنائس) التي هي في مكان مُعيّن (غل؛ ١ تس؛ ٢ تس؛ رج فلم؛ وفي ما يتعلّق بجمع الوصفَين معًا، رج ١كو؛ ٢ كو). لدينا عناصر ثلاث في هذا الوصف:

أ – "القديسين"

أن يكون المؤمن "قدّيسًا" فهذا أمر بديهيّ! لكن ما هو مضمون هذه الصفة؟ في الأساس، تعني كلمة קדוש، ومرادفتها اليونانية αγιος، أن يكون المؤمن "مفصولاً"، "موضوعًا على حِدَة"، مع الإشارة إلى أنّ المفردة αγιος تعني في الهلينيّة حصرًا أن يكون المرء "مندفعًا تجاه الآلهة".

تدلّ كلمة "قديسين"، بصيغة الجمع، في العهد الجديد، على الذين يؤمنون بيسوع، وهي واحدة من المفردات البيبليّة العبريّة التي تدلّ أيضًا على شعب الله إسرائيل (رج لا ١٩: ٢؛ تث ٧: ٦؛ ١٤: ٢؛ مز ١٤٧: ٢٠).

يضفي بولس هنا على قارئيه لقب "القديسين" (كما أيضًا في روم؛ أف؛ رج كول). كانت هذه العبارة تُقال أساسًا للملائكة ولشعب إسرائيل، أما هنا فتُخلع على المسيحيّين، مع التأكيد على أنّ الذين يؤمنون بالله بواسطة يسوع، يهودًا كانوا أم يونانيّين، هم الآن شعب الله؛ هي تعني، ليس فقط أنهم يخصّون الله، بل أيضًا أنهم أو ينبغي أن يكونوا مميَّزين بنوع الحياة المفترضة بهذا الشعب. ولا بدّ من التأكيد أنّ الذين ليسوا "قديسين" على الأرض لن يكونوا مطلقًا "قديسين" في السماء.

ب – "في المسيح يسوع"

يقول بولس إنّ قارئيه هم "في المسيح يسوع". هذه العبارة، بالإضافة إلى مثيلاها، نصادفها ١٦٥ مرة في رسائل بولس، وهي ذات أهميّة كبرى في لاهوت الرسول، إذ إنّها تدلّ على كيفيّة تحديد وجود المؤمنين، وهويّتهم، وعلاقتهم بعضهم ببعض بالمسيح يسوع الذي صُلب وقام. وتُستعمل، كما في فل ١: ١ب، لتُبيّن أنّ اتحادًا وثيقًا هو قائمٌ بين المؤمنين والمسيح. نصادف عبارة "في المسيح" وما يعادلها ٢١ مرة في فل:

- فهي تعبّر عن كيفيّة عمل الله لبعض الأمور، أو أنه يعطي العطايا إلى شعبه (٢: ١؛ ٣: ١٤؛ ٤: ٧، ١٣، ١٩)؛ بيسوع يَهَبُ اللهُ بركاتِه إلى شعبه.
- تُستعمل كبُنية عاديّة مع بعض الأفعال (١: ٢٦؛ ٢: ٥، ١٩، ٢٤؛ ٣: ١، ٣؛ ٤: ١، ٤، ١٠). إنّها في الغالب أفعال تدلّ على موضوع الرجاء أو على أساس الثقة والفرح. يسوع هو مَن يتعلّق المؤمنون به ويفرحون.
- هي تميّزُ المؤمنين كشعب له علاقة وطيدة بيسوع، وكنتيجة لها هم يشاطرونه آلامه وقوّة قيامته (١: ١، ١٣، ١٤؛ ٣: ٩؛ ٤: ٢١).
- هي تصف بعض نماذج السلوك المطلوب من المسيحيين (٢: ٢٩؛ ٤: ٢)، كونهم مدعوّين إلى أن يتصرّفوا بطُرُق خاصة، تتوافق مع حياةٍ فيها المسيحُ هو السيد.

بهذه العبارة، "في المسيح يسوع"، يصف بولس إذًا كيفية قيام الجماعة وتقديسها. ويلاحظ القارئ أن هذه العبارة ترتبط بما سيلي في الرسالة، إذ يتكلّم الرسول على اقتناع "الغالبيّة"، أي ليس كل أهل فيلبّي. كذلك، نتبيّن من ١: ١٥–١٨أ أنه ليس الكلّ يُبشّرون بدوافع "مقدّسة"، ومن ٣: ١–٤: ١ أن ليس كلّ أهل فيلبّي كانوا "قديسين".

ج – "في فيلبي"

تصف الجملة الثالثة قرّاء الرسالة في استيطانهم الأرضي، أي "في فيلبي". يتوجّه الرسول إلى "كلّ" هؤلاء، غير مستثنٍ أيًّا منهم. إذا كان بولس وتيموتاوس "مِلْكَ" المسيح، فهذا لا يعني أنهما وحدهما كذلك، بل أنهما يتقاسمَان هذه الحالة مع "القدّيسين" و"مع الأساقفة (و)الشمامسة" الذين في فيلبّي. فلنتبيّن هوية هؤلاء.

آ ١ ج: "مع الأساقفة الشمامسة"

لماذا وَرَدَ ذكر "الأساقفة (و)الشمامسة" هنا؟ إحدى الفرضيّات هي أنها الكنيسة الأولى التي أسّسها بولس وكان لها قادة كهؤلاء، وهذا ما قد يُفسّر سبب عدم وجودِ مناسبة للكتابة بتعابير مماثلة في رسائل سابقة. من المحتمل أنّهم كانوا قد كتبوا إلى بولس مستعملين هذه الألقاب للإشارة إلى ذاتهم. بطريقة قد تكون ساخرة، يُجيب بولسُ معتبرًا تيموتاوس ونفسَه بمثابة "خادمَين" أو "عبدَين" للمسيح. مع هذا، لا دليل على أنّ بولس كان له شيء ضد هاتَين التسميتَين. ومن المحتمل أيضًا أنّ قادةَ كنيسةٍ ما كانوا بنوعٍ خاص عرضةً للاضطهاد، وبالتالي، كان طبيعيًّا، في رسالة تهدف إلى تقوية الكنيسة لتواجه المعارضة، أن يُشير إليهم بطريقة تميّزهم عن الباقين. أو أنّهم أيضًا قد ذُكِروا لأنّهم يقومون بإرسال المعونات إلى بولس، لكن ليس لدينا إثبات لهذا الأمر.

إنها المرة الأولى في رسائل بولس التي فيها يُذكَر فريقٌ مُحدَّد مِمَّن يَتَوَجَّهُ إليهم. هؤلاء عنيتُ بهم "الأساقفة (و)الشمامسة"[٨]، الذين يجملهم الرسول، معتبرًا إيّاهم من ضمن فريق "جميع القديسين".

أ - "مع"

يعني حرف الجرّ "مع" (συν) أن بولس يحيّي، بالإضافة إلى "القديسين"، الذين يشكّلون فئة المؤمنين عامة في فيلبّي، "الأساقفة (و)الشمامسة" أيضًا، وهم بالتأكيد فئة خاصة في الجماعة، كما سنرى أدناه.

ب - الأساقفة

هي المرّة الاولى التي فيها يذكر بولس هؤلاء في رسائله، وهي الرسالة الوحيدة التي يشير فيها إلى مسؤولين محلّيين من هذا النوع[٩]، ولن يستعمل هذه التسمية بعد ذلك في أيٍّ من رسائله حتى نصل إلى ١ تيم ٣: ٢ وإلى تيط ١: ٧، حيث يبدو أنها تدل على وجوه قيادية في الكنيسة المحليّة. ويبقى أن وظيفة هؤلاء غير واضحة المعالم في الرسالة، ولا يمكن الجزم بنوعيّة الخدمة التي كانوا يقومون بها ضمن الجماعة، ومع هذا ليس مستبعدًا أن يكونوا نواة الخدمَتين، الأسقفيّة والشماسيّة، اللّتين صار لهما طابع رسمي ومحدّد في ما بعد.

إنّ كلمة "أساقفة" (επισκοποι) هي كلمة مدنيّة أساسًا، وتدلّ على مبعوث في مستعمرة جديدة، وتأتي من كلمة επισκοπη التي تعني "زيارة"، "تَفَقُّد"، "مراقبة"، وفي الأدب اليوناني تشير إلى "المُشرف" أو "المراقب". لهؤلاء "الأساقفة" مَهمّة ثابتة في الجماعة، وبهذه الصفة جمعوا المساعدة لبولس ولتيموتاوس، لكن لا يعني أنّ مَهمّة الأساقفة والشمامسة هي محصورة بجمع المساعدة.

ما معنى كلمة ἐπισκόπος؟[١٠] في يونانية القرن الأول تعني الكلمة وظيفة رسميّة، مرتبطة بالإدارة، وما نجده في السبعينيّة له معنى قريب من المعنى المدنيّ، كما يتبيّن لنا من الاستشهادات التالية:

- في ١ مك ١: ٥١ أقام أنطوخيوس "مراقبين" (ἐπισκόποι) على كل مدن اليهوديّة وعلى الشعب: "وكتَبَ بِمِثْلِ هذا الكَلامِ كُلِّه إلى مَملَكَتِه بِأَسرِها وأَقامَ مُراقِبِينَ عَلى كُلِّ الشَّعْب، وأَمَرَ مُدُنَ يَهوذا بِأَن يَذبَحوا في كُلِّ مَدينة".
- في ٢ أخ ٣٤: ١٧، المال المقدَّم للهيكل كان يوضع في أيدي المُوَكَّلين (ἐπισκόποι) الذين كانوا يدفعون الأجر للعمال: "وقد دَفَعوا الفِضَّةَ الَّتي وُجِدَت في بَيتِ الرَّبّ وسَلَّموها إلى أَيدي المُوَكَّلين والمتولِّين العَمَل".

(٨) E. BEST, " Bishops and Deacons: Philippians 1, 1 ", *SE* 4, Ed. F.L. Cross, Berlin, 1968, pp. 371-376.
(٩) Lorenzo DE LORENZI, *Paul de Tarse apôtre de notre temps*, Rome 1979, p. 376.
(١٠) H.W. BEYER, " Επισκοπος " , *TWNT* II, 612.

في نح ١١: ٩، ١٤، ٢٢، هم الرقباء أو النُظّار مَن كانوا يسهرون على رجال بنيامين أو على اللاويين والكهنة: "وكانَ يوئيلُ بنُ زِكْري رَئيسًا علَيهم..." (آ ١١)؛ "وإخوتُهم أَبطالٌ ذَوو بأس: مِئَةٌ وثَمانيَةٌ وعِشْرون، والرَّئيسُ علَيهم زبْديئيلُ بنُ جَدوليم" (آ ١٤)؛ "وكانَ رَئيسُ اللاَّويِّينَ في أُورَشَليمَ عُزّيَ بنَ باني ..." (آ ٢٢).

أمّا في العهد الجديد، فعندما ألقى بولس خطبةَ الوداع على شيوخ أفسس (أع ٢٠: ٢٨)، استعمل الفعل επισκοπειν ليدلّ على رسالة الشيوخ، التي تقضي بأن "يسهروا" على حياة الجماعة المسيحيّة. ملفت للنظر أنّ كل الشيوخ يتلقّون مَهمّةَ الـἐπισκόπειν.

قد نستطيع أن نتبيّن مضمون كلمة "أساقفة" انطلاقًا من بعض ما نجده لدى بولس من تحديد لهوية المسؤول في الجماعة الكنسيّة ودوره. لنستعرض بعض الأمثلة على ذلك: "الأسقف" هو الذي "يرأس" (ο προισταμενος) "بغَيرة" (εν σπουδη؛ روم ١٢: ٨)؛ هو من يعطي "الاتجاه" (κυβερνησεις؛ ١ كو ١٢: ٢٨؛ رج أع ٢٧: ١١؛ رؤ ١٨: ١٧)؛ هو من "الرعاة" (ποιμενες؛ أف ٤: ١١). وانطلاقًا من كون هذه المفردات من حيث معناها ومن حيث موازاتها هي على علاقة قوية مع كلمة "تَفَقَّد" أو "راقب" أو "ناظَر" (επισκοπη)، فإنه بإمكاننا أن نتبيّن المَهمَّة ذاتها في كلمة "أساقفة" (επισκοποι) في فل ١: ١.

نصادف الكلمة مرات عدة في العهد الجديد (أع ٢٠: ٢٨؛ ١ تيم ٣: ١-٧؛ تيط ١: ٥-٩؛ ١ بط ٢: ٢٥؛ ٥: ٢-٣)، وتوحي بنوع من الموقع القياديّ. في القرن الثاني أعطى كتاب **الديداكيه** (١٥) وصفًا للأساقفة المحليّين وللشيوخ الذين كان لهم التقدم عليهم أيام القديس الشهيد إغناطيوس الأنطاكي[١١].

واستنادًا إلى فل ١: ٢، يمكن "الأساقفة" أن يكونوا "شمامسة" إذا ما اعتبرنا حرفَ العطف اليوناني και ليس أداة عطف بل أداة توضيحية (epexégétique)، فتصبح كلمة "خدّام"، لغويًا، بدلاً من كلمة "أساقفة"؛ لدينا في أف ٤: ١١ مثلٌ مشابهٌ لـ فل ١: ١، حيث يجري الكلام على "الرعاة المعلّمين" (οὺς δὲ ποιμένας καὶ διδασκάλους).

ج - "الشمامسة"

تأتي كلمة **شماس** (διακονος) من فعل διακονειν الذي يعني "خَدَمَ إلى المائدة"، الذي له أيضًا المعنى الأوسع لـ"خدمة محبة"[١٢].

نصادف في بعض رسائل بولس اللقبَ "شمّاس" (διακονος في: ١ تس ٣: ٢؛ كول ١: ٧؛ ٤: ٧؛ أف ٦: ٢١)، وكلمةَ "خدمة" (διακονια في: ١ كو ١٦: ١٥؛ كول ٤: ١٧)، فهل نحن أمام خدمة في خطّ خدمة بولس، أي أنه διακονος (١ كو ٣: ٥؛ ٢ كو ٣: ٦؛ ٦: ٤؛ ١١: ٢٣؛ أف ٣: ٧؛ كو ١: ٢٣: ٢٥؛ ١ تيم ٤: ٦؛ رج διακονια في روم ١١: ١٣؛ ٢ كو ٣: ٨ي؛ ٤: ١؛ ٥: ١٨؛ ٦: ٣؛ ١١: ٨)، وليس خدمةَ "الموائد"، كالتي تظهر عندما تُربَط بخدمة الأساقفة في فل ١: ١، كما في ١تيم ٣: ٨، ١٢، واستنادًا إلى إطار روم ١٦: ١؟ أمّا اعتبار جمع التبرعات أنه "خدمة للقديسين" (διακονια...τοις αγιοις، روم ١٥: ٣١؛ ٢كو ٨: ٤؛ ٩: ١، ١٢، ١٣)، فإنه يدخل في أسلوب إضفاء الكرامة على هذه المقاطع.

في العهد الجديد، تُستَعمل كلمة "شمامسة" عادة لخدّام المسيح، كما أيضًا لخدمة معيّنة (رج ١ تيم ٣: ٨، ١٢)[١٣]. كانت الواجبات الشماسية تشمل الخدمة والتدبير (الإدارة)، وكانت مرتبطة بالأسقف. وكان الرجال يخدمون كشمامسة، والنساء

(١١) أنظر إغناطيوس، **مغنيسيا** ٦: ١؛ ١ **إكليمنضس** ٤٢.

(١٢) H. W. BEYER, *Theological Dictionnary of the New Testament*, 2 :81.

(١٣) Lorenzo DE LORENZI, *op. cit.*, p. 380 et n. 28.

كشمّاسات (رج روم ١٦: ١؛ ١ تيم ٣: ١١). تدلّ كلمة "شمّاس" (διακονος)[١٤] في رسائل بولس، وفي الكثير من الأحيان، على أشخاص يعملون في حقل البشارة بالإنجيل، ابتداءً ببولس بالذات (١ كو ٣: ٥؛ ٢ كو ١١: ٢٣؛ أف ٣: ٧)، وأبّولوس (١ كو ٣: ٥)، والمناوئين (٢ كو ١١: ١٥ و٢٣)، وطيخيقوس (أف ٦: ٢١؛ كول ٤: ٧)، وأبفراس (كول ١: ٧).

في فل ١: ١ فقط يُذكَر قادة الكنيسة بشكل صريح؛ فكلمة "شمّاس" يمكن استعمالها في معنى عامّ جدًّا لأيٍّ من العاملين المسيحيّين، بمن فيهم بولس ذاته (١ كو ٣: ٥؛ ٢ كو ٣: ٦؛ ٦: ٤؛ ١١: ٢٣؛ رج ١١: ١٥)، وهي مستعملة بمعنى خاص في روم ١٦: ١ للكلام على فِيبَا. يبدو أنّ كلمة "شمّاس" قد تشير إلى أي نوعٍ من خدّام الله في الكنيسة، وقد استُعملت تحديدًا لفريق معيّن من العاملين. ويُحَدَّد عملُ هؤلاء الشمامسة انطلاقًا من وضعهم مقابل فريق آخر هم "الأساقفة".

نحن هنا، إذًا، أمام "وظيفة" أو "خدمة" كنسيّة (رج ١ تيم ٣: ١). توحي كلمة "أسقف" بفكرة الإشراف والعناية الراعوية، وتدلّ كلمة "شماس" على الخدمة؛ إنّه لَذِي مدلولٍ أنّ الكلمتين يمكن في الواقع استعمالهما لذات الأشخاص؛ مثلاً، بولس وتيموتاوس هما يعملان كأسقفَين، ولكن يمكن أن يُقال لهما "شماسان" أيضًا؛ هكذا تميّز الكلمتان قيادةً مسيحيّة معيّنة. مع هذا، كانت هناك قسمةٌ في الوظيفة في الكنيسة، ويبدو أنّ الذين يُدعَون خاصة "شمامسة" عليهم واجبات مسؤوليّة أقل من واجبات الأساقفة.

نعمة لكم وسلام (آ ٢)

وفق أسلوب المراسلة اليونانيّة، تلي التحيّةُ العنوانَ في افتتاحية الرسالة.

أما لفظة "نعمة" (χαρις) فتشتقّ من فعل χαιρειν، أي "سلّم". ولكن التحيّة هنا هي موسّعة، الأمر الذي يجعلنا نوجّه فكرنا نحو الشرق أكثر منه نحو اليونان. فعبارة "نعمة وسلام" (χαρις και ειρηνη) هي ساميّة، مستلّة من المباركة اليهوديّة: الرحمة والسلام (رج طو ١٢: ٧؛ ١ تم ١: ٢؛ ٢ تم ١: ٢؛ ٢ يو ٣؛ يهو ٢؛ غل ٦: ١٦).

يدلّ "السلام" (ειρηνη) على العلاقات الأحسن بين الله والإنسان، وهذا ما يثبته الالتزام المتبادل بين الاثنين، والذي تجلّى بأسمى ما يكون بالمسيح يسوع الذي "هو سلامنا" (أف ٢: ١٤). إنّ ما يضمن استمراريّة هذا السلام هو يسوع بالذات، لذا، "السلام" هو أيضًا "نعمة"، علمًا أن موضوع "النعمة" يحتلّ موقعًا هامًّا في فكر القديس بولس.

إذن، هذه التحيّة التي هي في جوهرها "مسيحيّة"، قد ترقى إلى إطار ليتورجيّ في الكنيسة الأولى، متجذّرٍ في التقليد اليهوديّ؛ لكن ما يلفت الانتباه هو التركيز على ربط النعمة والسلام بـ"الله الآب"، وبـ"الرب يسوع المسيح". باستعادة بولس المباركة اليهوديّة، يبدو وكأنه يستنزل على قرّائه بركات الله الآب والربّ يسوع المسيح. إننا في إطار عملٍ خلاصيّ صمّمه اللهُ الآبُ، وحقّقه بابنه يسوع، ويتواصل في الكنيسة، حتّى منتهى الدهور.

خاتمة

نستنتج ممّا تقدّم أن ما يبغي بولس أن يشدّد عليه ويَبلغَه هو شراكة حقيقيّة في جماعة فيلبي، مبنيّة على شخص يسوع المسيح بالذات، من جهة، وعلى الشراكة بين هذه الجماعة وبينه، من جهة أخرى.

(١٤) H.W. BEYER, " Διάκονος ", *TWNT* II, 90.

المراجـــع

بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي**، سلسلة محطات كتابية ٤، ١٩٩٦.

الفغالي بولس، "بنية الرسالة إلى فيلبي"، مجموعة محاضرين، **بولس ورسائله**، سلسلة دراسات بيبلية ٢٤، ٢٠٠١، ص ٣٩٦-٤١٦.

مسترز كارلوس ، **بولس العامل المبشّر بالإنجيل**، سلسلة بيبليات، ٦، لبنان ١٩٩٥.

BEST E., " Bishops and Deacons : Philippians 1,1 ", *SE* 4, Ed. F.L. Cross, Berlin, 1968, pp. 371-376.

BEYER H.W., "Διακονος", *TWNT* II, 90.

BEYER H.W., "Επισκοπος", *TWNT* II, 612.

BLOOMQUIST Gregory, *The Function of Suffering in Philippians*, JSNTS 78, Sheffield: Sheffield Academic Press, 1993.

DE LORENZI Lorenzo, *Paul de Tarse apôtre de notre temps*, Rome 1979.

LEMAIRE A., *Les ministères aux origines de l'Eglise*, Cerf, 1971.

MULLINS Terence Y., " Greeting as a New Testament Form ", *JBL* 87 (1968) 418-426.

MURPHY-O'CONNOR J., *La prédication selon saint Paul*, CaRB 4, Gabalda 1966.

REED J.T., *A Discourse Analysis of Philippians, Method and Rhetoric in the Debate over Literary Integrity* (JSNT Sup 136, Sheffield, 1997).

RICHARDS Randolph, *The Secretary in the Letters of Paul*, WUNT 2nd ser.42, Tübingen: J.C.B Mohr (Paul Siebeck), 1991.

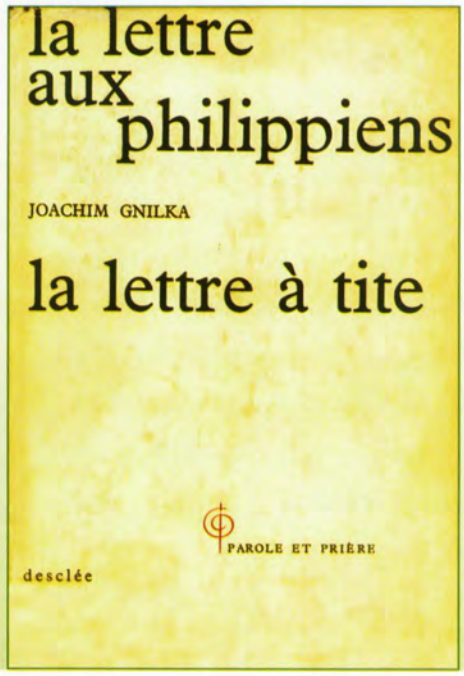

فل ١: ١٢-٢٦

بولس في سجن أفسس

الخوري د. بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

إذا أخذنا بالنظريّة القائلة "بثلاث" رسائل[١] في الرسالة إلى فيلبّي، جُمعت في ما بعد، حيث تكون الأولى (٤: ١-٢٠) بطاقة شكر لما أرسل أهل فيلبّي من معونة لرسولهم بواسطة أبفروديتس، وتكون الثانية[٢] (١: ١-٣: ١أ) كلامًا عن وضع بولس في السجن، وتكون الثالثة (٣: ١-٤: ١) هجومًا عنيفًا على أصحاب الختان، فينعتهم بـ"الكلاب" (٣: ٢). إذا أخذنا بهذه النظريّة، تكون الأخبار عن وضع بولس في قلب الرسالة إلى فيلبّي. وإذا اعتبرنا أنّ بولس كان في سجن أفسس حين كتب هذه الرسالة، لا في رومة، كما نجد تلميحًا عن ذلك في الرسالة الأولى إلى كورنتوس، نفهم الوضع الذي يعيشه بولس. قال الرسول في معرض كلامه عن قيامة يسوع وقيامتنا: "إذا كان الموتى لا يقومون...، لماذا نتعرَّض نحن للخطر كلَّ حين...؟ وصارعتُ الوحوش في أفسس..." (١كور ١٥: ٢٩-٣٢)، بل كان صراع في قلب الرسول: يخفي هويَّته كمواطن رومانيّ، فيُحكم عليه كما على كلِّ إنسان، بل يُرمى للوحوش بدون محاكمة. أمّا هكذا فعل في فيلبّي، فما أعلن أنّه مواطن رومانيّ (أع ١٦: ٣٧) إلاّ بعد أن جُلد وأُلقيَ في السجن (آ٢٣) هو ورفيقه سيلا (آ٢٥)؟ أو يظهر هويَّته على ما فعل في أورشليم، "مدَّدوه وربطوه ليجلدوه، فإذا هو يقول للضابط الواقف بجانبه: "أيحقُّ لكم أن تجلدوا مواطنًا رومانيًّا من غير أن تحاكموه؟" (أع ٢٢: ٢٥). هو صراع بين أن يمضي سريعًا إلى المسيح، لأنّ "الموت ربح له"، وبين أن "أبقى بينكم جميعًا لأجل تقدُّمكم وفرحكم في الإيمان"، صراع انتهى بأن يواصل الرسالة. هذا ما نقرأه في الرسالة إلى فيلبّي ١: ١٢-٢٦.

ونقسم النصّ ثلاثة أقسام[٣]: تقدُّم الإنجيل (١: ١٢-٢٠)، الخيار الذي

---

(١) بولس الفغالي، رسالة القدّيس بولس إلى أهل فيلبّي، الرابطة الكتابيّة، ١٩٩٦، محطّات كتابيّة ٤، ص ١٨-٣٧.

(٢) T. W. MANSON, "St Paul in Ephesus. The Date of the Epistle to the Philippians", *The Bulletin of the John Rylands Library*, 23 (1939) 182-200.

(٣) J. F. COLLANGE, *L'épître de Saint Paul aux Philippiens*, CNT Xa, Delachaux et Niestlé, Neuchâtel, 1973, p. 51-66. Voir J.-N. ALETTI, *Saint Paul. Epître aux Philippiens*, Introduction, traduction et commentaire. Études Bibliques. Nouvelle série, N 55, Paris, Gabalda, 2005, p. 64-99.

قسّم ألِتّي (Aletti) المقطع الذي نقرأ قسمين: في آ١٢-١٨ب: أخبار عن وضع الرسول، وفي آ١٨ ج-٢٦: نظرة إلى المستقبل. ماذا سيفعل الرسول؟ Voir G. D. FEE, *Philippians*, IV, p, Nottingham, 1999, p. 108-126.

وهناك من جعل آ١٢-٢٦ في إطار أوسع، يصل إلى ٢: ١٨ حيث الفرح في ١: ١٨ يتجاوب مع الفرح في ٢: ١٨. K. T. KLEINKNECHT, *Der leidende Gerechtfertigte*, Tübingen, 1984, p. 306

يأخذه الرسول (١: ٢١-٢٤): هل يقبل الموت أم يواصل الرسالة؟ والقسم الثالث يشكّل خاتمة فيها ينتظر أن يرى كنيسة فيلبّي مرّة أخرى (١: ٢٥-٢٦)[٤].

١- تقدّم الإنجيل (١: ١٢-٢٠)

بدأ الرسول فأعطى الأخبار عن وضعه، ولكن بإيجاز؛ فالرسائل متواصلة بين بولس وجماعة فيلبّي، لأنّ السَفَر بين أفسس وفيلبّي يستغرق أسبوعين فقط، ذهابًا وإيابًا. ولكنّه ما اكتفى بسرد بعض حياته، بل أبرز المفهوم العميق للأحداث التي عاشها. هي تقدّم تقدُّم الإنجيل. لهذا كانت آ١٨ الذروة: "ولكن ما همّي، ما دام التبشير بالمسيح يتمّ في كلّ حال؟!"[٥]. يبقى أنّ ما حصل كان يمكن أن يُقال في خبر شفهيّ. والأساس، مقصد الرسول في إبراز "المبشّرين" بنواياهم السيّئة، تجاه الكارزين الحقيقيّين.

أراد الخصوم من الرسول أن يُبقي أمره مخفيًّا، وهكذا يمضي إلى الموت، فيكونون وحدهم في الواجهة؛ وحين رأوا أنّه أعلن مواطنيّته، اعتبروه خائنًا للرسالة، وخصوصًا خائنًا لأقواله السابقة بأن يكون سريعًا مع المسيح. لا، ما خسر الإنجيل، بل ربح (آ١٢)، في خارج الجماعة (آ١٣) كما في داخلها (آ١٤-١٨).

أ- أريد أن تعرفوا (آ١٢-١٤)

في قلب تضمين كبير مع لفظ هام προκοπη في آ١٢ (تقدُّم الإنجيل) وفي آ٢٥ (تقدُّمكم)، وصرخة الفرح، نتوقّف عند ثلاث قطع، ونبدأ بالأولى، وفيها ما فيها من مفارقة: انتظرنا شيئًا، فإذا هو شيء آخر. انتظرنا أن يوقف الرسالةَ سجنُ بولس، فإذا هو يُطلقها. من جهتي، يمكن أن أقول: الحالة تعيسة. أنا في القيود وأودُّ أن أنطلق. ولكن من جهة الإنجيل، الأمور تتقدّم (آ١٢). وفي آ١٣، "وجودي في السجن كان أكبر شهادة للإنجيل. الجميع عرفوا لماذا أنا هنا، بل السلطة السياسيّة نفسها: دار الحاكم. أمّا "قيودي" (آ١٤) فما أرعبت الإخوة، بل بالأحرى شجّعتهم، وأعطتهم جرأة مضاعفة.

τα και'εμε أموري، ما يخصُّني، ما يتعلّق بي هو السجن وأكثر من السجن: ظروف صعبة. ربّما يُمنَع من رؤية أحد. ربّما ينتظر مع بعض "قلق" من قِبل الجماعة، المحاكمة التي تقوده إلى الموت أو تحفظه في الحياة وإن أعلن مواطنيّته، "غضبت" الجماعة واعتبرت أنّ بولس خائف. صعوبات عديدة، كان بإمكان الرسول أن يتوسّع فيها، ولكنّه اكتفى بعبارة سريعة: "هذا يخصُّني أنا". ولا شكّ أنّكم تعرفونه بما فيه من وجه سلبيّ. ولكنّ الموضوع ليس هنا؛ فالنتيجة الإيجابيّة واضحة: تقدّمَ الإنجيل، فلماذا البكاء!

بولس في السجن بسبب "إنجيل". جاء الاسم بدون أل التعريف. لم يعد الإنجيل كتابًا؛ صار شخصًا حيًّا؛ فالمسيحيّ لا يتعلّق بالكتاب، بأيّ كتاب، وإن كان يفرح بقراءة الإنجيل وسائر الأسفار المقدّسة، بل بالمسيح الحيّ الآن، وإن اعتبره اللامؤمنون في كلّ زمان، أنّه مات منذ زمان، فشابه سائر البشر. فإذا لم يكن ذلك الحيّ، فكيف يستطيع الرسول أن يقول: حياتي هي المسيح؟ فهل يعطي المائت الحياة؟ كان يسوع في العالم، ولكنّه لم يكن من العالم، على ما نبّه تلاميذه. لهذا، رفضه العالم. وبولس مسجون. هذا يعني أنّ ما يعلنه "من فلسفة أو دين" يعارض موقف الدولة، ويعرّض النظام للخطر. إذًا، يجب أن يصمت، أن لا يذكر بعدُ اسم يسوع، كما طُلب من الرسل (أع ٥: ٢٨). ولا بدّ أن يكون جواب بولس مثل جوابهم: "هل نطيع

(٤) رج حاشية ١، حيث قُسم ١: ١٢-٢٦ فصلين مختلفين: في ١: ١٢-٢٠، مسيرة الإنجيل (ص ٥٦-٦٤)، وفي ١: ٢١-٢٦، بولس وموته (ص ٦٥-٧٣).

(٥) P. BONNARD, *L'épître de Saint Paul aux Philippiens*, CNT, 10, 1950.

الله أم الناس؟" لا نستطيع أن نسكت عمّا سمعنا ورأينا.

أعلن الرسول في آ١٣، أنّ أسباب سجنه صارت معروفة لدى الجميع. لا هو قام بثورة، ولا بسلب أو نهب. السبب دينيّ فقط. ويرتبط بشكل مباشر بالبلاغ الذي يحمله، بالإنجيل. بسبب هذا السجن، سمع الجميع كلامًا عن المسيح. فالإنجيل لا ينفصل عن بولس: في المجمع، هو والإنجيل؛ في ساحة أثينا، هو والأنجيل، وفي السجن كذلك.

"سلاسلي ظاهرة في المسيح"؛ نحن نعرف أنّ جراح المسيح كانت ظاهرة بعد القيامة. والآن: السلاسل. أهي سلاسل بولس أم سلاسل المسيح؟ الأمر واضح في أعمال الرسل، ما حصل للرسول هو ما حصل ليسوع. اضطهاد يسوع ما زال حاضرًا في تلاميذه المضطَهَدين. يسوع في آلامنا، ونحن نشارك في آلامه من أجل جسده الذي هو الكنيسة[٦]. منذ الآن، نستطيع أن نقرأ ٣: ١٠: "أعرف المسيح وأعرف القوّة التي تجلّت في قيامته، وأشاركه في آلامه، وأتشبّه به في قيامته".

بفضل هذه السلاسل، بفضل المحاكمة في دار الحاكم، تقدّم الإنجيل لدى الوثنيّين. ويضيف الرسول في آ١٤: تقدّم الإنجيل في الجماعة المحلّيّة. وترد كلمات: الشجاعة والثقة πεποιθοτας، ثمّ الجرأة τολμαν، وأخيرًا غياب الخوف αφοβος. اقتنع الإخوة، لا بي، بل بالربّ؛ المثال الأخير هو يسوع المسيح. تعلّق بولس به، ومثله فعل الإخوة. غاب هو، صار في السجن، فحلّوا محلّه في الرسالة. نزلوا إلى المعركة. لا يمكن أن تبقى ساحة الإنجيل فارغة. وما ساعدهم على ذلك صدى محاكمة الرسول حين أعلن الإنجيل أمام السلطات؛ هكذا فعل مثلاً أمام الملك أغريباس الذي خاف بعد كلام بولس "أن يصير مسيحيًّا" (أع ٢٦: ٢٨). هم "يقولون الكلمة". في معنى أوّل، هي الكرازة الإنجيليّة، وفي معنى آخر، يقدّمون المسيح الذي هو كلمة الله.

ب- بعضهم... بعضهم (آ١٥-١٧)

جاء كلام الرسول بشكل تعاكس: أ، ب، ب ب، أأ.

أ- بعضهم يبشّر حسدًا، منافسة φθόνον καὶ ἔριν (آ١٥)

ب- بعضهم بنيّة سليمة εὐδοκίαν (آ١٥)

ب ب- أصحاب النيّة السليمة يعملون عن محبّة ἀγάπης (آ١٦). واصل الدفاع عن الإنجيل الذي بدأت به.

أأ- الفئة الأولى تدلّ على التحزُّب والمزاحمة ἐριθείας (آ١٧)، وهدفهم مليء بالنيّة السيِّئة: تتكاثر المتاعب على الرسول في قلب السجن. أجل، الحسد والتنافس يلعبان دورًا مع بولس، أو ربّما مع الذين يواصلون عمله بجرأة[٧].

ما نلاحظ في آ١٥ هو الحسد والخصام بين المسيحيّين. في كنسة فيلبّي، كما في "كنيسة" غلاطية، حيث الخصام والتحزُّب والحسد (غل ٥: ٢٠-٢١). واللوحة ظاهرة في جماعة

(٦) P. T. BRIEN, *The Epistle to the Philippians*, Eerdman, Grand Rapids, 1991, p. 92; FEE, *op. cit.*, p. 113.

(٧) جاءت هنا الآراء متعدّدة. بعضهم ردَّ حسدًا من الرسول، وآخرون، حسدًا من السائرين في خطّه. وهكذا نكون في إطار من المنافسة، على مثال ما نقرأ في الرسالة الأولى إلى كورنتوس: بولس، أبلّوس، بطرس...، وأخيرًا المسيح. إذًا بقيَ معه أحد، بعد أن تقاسم "المعلّمون" الجماعة! خطيب يُقنع، يثير الحسد عند خطيب عاديّ. O. BRIEN, *op. cit.*, p. 102-105. لا نريد أن نذكر موقفًا يتحدّث عن رومة المسؤولة عن سجنه. T. HAWTHORN, "Philippians 1, 12-19, with special reference to vv. 15. 16. 17", *The Expository Times*, 62 (1950-51) 316-317.
وفئة أخيرة اعتبرت أنّ المزاحمة لم تكن على مستوى الأشخاص، بل على مستوى التعليم، على مثال ما نعرف في الرسالة إلى غلاطية، التي تعاصرها الرسالة إلى فيلبّي، كما تعاصر الرسائل الكبرى (حاشية ١، ص ١٣-١٥).
R. JEWETT, "The Epistolary Thanksgiving and the Integrity of Philippians", *Novum Testamentum*, 12 (1975) 40-53; Id, "Conflicting Movements in the Early Church as Reflected in Philippians", *Novum Testamentum*, 12 (1970) 362-390.

يُشرف عليها تيموتاوس، وقد تكون أفسس، بعد موت بولس: "المناقشات والمماحكات التي يصدر عنها الحسدُ والشقاق والشتائم والظنون السيِّئة" (١تم ٦: ٤).

فئتان وقفتا تجاه بولس: الأولى οι μην تعيش المحبّة (آ١٦). هو موقف إيجابيّ يهمُّه الإنجيل، لا الأشخاص (يجب أن أزيح الآخر وآخذ محلَّه، استطعتُ أم لا). الثانية، تحرّكها الخصومة. موقف سلبيّ كلُّه. هم لا يطلبون الإنجيل، بل يطلبون أنفسهم. الأوّلون أحبّوا بولس وما يقدِّم من رسالة، وهو الذي قال في الرسالة الأولى إلى كورنتوس: "إقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح" (١١: ١). والآخرون أخذتهم الأنانيّة. فأرادوا الإساءة إلى بولس، ومن خلاله الإساءة إلى الإنجيل، على ما نكتشف في كنيسة كورنتوس. أشخاص هاجموا بولس واعتبروه رسولاً من الدرجة الثانية، ولكنَّهم ما علموا أنَّهم حين هاجموا الرسل، إنَّما أصابوا الرسالة أيضًا. ولا شكّ في أنَّ الضعفاء تشكَّكوا. وما عرفت "الفئة الحاسدة" أنّها هي أيضًا تنال الخسارة الكبيرة، لأنَّ سندها يبقى الإنجيل وانتشاره.

كيف بدا عملُ الفئتين؟ الأوّلون عرفوا ειδοτες، والآخرون ظنّوا οιομενοι. أولئك عرفوا أنَّ بولس الذي يمثل أمام القضاة سيقوم بواجب الدفاع (أبولوجيّا). هو يرافع، كما المحامي، عن قضيّة. والرسول، حين يدافع عن نفسه، إنَّما يدافع عن الإنجيل. والفئة الثانية تظنّ، هي لا تعرف، غير أنَّ ظنَّها ليس في مكانه؛ فالخلفيّة التي تسندها تحمل التخيُّل والخوف: هكذا تزداد متاعب الرسول، إذ تحسّ السلطة ما يمكن أن يحمل الإنجيلُ من خطر.

ج- ما همّي (آ١٨-٢٠)

لا همّ في قلب الرسول، ولا اضطراب. هو مسرور، فرح. لا ينظر إلى نفسه، بل يرى النتيجة التي هي انتشار الإنجيل وتقدُّمه. نلاحظ الكلمات في آ١٨: "فماذا؟"، ثمّ: "غير أنَّه؛ في كلّ حال، إن بكذب، أو بحق". كلُّ هذا لا يعني شيئًا بالنسبة إلى الرسول. ما يعنيه هو أنَّ المسيح يُبَشَّر به καταγγελλεται، وهذا ما يملأ قلب بولس فرحًا. غيره يطرح ألف سؤال وسؤال: من أخذ محلّي؟ ماذا يفعل؟ هل نجح فأحزن؟ هل فشل فأفرح وأشمت وأبيِّن أنّي وحدي قادر على القيام بالمَهمّة؟ بعد، لا أحد. ذاك كلام "إلهيّ" يصدر عن صغار العقول والقلوب. ما هي نيّة الذين "تسلَّموا" المشعل؟ هو لا يدين أحدًا، ولكنَّه يعرف، ويتخطّى هذه المعرفة.

هنا يبدو بولس مثالاً للتمييز الرسوليّ؛ حين ينظر إلى الأحداث، فهو يجعل الأمور الإيجابيّة والحسنة (أن يُعلَن الإنجيل) تسود على خلقيّة "المبشِّرين". هذا لا يعني أنَّ بولس غير واعٍ للأمور، أو هو لا يهتمّ لمسبِّبات هؤلاء المبشِّرين، ولكنَّه متأكِّد أنَّ الله يعمل عمله بالرغم من الكذب والحيلة والطموحات البشريّة، بل من خلالها. هذا ما نعرفه في الكتاب المقدَّس: مشروع الله تواصل مع أنَّ إبراهيم باع امرأته مرّتين؛ قال إنَّها أخته، وهكذا نجا بحياته. ولكنَّ الربّ الذي دعاه، لم يتراجع؛ فما إن خرج من مصر ومعه "ثروة كبيرة" نعرف مصدرها، حتّى دعا باسم الربّ (تك ١٣: ٤). ولا شكّ في أنَّ الربَّ أجابه بحماية أمَّنها له. ويعقوب احتال على أخيه عيسو؛ كذب على والده وسرق منه البركة. ثمَّ كان الصراع بينه وبين خاله لابان. وبالرغم من كلّ هذا، لبث الربُّ معه وحوَّله في "مجاز يبّوق". أفهمه أنَّه هو الذي يوجِّه حياته. هذا ما قرأه بولس في هؤلاء "المبشِّرين". تكاثروا لأكثر من سبب! وكانت النتيجة إيجابيّة بالنسبة إلى الكرازة؛ فالله يُخرج من الشرّ خيرًا، فلماذا نضع حدًّا لقدرته؟

سُررتُ بذلك في الماضي، وأسرُّ الآن؛ فالفرح الذي يغمر قلب الرسول ليس ابن ساعته، ولا هو اندفع بعد أن سمع نصيحة من أحد الأصدقاء، ثمَّ تراجع فملأ الحزن قلبه، وربّما القرف: كلّ ما عملت صار كلا شيء لدى بعض هؤلاء الناس. والواحد منّا لا يرى سوى البقعة السوداء، فينسى

الحقول التي زُرعت وابيضّت للحصاد. من يحكم على الرسالة؟ البشر؟ كلاّ ثمّ كلاّ. وحده الله يعرف أنّ الحبة التي تُبذَر في الأرض، تصبح عشبًا، ثمّ سنبلاً. وفي النهاية ينضج القمح. "فالزرع ينبت وينمو، سواء نام الزارع أو قام" (مر ٤: ٢٧).

وعرف الرسول أيضًا أنّ "تقدُّمَ" الإنجيل يتمّ في المحنة والاضطهاد. هذا ما اختبره بشكل خاصّ في تسالونيكي، كما اختبرته الجماعةُ التي أسّسها هناك. قال: "فمع كلّ ما لقيناه من العذاب والإهانة، كما تعرفون، كانت لنا الجرأة من إلهنا أن نكلّمكم ببشارة الله في وجه معارضة شديدة" (١ تس ٢: ٢). وأهل تسالونيكي أصابهم الكثير "من أبناء أمّتهم" (آ١٤). وكتب الرسول أيضًا إلى أهل كورنتوس: "الآب الرحيم وإله كلّ عزاء، يعزّينا في جميع شدائدنا لنقدر نحن بالعزاء الذي نلناه من الله أن نعزّي سوانا في كلّ شدّة" (٢كور ١: ٣-٤).

الآلام حاضرة، وهي جزء من الرسالة. وحبّة الحنطة يجب أن تقع في الأرض وتموت لكي تعطي ثمرًا. والمرأة تتألّم قبل أن يُولَد ولدُها. وهكذا يأتي الفرح بعد الحزن، والولادة بعد مرور في الموت. أمَا هكذا ولد الرسولُ أبناءَ كورنتوس؟

انطلق بولس من وضعه الشخصيّ، فأنار بنور الإنجيل الماضي والحاضر، السجن والمزاحمات. وأنار أيضًا المستقبل، موته أو عودته إلى فيلبّي. هناك "خلاصي أنا" (σωτηριαν) وهذا يتمّ بفضل "صلاتكم" (δεησεως). ولكن من يدافع عنّي؟ ومن يرافقني أمام المحكمة؟ روح يسوع المسيح. ماذا قال الربّ؟ حين تُقَدَّمون إلى المحاكم، لا تهتمّوا بماذا تتكلّمون ولا تسألوا ماذا تقولون. لستم أنتم المتكلّمين، بل روح أبيكم هو الذي يتكلّم فيكم (لو ١٢: ١١-١٢). جاءت هنا الكلمة επιχορηγια: هي معونة في المحكمة، أو ربّما في السجن. الروح، هو البارقليط، يقف بجانب المؤمن، عن يمينه. هذا الروح يرسله المسيح. وهكذا يستطيع الرسول أن يؤدّي الشهادة. هو روح المسيح الحيّ، والذي لا يزال الشاهد الأوّل (رؤ ١: ٩). يتكلّم في فم بولس: كان يسوع وحده في المحاكمة، وها هو بولس. ما يحصل للمعلّم يحصل للتلميذ: "ليس عبد أفضل من سيّده. ليس تلميذ أفضل من معلّمه".

ويعبّر بولس في آ٢٠ عن رجائه في شكلين متكاملين: في شكل سلبيّ، هو لن يخزى، لن يخجل (αποκαραδοκια)[٨]، وفي شكل إيجابيّ، يتمجّد المسيح في جسده. الآن، ربّما يُهان، يرمى للوحوش، وفي وقت قريب قد يموت. أو مقابل هذا تُعْلَنُ براءتُه فيكون حرًّا في جسده لكي ينطلق إلى الرسالة من جديد. أمّا روحه، فكانت دومًا حرّة، كما نقرأ في نهاية سفر الأعمال: هو في السجن، في رومة، مقيَّد بسلسلة مع جنديّ يحرسه، ومع ذلك كان "يبشّر بملكوت الله، معلنًا بكلّ جرأة وحرّيّة، تعليمه في الربّ يسوع" (أع ٢٨: ٣١).

لا مجال للخجل. هي وقفة تعلّمها الرسول من المزامير، الشامتون بالأبرار يخزون، يخجلون. المتكبّرون يلبسون العار والهوان (مز ٣٥: ٢٦). ونقرأ في مز ٤٠: "الخزي والعار لمن يطلب هلاكي، والهزيمة والشرّ لمن يريد الشرّ لي". أمّا المؤمن فينشرح صدره، يفرح، "يهتف كلّ حين: ما أعظم الربّ" (آ١٧). فالخلاص الذي يناله الأبرياء يساوي انتصار الربّ على الشرّ والأشرار. وكذا نقول عن بولس: مرمى محنه ليس هو نفسه، ليس تحرُّره وإقرار براءته، بل انتصار الإنجيل. وبعبارة أخرى، يرى الرسول ظفره وحرّيّة الكلام الذي يُدلي به في المحكمة، وحيث لا نخجل، على أنّه تمجيد للمسيح وتعظيم للإنجيل.

(٨) A. GIENIUSZ, *Romans 8, 18-30: "Suffering does not Thwart Future Glory"* (Scholars, Atlanta, GA, 1999), p. 176-183.

يرد هذا الموصوف مرّتين في كلّ العهد الجديد. هنا في روم ٨: ١٩. استُعمل بسبب الظروف الصعبة التي فيها ينتظر الرسول ويرجو. جعل قرب ελπις، الرجاء الأمل.

"في كلّ جرأة"[٩] παρρησια. هذا ما يعارض الحياء والخجل. لا مجال للخوف. كلام صريح. يدلّ فيه الرسول على ثقته، مهما كانت الظروف صعبة. لا يحسّ بأنّ شيئًا يُفرَض عليه. يستطيع أن يقول ما قاله ميخا بن يملة بعد أن علّموه أن يتكلّم كما الجميع لكي يُرضي الملك: "حيٌّ هو الربّ! ما يقوله لي الربّ، أقوله أنا" (١مل ٢٢: ١٤). تلك كانت عاطفة بولس. وكلمته ستكون قويّة، لا لأنّها تصدر عنه، بل لأنّها كلمة يسوع بالذات. فكيف لا تكون سيفًا ذا حدّين تدخل مفرق النفس والجسد!

وفي أيّ حال، من يهدّد بولس؟ لا أحد. هو مستعدّ للموت وللحياة. في موته يتعظّم الربّ، وفي حياته يتمجّد الربّ. ويقول عن نفسه: "لا أعرف ماذا أختار". إنّه لا يبحث عن راحته، بل عن الطريقة التي بها يتمجّد الربّ. والربّ وحده يقرّر، أمّا الرسول فيكتفي بأن يجعل عينه على يد السيّد، كما يقول المزمور. هذا يفهمنا أنّ النهاية لا تبدو ذات أهميّة. ففي أيّ حال، يتعظّم المسيح. إن مات الرسول فمن أجل الإنجيل، وإن لبث حيًّا يستطيع بعد أن يواصل الرسالة ويعرّف الناس بالمسيح.

٢- ماذا يختار الرسول؟ (١: ٢١-٢٤)

جاءت هذه الآيات بشكل توازٍ بين اثنين:

أ (٢١أ) الحياة لي هي **المسيح**، وأن أموت ربحٌ

ب (٢٢أ) وإذا أحيا في **البشريّ**، لي ثمر عمل

أأ (٢٣أب) لي رغبة أن أرحل وأكون مع **المسيح**

ب ب (٢٤) أن أبقى في **البشريّ** أكثر ضرورة.

ما قلنا "الجسد" الذي يقابل اليونانيّ σωμα، بل البشريّ، أو اللحم والدم σαρξ. في (أ) و(أأ) أعلن بولس ما هو الأفضل له: أن يموت لكي يكون أخيرًا مع المسيح. في (أ) هو الواقع. في (أأ) هي رغبة قويّة. ولكن في (ب) و(ب ب)، الحياة على الأرض مؤاتية للرسالة ولخير الجماعات. توازٍ ثمّ توازٍ. وتبيّن ٢٤ بوضوح أنّ رغبة بولس تبقى خاضعة لخير المؤمنين.

"لي"، εμοι، منذ البداية يعلن بولس يقينه، وبقوّة. في النهاية، الخيار هو لي، لا لأيّ أحد من البشر: أيُّ خير يناله الفيليبيّون، وماذا سيحصل لبولس: أن يموت أو يبقى على قيد الحياة؟ هناك موقفان: الحياة هي المسيح. الموت أفضل لي. هذا يعني: إنّ الموت يتيح لي اتّحادًا (وبالتالي حياة) مليئًا، تامًّا، مع المسيح.

أيّ حياة يعني بولس؟ هي الحياة الحاليّة، على المستوى البشريّ أوّلاً، ثمّ الحياة التي نتقبّلها في الإيمان، الحياة الأبديّة التي لا نهاية لها، لأنّها تكون حياة القائمين من الموت. بعد اليوم، صارت حياة بولس مركّزة على المسيح الذي صار له المرجع الوحيد (رج ٣: ٧-١٢)؛ فالحياة في نظر بولس، هي المسيح لأنّ حياته كمؤمن ورسول توجّهت نحو المسيح وما عادت تنفصل عنه. فتكون طريقُ المسيح طريقَه، بل هو تماهى مع ربّه[١٠].

ولكن يبقى المعنى الأساسيّ، الحياة في اللحم والدم، ثمّ الموت البشريّ. مثل هذا الموت ربح، إن كان لا يفصله عن المسيح. لا يقول بولس إنّ لا معنى للحياة على الأرض؛ فلها معناها منذ الآن، لأنّه انطبعت بالمسيح، سواء في الرسالة أو في مسيرة الإيمان. ولا يقول بولس إنّه يريد أن يتخلّص من الضيقات الحاضرة، لأنّ هذه الضيقات تعمل من أجل تقدُّم الإنجيل وتعريف يسوع إلى العالم. نحن بعيدون جدًّا عن رغبة في الهروب من

(٩) ورد هذا اللفظ مرارًا في الرسائل البولسيّة: رج ٢كور ٣: ١٢؛ ٧: ١٤؛ فلم ١: ٨؛ ق أف ٣: ١٢؛ ٦: ١٩؛ كو ٢: ١٥؛ ١تم ٣: ١٣.
C. SPICQ, *Lexique théologique du NT*, Paris, Cerf, 1991, p. 1188-1195. Il est composé de παν ρημα
أي من يستطيع أن يقول كلّ شيء.
لا نجد ما يقابله في العبريّة. رج لا ٢٦: ١٣ حيث اللفظ يقابل "ق و م م ي و ت"، أي إمكانيّة القيام، الوقوف أمام من هو أعظم منّا، ورأسنا مرفوع.

(١٠) O. BRIEN, *op. cit.*, p. 120-122.

أحداث الحياة. بل هو قرار شخصيّ، يدلّ فيه المؤمن أنّه يفضّل ملء الاتّحاد مع الربّ. ويبقى الموت الشرط الضروريّ لكي يتمّ هذا الاتّحاد.

"أمّا إذا" (٢٢) εἰ δὲ: أمّا إذا الحياة البشريّة عنت لي عملاً مثمرًا، حينئذٍ لا أعرف ماذا أختار.

ولكن إذا وجب عليّ أن أحيا في البشريّ،

فهذا يعني لي عملاً مثمرًا.

فماذا أختار؟ هذا ما لا أعرفه.

هكذا نستطيع أن نتوسّع في هذه الآية. و"البشريّ" يعني الجسد الذاهب إلى الموت، والذي يميل إلى الخطيئة. مع وجهة الضعف، على مثال ما نقرأ في ٢كور ٤: ١١: "وما دُمنا على قيد الحياة، فنحن نسلَّم للموت من أجل يسوع لتظهر في بشريَّتنا المائتة حياة يسوع". وفي غل ٦: ١٢ نقرأ: "هؤلاء الذين يريدون التفاخر بظاهر في (الجسد) البشريّ، هم الذين يفرضون عليكم الختان". وشدّدت ٢كور ١٠: ٣ على ما يرافق هذه الحياة المائتة من صعوبات: "نحن نسلك بحسب الجسد البشريّ، ولكنّنا لا نحارب بحسب الجسد البشريّ". هنا نلتقي مع فل ١: ٢٢-٢٤.

لا شيء له قيمة مطلقة في نظر بولس، لا الجسد البشريّ، لا الحياة، لا الموت، ولا الثمر. والحياة في البشريّ تصبح موقفًا نختاره، بالنسبة إلى الإنجيل الذي نعلن. إذًا، سبب الاختيار كريستولوجيّ. ولكن هنا يتوقّف الرسول؛ فإذا كان السبب المسيح للموت كما للحياة، فما عاد يعرف ماذا يختار! أيموت ليكون مع المسيح؟ أيحيا لكي يبشّر بالمسيح؟

وهكذا بدا الرسول ممزّقًا (٢٣)، محيَّرًا[١١] (συνέχομαι). هو بين اثنين. وكلُّ واحد يشدُّه إلى جهته، بحيث يخضع الرسول لقوّتين متعارضتين، فلا يقدر أن يتبع الواحدة دون الأخرى. مثل هذا الوضع يمنعه من أن يختار. من جهة، "يرغب" أن يترك هذه الحياة. هي حاجة عميقة في قلبه. سبق وقلنا إنّنا لسنا أمام معنى سلبيّ، فيه يعبّر الرسول عن أنانيَّته، بل هو معنى إيجابيّ ورغبة قويّة. والتمزُّق يأتي لأنّ الخيارين إيجابيّان: هنا خير وهناك خير. في الموت خير للرسول الذي يريد الاتّحاد بالمسيح، وفي الحياة، خير للجماعة[١٢].

كما في آ٢١-٢٢، نجد التعارض عينه في آ٢٣ (الرغبة) وآ٢٤ (الضرورة)؛ عبَّرت آ٢٣ عن الرغبة في الذهاب، أي ترك هذا العالم. لسنا أمام رغبة مَرَضيّة، بل أمام رغبة في الموت لأنّه الشرط الأساسيّ ليكون مع المسيح[١٣].

لا نتوقّف هنا حول ما قيل عن الانتحار؛ فالرغبة في الموت أمر، وإعطاء الشخص نفسه الموت أمرٌ آخر. والسياق واضح: فكّر بولس بالنسبة إلى نتيجة المحاكمة التي قد تصل به إلى الحكم بالإعدام. وفي أيّ حال، حين نقرأ ف ٣، نفهم أنّ هدف بولس مشاركة المسيح في آلامه وموته، من أجل المشاركة في قيامته.

---

(١١) هناك من قال: تردّد، تحيّر. ولكنّ الرنّة قويّة، فتدلّ على شخص سيطر الوضع عليه، ضايقه. رج لو ٤: ٣٨ (مصابة، συνεχομένη) في كلام عن حماة بطرس (قابل أع ٢٨: ٨)، والكلام عن والد بوبليوس (في مالطة) الذي كان طريح الفراش بالحمّى والإسهال.

(١٢) بالنسبة إلى الموت والحياة مع المسيح، J. DUPONT, *Syn Christoi, L'union avec le Christ suivant Saint Paul*, 1ère partie, *"Avec le Christ" dans la vie future*, 1952, p. 171-187; A. GIGLIOLI, "Mihi enim vivere Christus est. Congettura al testo di Phil 1, 21", *Rivista Biblica*, 16 (1968) 305-315; J. B. LIGHTFOOT, *Philippians*, Crossway Books, Wheaton, III, 1994, ad locum; M. BOCKMUEHL, *Epistle to the Philippians*, Hendrickson, Peabody Mass, 1998, ad locum; R. PENNA, *Lettera ai Filippesi-Lettera a Filemone*, Città Nuova, Roma, 2002.

(١٣) لأسباب تختلف عن قول بولس الرسول، نجد عند بعض الفلاسفة، كلامًا يفضّل الموت على الحياة. هناك سقراط. رج PLATON, *Phédon*, 62a. نجد جواب سقراط إلى Cèbès أحد الذين كانوا حاضرين حين شرب السمّ. قال: "بما أنّ أناسًا يرون في بعض الظروف أنّ الموت أفضل من الحياة، قد يبدو لك مدهشًا بالنسبة إلى الذي يكون الموتُ له الأفضل، أن لا يقدّم لنفسه هذه الخدمة الطيّبة بدون كفر. وهكذا يجب أن ينتظر محسنًا يأتيه من الخارج". وكتب Sénèque الفيلسوف اللاتينيّ إلى Lucilius، يعالج موضوع الموت المحرِّر بشكل واضح: "تعلَّمْ أن تموت، يعني: تعلَّم أن تكون حرًّا. من عرف أن يموت لا يعرف بعدُ أن يكون عبدًا: يجعل نفسه فوق كلّ سلطة، أو أقلّه خارج كلّ سلطة. لا يؤثّر فيه السجن ولا الجنود ولا القيود. عنده باب مفتوح. قيدٌ واحد يأسرنا، حبُّ الحياة". "Meditare" mortem. Voir S. BITTASI, *Gli esempi necessari per discernere, il significato argomentativo della stuctura della Lettera di Paolo ai Filippesi* (An. Bib. 153) PIB, Roma, 2003, p. 43-44. Textes cités dans Aletti, *op. cit.*, p. 90.

٣- سأبقى بينكم (١: ٢٥-٢٦)

وهكذا نصل إلى الخاتمة، مع القرار الذي اتّخذه الرسول: سيكون مع جماعة فيلبّي فيتذكّر معهم الأيّام الحلوة، يوم جاءهم للمرّة الأولى آتيًا من آسية الصغرى (قسم من تركيّا الحاليّة)، فأسس جماعة أحبّته وأحبّها، وقبل منها وحدها مساعدة ماديّة[١٤].

جاءت آ٢٥-٢٦ حلاً لخيار في إطار تمزّق أحسّ به الرسول (آ٢١-٢٤). ولكن كيف تمّ هذا الانتقال السريع من وضع محيَّر إلى اختيار واضح؟ قال بعضهم: نور سماويّ نقله من الشكّ إلى اليقين[١٥]. وقال كثيرون: في تأمّل عميق، انتقل الرسول من التمزّق إلى الخيار المفرح[١٦].

بل نحن أمام أسلوب بلاغيّ. أعاد بولس قراءة الماضي ونقله كتابة إلى الحاضر، لكي يسير القرّاء في خطاه، ويفهموا قطبَيْ حياته: ما حصل في الماضي، وما لم يحصل بعد، وهذا يعني التمييز المتواصل والعمل الملحّ الذي لا يمكن أن ينتظر.

وما فعله الرسل، "فمن أجلكم". وهكذا ينتقل الكلام عن وضع بولس إلى حضّ للفيلبّيّين بشكل إرشاد[١٧]. فعلان يَرِدَانِ: وثق πεποιθὼς، ثمّ عرف οἰδα. شدّد الرسول، فبيّن أن الشكّ زال كلّه. ما قال السبب، ولكنّه أشار إلى قوّة هذا اليقين. وهو سيذكره أيضًا في ٢: ٢٤: "ولي ثقة بالربّ أن أجيء إليكم، أنا أيضًا، بعد قليل". كلّ هذا في الربّ ἐν κυρίῳ. وزيارة بولس لن تكون عابرة. بل هناك إقامة طويلة، مع فعلين من جذر واحد: μενω، ثمّ επιμενώ: "أبقى"، "أمكث". جاء الفعل في صيغة المضارع، فدلّ على أمر سوف يحصل ساعة يشاء الله.

ولماذا يبقى الرسول "بينكم جميعًا"؟ أوّلاً، "لأجل تقدُّمكم"؛ هذا ما سبق وعرفناه؛ ثمّ "من أجل فرح إيمانكم". فحين يعود إليهم، يستعيد إيمانهم الفرح. في معنى أوّل، هو الفرح الذي موضوعه الإيمان[١٨]. وفي معنى ثانٍ، هو الفرح الذي ينبع من الإيمان، كما في روم ١٥: ١٣: "يغمركم إله الرجاء بالفرح والسلام في الإيمان". فما أراد الرسول أن يقوله هنا هو أنّ الفرح لن يكون موضوعه فقط عودة شخص هو بولس، بل عودة الإنجيل، وبالتالي عودة المسيح. وموضوع الفرح الذي عرفناه في ١: ٤ (دعوتُ لكم بفرح) وفي ١: ١٨، يجد هنا امتدادًا جديدًا: فبولس يريد أن لا يبقى هذا الفرح خاصًّا به، بل أن يمتدّ إلى جميع المؤمنين في فيلبّي. والإيمان يرافق الفرح. وبما أنّ الإعلان الرسوليّ هو إعلان الإنجيل والخبر الطيّب، لهذا فهو يحرّك فينا الفرح، وإلاّ، ما معنى إنجيل يحمل معه الحزن والخوف؟!

وتأتي آ٢٦ لتختم الكلام عن الأخبار الخاصّة ببولس. لماذا فعل الرسول ما فعل لكي يُطلَق سراحُه ويأتي إلى الفيلبّيّين؟ بالإضافة إلى إيمان يتقدَّم في ملء الفرح، هناك وفرة الخيرات الإلهيّة، وهذا ما يفتخر به الرسول. أجل، عرف أن يميِّز، أن يختار. هو رسول قبل كلّ شيء، وقد أُرسل ليعلن الإنجيل، ويقوّي إيمان المؤمنين. لهذا كان الموقف المنطقيّ الذي اتّخذه أن يواصل عمله "إلى يوم ربّنا". فبولس ما اختار حياته، بل دعاه الربّ. وتكون رسالته ناجحة بقدر ما تلتصق بمشيئة الربّ. والآن، طلب منه الربّ أن يبقى، أن لا يترك هذه الحياة؛ طلب منه أن يكون حاضرًا وسط أحبّائه، فيدلّ بحضوره أن عمل الكنيسة لا يمجِّد الله إلا إذا تمّ "في المسيح يسوع". وما أجمل ما كان جوابه!

(١٤) نقرأ في ٤: ١٢: "ففي تسالونيكي نفسها أرسلتم إليّ مرّة ومرّتين بما احتجتُ إليه". وكنيسة كورنتوس سوف تعتبر تجرُّد بولس كبرياء. افتخر بأنّه لم يأخذ مساعدة منها، بل عمل بيديه ليقوم بحاجة الفريق الرسوليّ.

(١٥) E. LOHMEYER, *Der Brief an die Philipper*, Göttingen, p. 66-67.

(١٦) P. BONNARD, *L'épître de Saint Paul aux Philippiens et l'épître aux Colossines*, Delachaux et Niestlé, Neuchâtel, 1950, p. 31.

(١٧) G. FEE, *op. cit.*, p. 151.

(١٨) المرجع السابق، ص ١٥٣، O. BRIEN, *op. cit.*, p. 141.

فل ١: ٢٧-٣٠

الثبات على النضال في سبيل الإنجيل

الأب د. أنطوان طربيه

أستاذ مادة اللاهوت الخُلُقي في جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدمة

تشكّلُ فل ١: ٢٧-٣٠ قسمًا يتّصلُ بما سبقه ويحضّر للقسم المتبقّي. وبما أنَّ القدّيسَ بولس عازمٌ على زيارةِ فيلبي، فهو يرسلُ إلى مؤمنيّ تلك المدينة كتابًا فيه بعض التوصياتِ التي تأخذُ أحيانًا صيغةَ الأمرِ من أجلِ الإعدادِ لزيارته. وتتمحورُ هذه التوصياتُ حولَ أمرٍ جوهريٍّ هو وحدةُ الجماعةِ المسيحيّةِ في تأمّلها تواضعَ الربِّ يسوع وتقدمتَه لذاته.

*** الآية ٢٧أ: فسيروا إذًا سيرةً جديرةً بإنجيلِ المسيح.**

إنَّ الأصلَ اليونانيَّ للكلمات التالية: "سيروا إذًا سيرة"، والذي نجده أيضًا في أع ٢٣: ١، يعني حرفيًّا "سيرة المواطن في مدينته". وما يسعى إليه القدّيس بولس من خلال هذا التعبير هو تذكيرُ أهلِ فيلبي أنَّ المواطنيّةَ الحقيقيّةَ هي في السماءِ، وليس بأن نكونَ مواطنين رومانيّين نسيرُ بحسب دستورِ المدينةِ التي ننتمي إليها.

وتقومُ السيرةُ الجديرةُ بإنجيلِ المسيحِ على نعمةٍ من الله عظمى، تفتحُ أمامَنا أبوابَ المدينةِ الجديدةِ والمملكة الجديدة والتي هي مملكةُ الله: ملكُها المسيحُ، ودستورُها الإنجيل، وكلُّ مؤمنٍ بالإنجيلِ هو مواطنٌ فيها[١].

*** الآية ٢٧ب: حتى إذا جئتُ ورأيتكم، أو غبتُ،**

يبغي القدّيسُ بولس في هذه الآيةِ أن يوضح للمؤمنين في فيلبي أنّه في حضورِه، وهو ينوي زيارتَهم، أو في غيابه، وهو الآن بعيدٌ عنهم، يريد أن يرافقَ مسيرتَهم ويتتبّعَ أخبارَ إيمانِهم بالربِّ يسوع، ويلمّحُ بنوعٍ خاصّ إلى غيابِه الذي قد يكونُ سببُه البقاءَ في السجنِ وربّما في ما بعدَ الموت.

*** الآية ٢٧ ج: أسمع عنكم أنكم ثابتون في روحٍ واحد (ونفسٍ واحدة)**

يرغبُ القدّيسُ بولس في أن يسمعَ أخبارَ أهلِ فيليبي من تلميذِه تيموتاوس (٢: ١٩). ويعكسُ تعبيرُ "ثابتون" ذهنيّةَ الجنديِّ الذي لا يتخلّى، طالما هو حيٌّ، عن موقعه. ومن الواضح أنَّ الثباتَ في الإيمانِ، ووحدةَ الجماعةِ وتضامنَها تعبّر عن غايةِ القدّيسِ بولس الأساسيّة. وإنَّ التعبيرَ "روحٌ واحدٌ" قد لا يعني في هذا الإطارِ الروحَ القدُسَ، إنّما يُستعمَلُ من أجلِ مخاطبةِ أهلِ فيلبي بلُغةٍ هي الأقربُ إلى تفكيرِهم في ذلك الوقت، يحضُّهم من خلالِها ويشجّعُهم على وحدةِ الموقفِ والكنيسة[٢].

(١) Bonnie B. THURSTON & Judith M. RYAN, *Philippians and Philemon*, Liturgical Press: Collegeville: Minnesota 2005, p. 69. أيضاً حاشية حول كلمة "سيروا"، في **الكتاب المقدّس – العهد الجديد**، جامعة الروح القدس – الكسليك ١٩٩٢، ص ٨٨٩.

(٢) *The Epistle to the Philippians.* - Peterborough: Epworth Press, 1992. - XXXII - (Epworth commentaries).

*** الآية ٢٧د: مناضلين معي (بنفسٍ واحدة) في سبيل الإيمان بالإنجيل.**

يأخذُ تعبيرُ "مناضلين" في اللغةِ اليونانيّةِ القديمة معاني مرتبطةً بالروحِ الجماعيّةِ، خصوصًا في ممارسةِ الرياضة. أمّا في اللغة اليونانيّةِ الكلاسيكيّة، فكان هذا التعبير يُستعملُ في إطارِ الحربِ والمعارك.

وتظهرُ حكمةُ القدّيس بولس في هذا القسمِ من الآية ٢٧ حين يعلن انضمام أهل فيلبي إلى نضاله من أجل هدفٍ واحد. وقد استعملَ القدّيسُ بولس هذه الطريقة بنجاح، لتوحيدِ الجماعة، وذلك بجعلِ كلِّ فردٍ من أهلِ فيلبي يعمَلُ ويناضِلُ من أجلِ هدفٍ مشترَكٍ لهم جميعًا. والعملُ في سبيلِ الإنجيلِ ليس هدفًا في هذه الآية فقط بل هو هدفُ الرسالةِ بأكملِها إلى أهل فيلبي. والنضالُ في هذا الإطارِ، ليس ضدَّ الأعداءِ بل هو من أجل نشرِ رسالةِ الإنجيلِ التي يتكلّمُ عنها القدّيس بولس في فل ١: ١٥-١٨[٣].

*** الآية ٢٨أ: وغير مرتعبين البتّة من مخاصميكم،**

يرفضُ القدّيسُ بولس مواقفَ الارتعابِ التي تعني الخوفَ الشديدَ والترهيبَ (من السلطات الرومانيّة) التي ظهرت عند البعض من أهل فيلبي. ويؤكّدُ أنَّ ما عانى منه هو نفسه من حبسٍ واضطهاد لم يُضعِف البشارةَ بالإنجيلِ، بل، على العكس، ساهمَ، وهم يعرفون ذلك، بنشرِ الإنجيل (١: ١٢-١٤)، وهو لا يضطربُ من الذين يعاكِسون البشارةَ أو حتى يزجّونه في السجن (١: ١٥-١٨). فإذا كانت المعاناةُ والصعوباتُ التي قاساها قد ساهمت في انتشارِ كلمةِ الربِّ، فما يعانون منه سيؤدّي إلى نفسِ النتيجة. وفي كلِّ الأحوالِ، فإنَّ قوّةَ الثباتِ في المسيحِ تتصدّى لترهيبِ الأعداءِ أو لأيِّ شيءٍ آخر.

ويستعملُ القدّيسُ بولس تعبيرَ "**مخاصمتكم**" الذي يعني "الذين يقفون بوجهكم" أو "الذين لهم مواقف عدائيّة تجاهَكم"، وقد يأخذُ هذا التعبيرُ بُعدًا آخرَ ويعني المضطهِدين لكم، أكان هؤلاء من داخلِ الكنيسةِ أو من خارجِها (١٠: ١٥-١٨)، وفي كلِّ الأحوالِ، يؤكّدُ هذا القسمُ من الآية ٢٨ على تشجيعِ المؤمنين للوقوفِ تجاه أخصامِ الإنجيل في فيلبي[٤].

*** الآية ٢٨ب: إنَّ ذلك دليلٌ على هلاكٍ لهم، وخلاصٍ لكم.**

إنَّ الموقف العدائي تجاه الجماعة المؤمنة في فيلبي هو بذاتِ الفعلِ موقفٌ عدائي تجاهَ اللهِ والإنجيل، وسيؤدّي حتمًا إلى هلاكِهم. ولكنَّ الأهمَّ في هذا القسم من الآيةِ هو التشديدُ الجديدُ على عملِ الله الخلاصيِّ (١: ٦-١١)، وقد عبَّرَ عنه القدّيسُ بولس بكلمة "خلاص لكم"، لأنَّ ثباتَ المؤمنين تجاه أعداءِ خلاصِهم علامةٌ أكيدةٌ على حكم الله وتأكيدٌ مسبَقٌ للنصرِ الأخير (٢ تس ١: ٥-٧).

أمّا استعمال كلمة "دليل" والتي تعني برهانًا أو إثباتًا، ففيها تأكيدٌ حقيقيٌّ على هلاكِ مناهضيّ الإنجيل، وبالمقابل خلاصِ المؤمنين[٥].

*** الآية ٢٨ ج: وهو من الله**

يلفُّ القسم السابق من الآيةِ بعض الغموض: "هلاك لهم وخلاص لكم"، ولكنَّ التعبير "هوَ من الله" الذي تنتهي به، يُزيلُ الغموضَ ويوضِحُ مصدرَ الخلاصِ وسببَ الهلاك. فالقديس بولس يقولُ إنَّ أهلَ فيلبي نالوا الخلاصَ بما فعلَ الله من أجلِهم وبما سيفعلُه، لأنّه سيدمّرُ كلَّ أعداءِ الإنجيل: وهذا سيكونُ مصدرَ رجاءٍ لجماعةٍ مضطَهَدةٍ وتعاني الكثيرَ من المعاكسات.

(٣) رج حاشية حول عبارة "في سبيل الإيمان"، **في الكتاب المقدّس - العهد الجديد - الرسائل والرؤيا**، جامعة الروح القدس، الكسليك، ١٩٩٢، ص ٨٨٩.

(٤) بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس الى أهل فيلبي**، محطات كتابية ٤، الرابطة الكتابية، بيروت ١٩٩٦.

(٥) راجع حاشية حول عبارة "وخلاص لكم"، **في الكتاب المقدّس - العهد الجديد - الرسائل والرؤيا**، جامعة الروح القدس - الكسليك ١٩٩٢، ص ٨٨٩.

*** الآية ٢٩أ: لأنّكم قد أُنعمَ عليكم من أجل المسيح!**

تأتي كلمة "لأنّكم" في بدايةِ الآية لتربطَها بالآيةِ السابقة وخصوصًا بموضوعِ الخلاص، وبالتالي تعطي سببًا لنوالِ النِّعَم؛ والفعل "أُنعِمَ" (echaristhe) يعودُ بنا إلى كلمة "النعمة". ورغمَ صيغةِ المجهول، فمصدرُ النعمةِ تَوَضَّحَ في الآيةِ السابقة، وهو اللهُ نفسه.

وما أعطانا إيّاه الله هو أكثرُ من هديّة، ويحملُ كلَّ إيجابيّاتِ ومجانيّةِ الهديّة التي أُعطيت لنا بحرّيّة من أجل المسيح. وهذه الهديّة-النعمة هي، على المدى المنظور، هديّةُ المسيحِ نفسه لهم، ويجبُ استعمالُها بالتالي بحسب نوايا الواهب والتي تتوضّح في القسم الباقي من الرسالة[٦].

*** الآية ٢٩ب: لا أن تؤمنوا به فحسب.**

يعكسُ هذا القسم من الآية بشكلٍ واضح أسلوبَ القدّيس بولس ومبادئه؛ فالإيمانُ ليسَ بإنجازٍ شخصيٍّ، ولا يعودُ إلى استحقاقاتٍ خاصّة، إنّما هو عطيّةٌ ونعمة (روم ٣: ٢١-٢٨؛ غل ٢: ١٥-١٦؛ أف ١: ٣-٨؛ ٢: ٤-٩). والإيمانُ بالمسيحِ في هذا الإطارِ يحملُ معنيَين: فالمسيحُ هو موضوعُ وهدفُ الإيمانِ، من جهة، وهو بالتالي سببُ الإيمانِ، لأنّنا من أجلِه نؤمنُ، من جهة ثانية، وفي هذا ترتسمُ إيجابيّاتُ وخصوصيّةُ العطيّةِ-النعمة.

*** الآية ٢٩ ج: بل أن تتألموا من أجله.**

ينطوي هذا القسمُ من الآيةِ على تحوّلٍ غير متوقّع! فالنصُّ يشرحُ لنا بإسهابٍ كيف أنَّ الإيمانَ هو عطيّةٌ لا بل نعمةٌ عظيمة. ولكنَّ القدّيسَ بولس يضيفُ، وبطريقةٍ واضحة، أنَّ التألّمَ من أجل المسيحِ هو أيضًا نعمةٌ كبيرة يعطيها الله لبعضِ الناس لكي يتألّموا من أجلِ المسيح. فالبنيةُ المتوازنةُ في هذه الآية، تجعلُ الإيمانَ والألم بُعدَين أساسيّين لموضوعٍ واحدٍ هو الحياةُ في المسيح: الإيمانُ يعني اتّباعَ المسيح، وهذا الاتّباعُ يترافقُ في أغلبِ الأحيانِ مع الألمِ والاضطهاد (روم ٨: ١٧؛ فل ٣: ١٠).

وفي هذا الإطار، يتّضحُ أكثرَ فأكثر نداءُ القدّيس بولس وتحريضُه على الوحدةِ رغم الصعوبات، معطيًا للألم في حياةِ الجماعةِ المسيحيّة بُعدًا روحيًّا ولاهوتيًّا[٧].

*** الآية ٣٠: مجاهدين الجهادَ عينه الذي رأيتم فيّ وتسمعون الآن أنّه فيّ.**

من الواضح أنَّ أهلَ فيلبي يتشاركون في نعمةَ الإيمان والألم مع القدّيس بولس. فهذه النعمةُ التي نالوها من الربِّ تدفعُ بهم إلى الجهادِ نفسه والصمودِ أمامَ الاضطهادات والضيقاتِ والمعاكساتِ التي يواجهونها من نفسِ المصدر، وهو السلطاتُ الرومانيّة.

لقد شهدَ أهلُ فيلبي على المضايقاتِ والآلام السابقة التي تحمّلها القدّيسُ بولس خلالَ أسْرِه في فيلبي (أع ١٦: ١٩-٤٠؛ ١تس ٢: ٢)، وهم الآن يسمعون عنها مجدّدًا من خلال الرسالة. ويعلمُ القدّيسُ بولس أنّهم هم أيضًا تألّموا من أجلِ المسيح. ولكنَّ الآياتِ اللاحقةَ توضحُ بشكلٍ لا يقبلُ الشكَّ أنَّ التألّمَ من أجلِ المسيح أو من أجلِ الإنجيلِ لا يمكنُ أن يكونَ دون معنى أو خالٍ من الأبعادِ الخلاصيّة، إنّما هو قسمٌ أساسيٌّ أو جزءٌ لا يتجزّأ من اختيارِ الإيمان بالربِّ[٨].

خلاصة: هل الألمُ ضرورة لنشر رسالة الإنجيل؟

إذا كان التركيزُ في القسمِ الأوّل من الرسالةِ على ما قام به القدّيس بولس، فإنَّ هذا القسم (١: ٢٧-٣٠) والقسم الذي يليه (٢: ١٤-١٨) يتناولان بعضَ

(٦) *L'Epître de Saint Paul aux Philippiens* - Neuchâtel: Delachaux & Niestlé, 1973 (Commentaire du Nouveau Testament; 10a).

(٧) *Les Epîtres de Paul.* 3, *Ephésiens, Philippiens, Colossiens, 1-2 Thessaloniciens, 1-2 Timothée, Tite, Philémon:* Commentaire pastoral, - Paris: Bayard-Centurion, 1997.

(٨) بولس الفغالي، رسالة **القديس بولس إلى أهل فيلبي**، محطات كتابية ٤، بيروت : الرابطة الكتابية، ١٩٩٦.

التوصيات والتوجيهات التي تطالُ سلوكيّةَ الفيلبيين في إطار الاضطهاد والعذاب والنضال من أجلِ الإنجيل، مع التأكيد أنَّ التألّمَ هو نعمةٌ من عند الله.

إنَّ طابَعَ الأمرِ الذي تبتدئُ فيه الآية ٢٨ يطبعُ النصّ بكامله: "فسيروا سيرةً جديرة بإنجيل المسيح". ويذكّر القدّيس بولس أهل فيليبي أنَّ السيرةَ التي تليقُ بإنجيل المسيح ترفضُ الخوفَ والترهيبَ، وتعلنُ قبولها الألمَ كعطيّةٍ من الربِّ وتحدّدُ صفاتِ الإنسانِ بالمسيح الذي يجسّدُ الإنجيل في طريقةِ عيشه واتّحادِه مع الآخرين بروحٍ واحدةٍ ونفسٍ واحدة، وهو يظهر كامل استعداده ليقبلَ نعمةَ التألّم والشهادة للإنجيل من دون خوفٍ أو تردّد.

ومن مميّزات الرسالة أيضًا، والتي تظهر بنوعٍ خاصّ في هذا القسم، هو اتّحادُ القدّيس بولس مع الفيلبّيين في الآلام والصعوبات من أجلِ يسوع المسيح.

وفي هذا الإطار، تتوضّحُ صورةُ الألم في المفهومِ المسيحي الذي يصلُ إلى معناه الكلّي عندما يتألّمُ المؤمنون ويقبلونَ بذلك، لا لأنّهم مسيحيّون وحسب، بل من أجلِ نشر رسالةِ الإنجيل.

وقد سبق ونبّه الربُّ يسوع إلى ذلك حين قال لتلاميذه: "ستعانون ضيقًا في العالم" (يو ١٦: ٣٣). ولكنّه، وفي الوقت عينه، أشار إلى تعزيةٍ وإلى معنىً لموضوع الألم هذا. فيسوعُ المسيح ابنُ الله تألّمَ من أجلِ خلاصِ العالم. وتألّم المسيحيّون من أجلِ الآخرين، وخصوصًا من أجلِ إيصالِ خلاص الإنجيل إليهم، ليس أبدًا بشرٍّ يجب تجنّبه، بل هو نعمةٌ، لا بل مثالٌ يجب أن يحتذى به وأن يتمَّ قبولُه رغمَ قساوتِه. وفي النهاية، يصبح الألم والاضطهاد والضيقات ليس إلاّ وسائلَ للتعرّفِ أكثرَ فأكثر إلى قوّة القيامةِ ومجدِها.

المراجع

- **الكتاب المقدّس – العهد الجديد – الرسائل والرؤيا**، جامعة الروح القدس – الكسليك، ١٩٩٢.
- الفغالي بولس، **رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي**، محطات كتابية ٤، الرابطة الكتابية، بيروت ١٩٩٦.

L'Epître de Saint Paul aux Philippiens. - Neuchâtel: Delachaux & Niestlé, 1973. (Commentaire du Nouveau Testament; 10a).

Les Epîtres de Paul. 3, Ephésiens, Philippiens, Colossiens, 1-2 Thessaloniciens, 1-2 Timothée, Tite, Philémon: Commentaire pastoral. - Paris: Bayard - Centurion, 1997. (Commentaires).

The Epistle to the Philippians. - Peterborough: Epworth Press, 1992. - XXXII - (Epworth commentaires).

Bonnie B. THURSTON & Judith M. RYAN, *Philippians and Philemon*, Liturgical Press: Collegeville: Minnesota 2005.

فل ٢: ١-٤

عيشوا في الوحدة !

الأب د. أنطوان مخايل

أستاذ مادة اللاهوت العقائدي في جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدمة

يأخذ القسم التوجيهيّ من رسالة بولس إلى أهل فيلبّي، والذي يبدأ في الفصل الأول، آ ٢٧، انطلاقة جديدة في الفصل الثاني، آ ١. في الآيات السابقة، كان الرسول قد حضّ الجماعة على أن تبقى موحّدة في مواجهة المندسّين من الخارج، الذين يريدون هلاكها (١: ٢٨). في ٢: ١ يتغيّر اهتمام بولس باتجاه الداخل، فيحذّر من خطر الانقسامات في الجماعة، ويشدّد على الاتفاق والوحدة الداخليّين.

كانت جماعة فيليبّي تواجه إذًا، في الوقت نفسه، إضطهادًا من الخارج، وانقسامًا من الداخل، مما دفع الرسول إلى أن يحضّ المؤمنين، بلهجة شبه متوسّلة، على أن يبقوا موحّدين لمواجهة هذا الوضع الدقيق.

١. تركيبة النصّ وأسلوبه

تشكّل الآيات ١–٤ من الفصل الثاني من رسالة بولس إلى أهل فيلبّي وحدة أدبيّة متماسكة يكرّر فيها بولس المفاهيم الأساسية التي ظهرت مسبقًا في الرسالة (الفرح، الحبّ، الوحدة)، ويشدّد، بشكل خاص، على الدعوة إلى الوحدة. مثل هذه الدعوة تبدو ممكنة بالنظر فقط إلى مثال المسيح، وهو ما سيتبع في ٢: ٥–١١.

يفتتح بولس هذا المقطع من رسالته بأربعة شروط، حيث تشير التركيبة اليونانيّة للجمل إلى جواب إيجابيّ على الشروط. فكلام بولس يوحي بأن عند أهل فيلبّي ما يشترطه منهم. يستعمل بولس الشرط كتحضير لطلب. بما أن مؤمني فيلبّي يختبرون حقيقة هذه الأشياء، فهو يمكنه أن يطلب منهم أن "يتمّوا" (πληρωσατε). يؤكّد على ذلك ثناء بولس على أهل فيلبّي في الآيات التي سبقت في ١: ٢٧–٣٠، حيث يشير الرسول إلى أن حياة أهل فيلبّي، وبخاصة مشاركتهم في الألم، هي حياة موافقة للإنجيل.

يبدأ بولس تفكيره بجملة طويلة ذات وقع متوازٍ مما يعطي نبرته عظمة واحتفاليّة، فيما يتألف القسم الثاني من الجملة من طرح استهلاليّ تتبعه ثلاث مراحل تحدّد كل واحدة بآية، والجملة التي تلي تشكّل خاتمة الجملة الأولى الطويلة.

من ناحية الأسلوب، يلجأ بولس، في هذا النصّ، إلى صور تعارضٍ أو تكرار. صورة التفكير الوحيدة هي الطباق حيث تشكّل آ ٢ التأكيد الأساسي، فتقدّم لها الآية الأولى، وتشرحها الآيتان ٣ و٤. كما يتميّز هذا المقطع باستعمال المماثلة في الآيات الأربعة الأولى، وبصورة توسيع ذات نفحة شعوريّة، إذ إن بولس يحاول بشتّى الطرق أن يثير عواطف مستمعيه.

بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ أن الرسول يغيّر، في هذا المقطع، من لهجته بشكل مفاجىء. ففيما تشكّل الآيات ١: ٢٧–٣٠ طرحًا (بحيث نصادف في ١: ٢٧ سلسلة من التعابير تتم استعادتها في سائر أجزاء الرسالة، الحضّ على الوحدة مثلاً)، تشكّل الآيات ٢: ١–٤ برهانًا ينطلق من

الطرح، فالبرهان، فتأكيد البرهان، وإبرازه وإلى الخلاصة. لدينا في هذه الآيات شرحٌ قصيرٌ، تقدّمه عبارة "فإذا" (ουν)، التي تعبّر عن رابط منطقيّ، وتقود دور الجملة البرهانيّ.

٢. تبرير المناشدة (آ ١)

نجد أساس التفسير الذي يبرّر الدعوة إلى الوحدة التي يطلقها بولس في آ ١ حيث يطوّر أربعة أسباب يقدّمها أو يتسهلّها بصيغة "ει τις/τι". لقد لاحظنا مدى مكانة العاطفة في هذه الآية، وهي تدعم مجرى الحديث وبراهينه. يمكّننا تحليل هذه التعابير المختلفة من أن نفهم تمامًا ما رمى إليه بولس. إننا نصادف نفس هذه الطريقة في الأسلوب في ٢ قور ١١: ٢٠.

يبرّر بولس تحريضه على الوحدة بصورة بلاغيّة من أربعة عناصر:

١) "فإذا كان عندكم شأن للمناشدة بالمسيح..."

يشدّد بولس في هذه الجملة على موضوع قلقه، ويعتبر أن تحقّق هذا القلق هو البرهان الحاسم على قيمة الجماعة. تشكّل هنا كلمة "مناشدة" (παρακλησις) العبارة الأساسية في تحريض الرسول. فهي تفترض تدرّجًا في المعنى: من الدعوة التي تناشد، إلى الطلب الذي يحرّك الشعور، فالكلمة التي تشجّع وتعزّي. يرى بعض الشرّاح أن هذه العبارة قريبة، في جذرها، من عبارة "παρακλετος" اليوحنّوية: في المكانين، إنه المسيح الذي يستدعى، بروحه، للوقوف إلى جانب المؤمنين.

للمناشدة إذًا، على فم بولس، نقطة انطلاقها الدائمة في الخلاص المحقّق بالمسيح: إنها مناشدة "بالمسيح" (εν Χριστω)، وبهذا تتميّز عن كل شكل من أشكال التعليم والفلسفة الأخلاقية غير المؤثّرة. كما لا يريد بولس أن يفهم كلامه على أنه مجرّد إعطاء أوامر. فهذه التعزية هي تلك التي يمكننا أن نستخرجها من أخوّة المسيحيّين وشراكتهم، بشكل خاصّ عندما يجتمعون للعبادة، وكتلك المبادرة التي قام بها المؤمنون في فيلبّي لصالح الرسول. إنها تعزية "في المسيح" أي أنها تنبع من الحدث المسيحانيّ، وبالتالي يجب أن تسود في الجماعة التي هي في المسيح. يريد بولس أن يفهم سامعيه أن هذه المناشدة ليست مسألة شخصيّة، ولكنّها تأتي من المسيح نفسه. يتوافق هذا الطابع الرسمي للمناشدة مع أسلوب هذه الآية البليغ.

٢) "ولما في المحبّة من تشجيع"

في العصر الهلّيني، كان لعبارة "تشجيع" معنى عاطفيّ يدلّ على "التشجيع، والنصح، والتقوية، والتهدئة من خلال كلمات طيبّة، والتلطيف، والتسكين". في القرن الأول وفي بداية القرن الثاني، دخلت هذه التعزية أكثر في إطار حزن وصعوبات، وبخاصة في التعزية بالموت (وهذا ما يتوافق مع استعمال يوحنّا لها). يمكن لفعل "شجّع" أن يعبّر إذًا عن طريقة هادئة ولطيفة في الكلام تؤثّر في الشخص لتؤاسيه، ولكن أيضًا لتقنعه بالعمل. يعبّر الاسم النكرة عن هذا التشجيع وهذه المعونة المقوّية لكلّ من يواجه الشدائد والصعوبات.

لكن ماذا تعني عبارة "لما في المحبة من تشجيع"؟ الإشارة الوحيدة إلى المحبّة في هذه الرسالة هي في ١: ٩، ١٦، وتدلّ على محبّة أهل فيلبّي لبولس. لقد تجلّت هذه المحبة، بشكل خاصّ، في المساعدة التي قدّمها أهل فيلبّي إلى الرسول (١: ٩)، مما أظهر متانة "الشركة في الروح" بينهم. من الطبيعيّ إذًا أن نرى هنا إشارة إلى تلك المحبّة التي يكنّها أهل فيلبّي للرسول، والتي هي مصدر تعزية وتقوية له (هو الأسير).

٣) "والمشاركة في الروح" (ει τις κοινωνια πνευματος)

تعني كلمة "الروح" هنا أمرين: الروح القدس أو الروح البشريّ. لكنّ معظم الشرّاح يتفقون على المعنى الأول، مقارنة مع ما يرد في ٢ قور ١٣: ١٣: "...وشركة الروح القدس معكم جميعًا (η κοινωνια του αγιου πνευματος). هناك ثلاثة تفاسير ممكنة لهذه العبارة: أن يكون المجرور

"الروح" هو موضوع التأكيد، فتعني العبارة عندئذ "الشركة مع الروح"؛ أو أن يكون فاعل التأكيد، فتعني العبارة "الشركة التي يسمح بها الروح"؛ أو أن يكون المجرور مرادفًا، فتعني العبارة "الروح الذي هو الشركة". كلّ من المعاني الثلاثة يصحّ في هذا الإطار. يستدعي بولس شراكة أهل فيلبّي الجماعيّة في الروح، مصدر وحدة بين المؤمنين، وحجة يمكنها إزالة كلّ خصام وانقسام.

٤) "والحنان والرأفة"

يمثّل "الحنان" (Σπλαγχνα) مركز أحاسيس العاطفة والتقوى والرحمة. وبولس يستعملها في هذا المعنى في ٢ قور وفلم، مطوّرًا، بشكل خاصّ، المعنى العاطفيّ لهذه العبارة. "فأحشاء أهل قورنتس" أو "أحشاء فيلمون" تتّسع أو تضيق تبعًا لنوع عاطفتهم. كما ينسب هذا العضو إلى المسيح في فل ١: ٨؛ وهذا الاستعمال الأخير هو الذي سيبقى في ذهن سامعيه من أهل فيلبّي. لهذه العبارة إذًا معنى أكثر عاطفيّة مع لمسة حنان، وهو يرجعنا إلى اختبار المؤمنين الجماعيّ.

أمّا "الرأفة" (οικτιρμοι) فتشير إلى الأحشاء (الرحم). في الترجمة السبعينيّة، تنسب هذه العبارة إلى الله غالبًا (٣١ استعمالاً من أصل ٣٨)؛ وفي العهد الجديد، لا تظهر سوى عند بولس (روم ١٢: ١؛ ٢ قور ١: ٣؛ فيل ٢: ١؛ كول ٣: ١٢)، وفي الرسالة إلى العبرانيّين (عب ١٠: ٢٨). يستعمل الرسول هذه العبارة بإشارة دائمة إلى الله، وذلك للحديث عن رحمته. أما استعمالها هنا بصيغة الجمع، فللدلالة على الأشكال المتعدّدة التي يظهر الله رحمته من خلالها.

باختصار، يبرّر بولس مناشدته للوحدة في المبادىء الموضوعيّة (الخارجيّة) للمحبّة وللتناغم، وفي اختبار المؤمنين للحياة الجماعيّة، وبشكل خاصّ في روابط العاطفة بينهم وبين بولس.

٣. مضمون المناشدة (آ ٢)

على الرغم من أن كنيسة فيلبّي هي كنيسة عزيزة، بشكل خاص، على قلب بولس، وهو ما فتىء يقدّم عنها شهادة خاصّة، إلا أن نزاعات بين بعض الأشخاص قد دخلت إليها. فهو قد لاحظ نقصًا في المحبّة بين أعضائها. لكن بما أن الرسول لا يتكلّم على طبيعة هذه النزاعات، فمن الصعب أن نتصوّر حقيقة الوضع[1]. يبدو التناغم والسلام في الجماعة في خطر.

لكن قبل أن يعبّر بولس بقوّة عن صلاته لأجل ترميم الاتفاق والوحدة، والحفاظ عليها، يشير إلى الفرح الذي يشكّل ميزة هذه الرسالة. "فأتمّوا فرحي" (آ ٢)؛ فأي فرح يمكن لبولس الراعي والرسول المحروم من حرّيته أن يشعر به، أعظم من فرحه بمعرفة ثبات جماعته في الإيمان والمحبّة؟!

لكن على الرغم من أن أهل فيلبّي قد قاموا بالكثير مما يُفرح الرسول، إلا أن حالة الجماعة قد أصبحت الآن باعثًا على القلق. يستعيد هنا بولس موضوع القرار الذي يريد من أهل فيلبّي أن يتّخذوه، وهو قرار يجد أساسه في علاقة الصداقة التي تربطهم به. لا يعطينا بولس دافعه الحقيقيّ، أي مشاكل الجماعة الداخليّة، ولكنه يحوّر السبب الحقيقيّ ويحوّله إلى مسألة شخصية. بهذه الطريقة، لا يشعر أهل فيلبّي بأنهم مقصودون مباشرة في هذه المسألة.

من ثمّ، يشير الرسول إلى الدافع الحقيقيّ لطلبه الذي يطوّره في طرحين يشكّلان نوعًا من توقّف طويل. يحدّد الطرح الأول النعت "واحد". يشدّد بولس على وحدة القلب والفكر والرأي، وعلى التماثل في الموقف الأخلاقي. لكن ما هو مضمون هذه المناشدة؟

١) "بأن تكونوا على رأي واحد"

(το αυτο φρονητε)

توحي هذه العبارة بموقف فكريّ،

(١) قد يكون لهذه الاختلافات علاقة بالمرأتين "أفودية وصنطيخة" المذكورتين في ختام الرسالة (٤: ١ ي).

وهي عبارة مفصليّة في كلّ الرسالة (أنظر ١: ٧؛ ٢: ٥؛ ٣: ١٥، ١٩؛ ٤: ٢٠). يطلب بولس من أهل فيلبّي أن يكونوا مستعدّين لأن "يفكّروا معًا"؛ فهو يدرك جيّدًا بأن روح التشيّع والمجد الباطل، وروح المنافسة والعُجْب هي وراء خراب الحياة المشتركة. يشدّد الرسول على ضرورة أن يواجه المؤمنون هذا الخطر من خلال اتحادهم في النيّة وفي الاستعدادات الفعّالة. تبرز هذه الوحدة كمشروع يتجسّد في أعمال ملموسة، ويحمل حياة الجماعة كلّها. ليس من قبيل الصدفة أنه، من بين الاستعمالات الثلاث والعشرين لهذه العبارة في الرسائل البولسيّة، عشرة منها ترد في هذه الرسالة[٢]، مما يدلّ على أهميتها.

٢) "ومحبّة واحدة وقلب واحد وفكر واحد"

يجب أن تتجلّى هذه الوحدة في طواعيّة للنفس، وأن تترجم بوحدة في موضوع الإرادة، وحدة تنبع من الحبّ المتبادل، ومن وحدة الفكر. على أهل فيلبّي أن يحبّوا كما أنهم هم محبوبون. يشير تكرار بولس لعبارة "واحد" إلى رغبته الملحّة في أن يرى الوحدة متحقّقة بين مؤمني هذه الجماعة. وهذا ما تبرزه عبارة "نفس واحدة" (συμψυχοι). في الفلسفة الهلّينية، كانت هذه العبارة تشير إلى مبدأ الحياة البشرية. يطلب بولس من مؤمني فيلبّي أن يتشاركوا في مبدأ الحياة نفسه، لدرجة الوصول إلى وحدة "جسديّة"، وإلى وحدة "فكريّة" في ما بينهم.

٤. نتائج خيار أهل فيلبّي (آ ٣ و٤)

تطوّر الآيتان ٣ و٤، من خلال طباقين متقابلين، كيف يجسّد أهل فيلبّي خيار الوحدة هذا في وجودهم بطريقة ملموسة. تترجم المقابلة الأولى موقفًا داخليًّا: الحكم الذي نطلقه على الآخرين؛ وتقدّم المقابلة الثانية موقفًا خارجيًّا: العناية بالآخرين. يبدو الموقف الثاني نتيجة للموقف الأول. فإذا كنت اعتبر الآخر أكبر منّي، فأنا لا أتردّد لحظة واحدة في أن أضع نفسي في خدمته.

يحدّد بولس إذًا الموقف الواجب اتخاذه، سلبيًّا كنقيض للمنافسة والعجب، وإيجابيًّا كتواضع.

١) "المنافسة والعجب" (εριθεια, κενοδοξια)

تشير المنافسة في فل ١: ١٧ إلى موقف المناوئين لبولس، الذين يبشّرون معتقدين أنهم بذلك يزيدون من ثقل قيوده. إنه الطموح الشخصيّ الذي يسبّب الانقسامات. أما كلمة "عُجْب" فكانت تشير، في الأدب الهلّيني–الرومانيّ، إلى أولئك الذين يقدّرون أنفسهم عاليًا من دون أي أساس. أما بولس فيستعملها أربع مرّات في الرسالة للإشارة إلى مجد الله (١: ١١؛ ٢: ١١؛ ٤: ١٩، ٢٠)، ومرّة للإشارة إلى مجد المسيح القائم (٣: ٢١)، ومرّة للإشارة إلى الذين يضعون مجدهم في بطونهم (٣: ١٩). هذا يعني أن هذه العبارة لا تشير إلى مجد بشريّ باطل فقط، بل إلى المجد الذي يتناقض كليًّا مع المجد الحقيقيّ، مجد الله[٣].

٢) "التواضع" (ταπεινοφροσυνη)

هو فضيلة خاصة في العهد الجديد. في اللغة اليونانيّة الأدبية، تشير هذه العبارة النادرة إلى حالة عبوديّة محقّرة. أما العهد القديم فيستعمل بكثرة عبارة "ταπεινος"؛ في كتابات قمران هي فضيلة مقدّرة بقوّة كعنصر ضروريّ في حياة الجماعة. في العهد الجديد، تظهر هذه العبارة سبع مرّات (أع ٢٠: ١٩؛ أف ٤: ٢؛ فل ٢: ٣؛ كول ٢: ١٨؛ ٢: ٢٣؛ ٣: ١٢؛ ١ بط ٥: ٥). تشهد هذه المراجع مجتمعة

(٢) يرى بعض الشرّاح مناسبة أخرى ممكنة لتحريض بولس هذا، وهي التنبيه من خطر المبشّرين المناوئين، الذي كان قد عالجه في الفصل الأول (الآيات ١٥–١٨). يجب أن تترافق وحدة العمل مع وحدة النيّة. فما يقدّمه الرسل الكاذبون ليس الاختبار المسيحيّ الذي يعيشه مؤمنو فيلبّي، لأن هذا الاختبار هو اختبار حبّ وشراكة في الروح، في المسيح.

(٣) يرى بعض الشرّاح في هاتين العبارتين تلميحًا إلى موقف الكائنات السماويّة المتمرّدة، والمذكور في كتاب أخنوخ، وفي الترجمة اللاتينيّة لحياة آدم وحوّاء، حيث يقول الشيطان بصراحة لآدم: "أمور الأرض لي، وأمور السماء لله".

على أن التواضع هو الأساس الضروري لحياة الجماعة. بين المسيحيّين، على كلّ واحد أن "يتواضع ويعدّ غيره أفضل منه" (آ ٣). لا يعني التواضع أبدًا وضاعة النفس والعبوديّة، لأنه يتجذّر، في الحقيقة، في الشعور بأن الله لا يميّز إنسانًا، وبأنه يختار عن حقّ أولئك المتواضعين والمنبوذين ليخزي الأقوياء والمتكبّرين (١ قور ١: ٢٧). فالتواضع الذي يتجلّى في الخدمة المتبادلة، والاهتمام المحبّ الواحد بالآخر، هو الموقف الذي يميّز الجماعة المسيحيّة، ويجعل الحياة المشتركة ممكنة فيها. أما عبارة "يعدّ غيره أفضل منه" فيراد منها التشديد على ضرورة أن يعرف كلّ واحد مكانه الصحيح بعلاقة مع المسيح، وبعلاقة مع الآخرين. يجعل حبّ المسيح المؤمنين متساوين. فالجميع "عبيد" لنفس السيّد، وبالتالي على كل واحد أن يرى في الآخر المسيح الذي أحبّه.

٣) "الاهتمام بالآخرين والدعوة إلى التواضع" (آ ٤)

يقيم بولس تعارضًا واضحًا بين موقف المنافسة والعُجْب، وبين التواضع والاهتمام بالآخرين. يجب على كلّ واحد أن يعتني بالآخرين أكثر من اعتنائه بنفسه. من الناحية الاجتماعيّة، كانت جماعة فيلبّي تضمّ في داخلها أعضاء من فئات اجتماعيّة مختلفة. ومن المعلوم تاريخيًّا، أن بعضًا من سكّان فيلبّي هم في الأصل مواطنون رومانيّون نُقلوا إليها بعدما جرّدهم الإمبراطور أوكتافيوس من ممتلكاتهم بعد معركة أكتيوم (Actium) سنة ٣١ ق.م. هذا ما جعل جماعة فيلبّي معرّضة لأن تنقل إليها التركيبات الاجتماعيّة الرومانيّة (الطبقيّة).

لقد واجه بولس إذًا مشكلة أساسية في جماعة فيلبّي، وهذا ما عكسته لهجة خطابه الاحتفاليّة، وعمق برهانه اللاهوتي في هذه الآيات. بالنظر إلى المعنى السلبيّ لعبارة "التواضع" في العالم اليونانيّ ـ الرومانيّ، يمكننا أن نتصوّر مدى التأثير الذي ستتركه هذه الكلمات على المستمعين في فيلبّي، حين يدعوهم بولس إلى القيام بانقلاب حقيقيّ في القيم التي يعيشونها. لكن علينا انتظار آ ٥ من هذا الفصل لندرك مدى فرادة هذا المقطع: من خلال استعادته لعبارة "الشعور" (φρονειν)، يقدّم بولس المسيح نموذجًا في التواضع.

في شرحه لهذا المقطع من الرسالة إلى أهل فيلبّي، يقول اللاهوتي الكبير **كارل بارت** (K. Barth ١٩٦٨): "على كل واحد أن ينزل عن العرش الذي يجلس عليه، ويبحث عن الغاية الواحدة، تلك التي تقود الجميع إلى الوحدة. فوحدتنا كمؤمنين تأتي نتيجة إدراكنا لكوننا جميعًا خطأة افتداهم المسيح. علينا إذًا أن ننزل أنفسنا عن العروش في سبيل خير الآخرين والجماعة، واثقين بأنهم سيقومون بنفس العمل تجاهنا"[٤]. هنا يكمن جوهر المسيحيّة.

المراجع

COLLANGE J. F., *L'épître de Saint Paul aux Philippiens*, Delachaux et Niestle, 1973, pp. 71-74.

EDART J. B., *L'épître aux Philippiens, Rhétorique et composition stylistique*, Études bibliques, 45 (nouvelle série), Paris, Gabalda, 2002, pp. 115-127.

GNILKA J., *La lettre aux Philippiens*, Desclée, Paris 1970, pp. 38-40.

Id, «La carrière du Christ, appel à l'union et à la charité: Ph 2: 1-11», *AS* 57, Paris, Cerf, 1971, pp. 12-19.

SCHLIER H., «Le caractère propre de l'exhortation chrétienne selon Saint Paul», Id, *Essais sur le Nouveau Testament*, LD 46, Cerf, Paris, 1968, pp. 393-406.

THURSTON B. and RYAN J., *Philippians and Philemon*, Sacra Pagina Series 10, Liturgical Press, Minnesota, pp. 72-79.

(٤) Cité par B. THURSTON and J. RYAN, *Philippians and Philemon*, Sacra Pagina Series 10, Liturgical Press, minnesota, pp. 76.

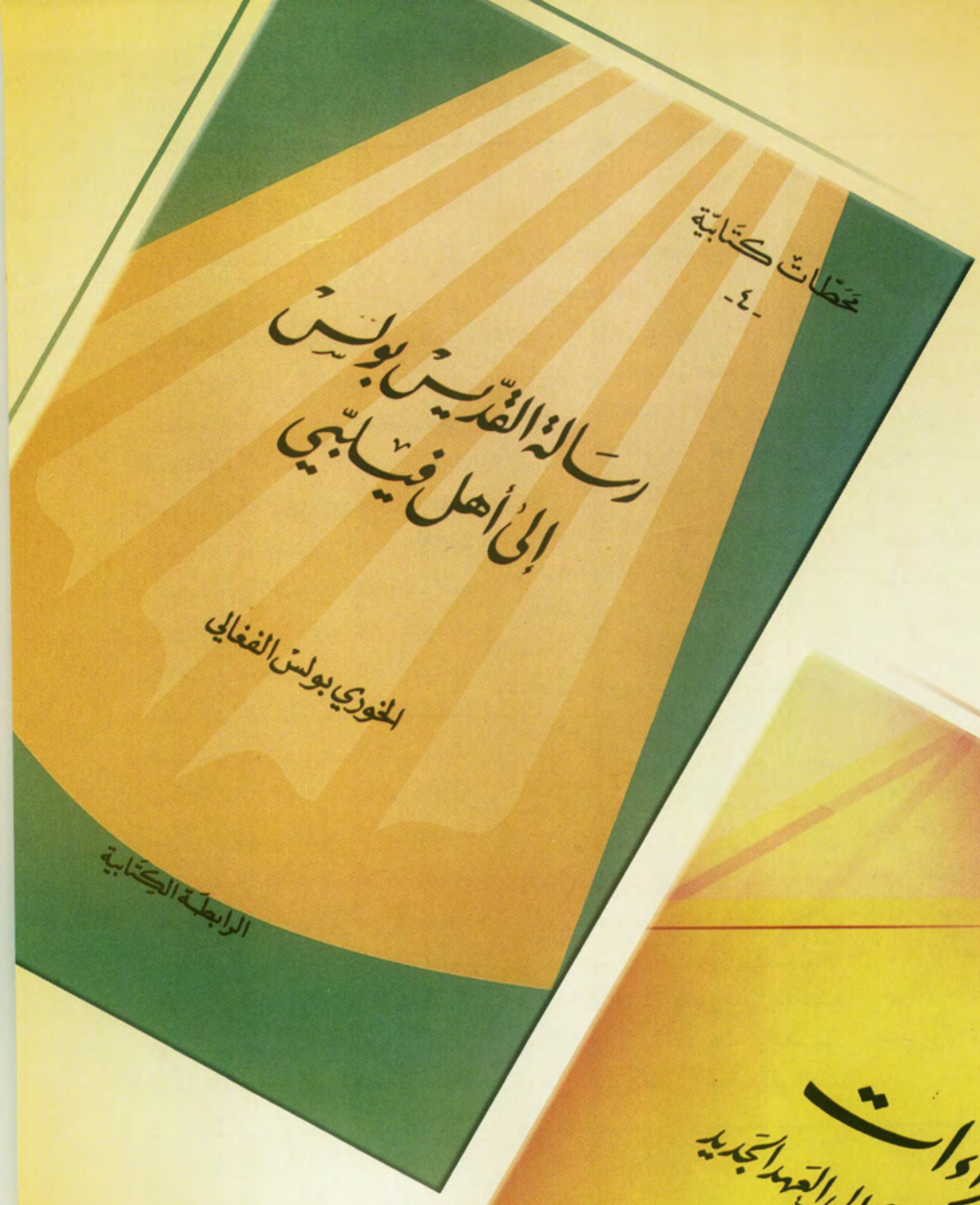
محطات كتابية
-٤-
رسالة القديس بولس
إلى أهل فيلبي
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابية

محطات كتابية
-٣١-
قراءات
من سفر التكوين إلى العهد الجديد
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابية

فل ٢: ٦-١١

"وأخلى ذاته": المسيحُ مثالٌ للمؤمنين

الأخت دولّي شعيا
مُجازَة في علم الكتاب المقدّس

مقدّمة

إذا كانت قوّةُ نصٍّ ما تكمُنُ في عدد الكتابات التي تدور حوله، فإنّ فل ٢: ٦-١١ يُحسب من النصوص الأكثر جاذبيّة في العهد الجديد، إن كان للبحث العلمي أو للتأمّل اللاهوتي على السواء. رأى العديد من العلماء في هذا النصّ نشيدًا ليتورجيًّا قديمًا استعمله بولس وعدّله بشكلٍ متقارِب، وذلك بسبب ندرة المفردات المستعملة في النصّ والأوزان الشعريّة الكثيفة[1]. لكن تسميته "نشيدًا" لا تخلو من الالتباس، لأنّه لا يمكننا أن نؤكّد إذا كان هذا النشيد قد استُعمل في الليتورجيّا أم لا، وذلك لأنّنا لا نعلمُ الكثير عن أناشيد الجماعةِ المسيحيَّةِ الأولى. لكنَّ الموازاة والتضامين في المقاطع من حيث تركيبها تجعل من نوع النصّ الأدبي نشيدًا، لا بل مديحًا للمسيح[2]. فماذا يريد أن يبيّن الرسول بولس من خلال استعمال هذا النشيد؟ ولماذا في هذا الموقع من الرسالة إلى أهل فيليبّي؟

١. تحديد النصّ

يُحدّد العديد من الشرّاح بداية هذا النشيد في آ ٥. لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار التغيير اللغوي والأسلوبي والانتقال من نوعٍ أدبيّ إلى آخر، نجد أن النشيد يبدأ في آ ٦. في آ ٥ يُرشد بولس أهل فيليبّي متوجّهاً إليهم بالكلام (المُخاطب الجمع)، أمّا في آ ٦ فيبدأ بالتكلّم عن المسيح (الغائب المفرد) دون أن يشير إلى أيّ أشخاصٍ آخرين غير المسيح والآب ومن سيسجد للابن بشكلٍ عام دونَ تحديد. بين الآيتَين ٥ و٦ هناك انتقال من الأسلوب الإرشادي بصيغة الأمر إلى الجمل التي يتراكم فيها اسم الفاعل واسم المفعول. هذا الانتقال من أسلوب الحضّ إلى الإلقاء الشعري يبدأ نوعًا أدبيًا آخر هو "النشيد". إذًا يبدأ هذا النشيد في آ ٦ وينتهي في آ ١١.

٢. بنية النصّ

أ. وهو لمّا كان في صورة إله، ما حسب مساواتَهُ للهِ غنيمة بل أخلى ذاته، مُتَّخذًا صورةَ عبدٍ (δοῦλος) (٦ب-٧ب)

ب. لمّا كان في شبه الناس، وظهرَ في مظهرِ إنسان، واضعَ ذاته، مُطيعًا (ὑπήκοος) حتّى الموت، الموت على الصليب (٧ج- ٨)

ب'. فلذلكَ رفعهُ اللهُ جدًّا (ὑπερύψωσεν) ووهبهُ الاسمَ الذي يعلو (ὑπερ) كلَّ اسمٍ (٩)

---

(١) نذكر منهم:
E. LOHMEYER, *Kyrios Jesus*, Eine Untersuchung zu Phil. 2,5-11 (SHAWPH 1927-28.4; Heidelberg 1928).

(٢) Cf. F. BIANCHINI, *L'elogio di Sé in Cristo*. L'utilizzo della περιαυτολογία nel contesto di Fil 3,1-4,1 (AnBib 164; Roma 2006) 231.

أ. لكي تجثو باسمِ يسوع كلُّ رُكبةٍ من في السماءِ وعلى الأرض وتحتَ الأرض، ويعترِفَ كلُّ لسانٍ أنَّ يسوع المسيح هو الربّ (κύριος) لمجدِ اللهِ الآب (١٠-١١)[٣]

تشكّلُ الآيات ٦-٨ تباينًا مع الآيات ٩-١١؛ فالآيات ٦-٨ تبيّن مبادرة المسيح في حركةٍ تنازليّة تبدأ بالتجسّد وتقوده إلى الموت على الصليب، دون أن يعطى له أيُّ اسمٍ أو لقب. هذا الواقع يدلّ على اقترابِ المسيح المستمرّ من الإنسان، من مصير الإنسان المُذَلَّل. أمّا الآيات ٩-١١ فهي تمثّل مبادرة الله، المعاكِسَة لمبادرة المسيح التنازليّة[٤]، بحركةِ إعلاءٍ تصاعديّة تبينّ هويّة المسيح الثابتة والنهائيّة، لأنّه يحصل على اسمٍ (ووهبه الاسم الذي يعلو كلّ اسمٍ) وَلَقَب (ويعترفَ كلّ لسانٍ أن يسوع المسيح هو الربّ)[٥].

٣. تفسير النصّ

٣. ١ مسار المسيح التنازلي (آ ٦-٨)

تشكّلُ الآيات ٦-٧ب وحدةً في ذاتها وهي تقومُ على تباينٍ بشكلٍ متواز. ليس هذا وحسب، إنّما يمكننا أن نلاحظ أيضاً موازاةً بين الآيات ٦-٧ب والآيات ٧ج-٨ على الشكل التالي:

٦-٧ب	٧ج-٨
وهو لمّا كان في صورة إله (μορφῇ Θεοῦ)	لمّا كانَ في شِبهِ النَّاس (ὁμοιώματι ἀνθρώπων)
ما (ου) حسب مساواته لله (ἴσα Θεῷ) غنيمة	وظَهَرَ في مظهَرِ إنسان (ὡς ἄνθρωπος)
بل (ἀλλά) أخلى ذاته (ἑαυτὸν ἐκένωσεν)	واضعَ ذاتهُ (ἐταπείνωσεν ἑαυτόν)
متّخِذاً صورة عبدٍ (μορφὴ δούλου)	مُطيعاً (ὑπήκοος) حتّى الموت، الموت على الصليب

ما يلفت الانتباه في هذه المقارنة بين الآيات هو صياغة الجمل؛ فالنص لا يقول: "الذي كان إلهًا أخلى ذاته من الألوهة وصار إنسانًا"، إنّما المسيح الذي لم يُرد أن يُعَظَّم كإله، اختار أن يكون في "شبه الناس"[٦]. في الآيات ٦-٧ب يظهر تخلّي المسيح عن مجده الإلهيّ المعبَّر عنه بالتناقض: "صورة إله" (آ٦) و "صورة عبد" (آ٧ب). وفي الآيات ٧ج-٨ يظهر التدرّج التصاعدي نحو الإخلاء التامّ على الصليب.

٣. ١. ١ الإخلاء (آ٦-٧ب)

فسَّرَ آباء الكنيسة الآيات ٦-٧ كتعبيرٍ عن تجسّد المسيح إلى أن أتى عصر القدّيس أمبروسيوس والآباء الذين أتوا بعده وفسّروا هذه الآيات كوجود المسيح الأزلي في حضن الآب[٧]. لكن بولس هنا في إرشاداته إلى أهل فيلبّي لا يشير إلى المسيح الأزلي، بل إلى المسيح الأرضي المتجسّد الذي احتضن إنسانيّتنا بالمحبّة والتسامح. لذلك

(٣) Cf. J.-N. ALETTI, *Saint Paul, Épître aux Philippiens*. Introduction, Traduction et Commentaire (EB 55; Paris 2005) 145.

(٤) Cf. R. J. KARRIS, *A Symphony of New Testament Hymns*. Commentary on Philippians 2: 5-11, Colossians 1: 15-20, Ephesians 2: 14-16, 1 Timothy 3: 16, Titus 3: 4-7, 1 Peter 3: 18-22, and 2 Timothy 2: 11-13 (Collegeville, Minnesota 1996), 43.

(٥) إنّ الترداد في النصّ ليبيّن هذا الواقع: الاسم (٣ مرات) و يسوع (مرّتين).

(٦) يُلاحظ في صياغة الجمل التعابير التالية: "صورة إله" (آ٦أ)؛ "صورة عبد" (آ ٧ب)؛ "شبه الناس" (آ ٧ج)؛ "مظهر إنسان" (آ ٧د).

(٧) Cf. J. HERIBAN, *Retto φρονεῖν e κένωσις*. Studio esegetico su Fil 2,1-5.6-11 (LAS; Roma 1983) 221.

يدعو بولس المؤمنين هنا إلى التشبّه بالمسيح إلى أن يُصبح مساره مسارهم الحياتيّ، بعدما قال لهم في ٢: ٥: "ليكن فيكم من التفكير ما في المسيح يسوع".

ἐν μορφῇ Θεου، "في صورة إله": يُطلقُ التعبير اليوناني μορφῇ[٨] "صورة" على الكائن البشري ويفترض وجودًا جسديًا. لكنّه لا يعني المنظر الخارجيّ فقط، بل الصفات التي يمكنها أن تعبّر عمّا في الجوهر غير المنظور[٩]. لكن ما يحدّد معنى هذا التعبير ليس الخلفيّة العبريّة أو اليونانيّة للمفردات، بل النصّ نفسه من خلال الترداد الذي يعبّر تدريجيًّا عن التغيير الذي أراده المسيح لنفسه: من مجد الألوهة إلى اتخّاذ جسمٍ في شبه إنسان. بكلمةٍ أخرى، إنّ التعبير "في صورة إله" يتبعه ما يقابله "صورة عبد" بصورةٍ مضادّة، وهذا الأخير يُكَمِّلُ بدوره من خلال التعابير "في شبه الناس" و"مظهر إنسان" التي تعبّر عن التنازل التدريجي. إذًا التعبير "في صورة إله" يدلّ على الحالة الإلهيّة للمسيح المتجسّد.

οὐχ ἁρπαγμὸν ἡγήσατο τὸ εἶναι ἴσα θεῷ، "ما حسب مساواته لله غنيمة": إنّ الآية لا تعني أنّ المسيح خسر مساواته مع الله، أو أنّه تخلّى عن ألوهيّته، بل لم يُرِد أن يستغِلّها[١٠]. فما يريد أن يطرحه بولس هنا ليس طبيعة المساواة بين الآب والابن إنّما الإقرار بالمجد والسيادة اللذين تتمتّع بهما الألوهة، ولكنّ المسيح لم يغتنمهما. ما يؤكّد ذلك أداة النفي οὐκ، "لم" التي تعدّل الاسم وليس الفعل الذي يتبع الاسم[١١]. هذه السيادة التي لم يُرِد المسيح أن يغتنمها هي نفسها التي يعطيه إيّاها الله الآب بعد إعلائه: "ويعترفَ كلُّ لسانٍ أنّ المسيح هو الربّ (السيّد)".

ἀλλὰ ἑαυτὸν ἐκένωσεν μορφὴν δούλου λαβών، "بل أخلى ذاته مُتَّخِذًا صورةَ عبدٍ": حالة الإخلاء هذه تذكّر بالنشيد الرابع لعبد يهوه المتألّم (أش ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢) حيث التنازل والإعلاء. إذا كان المعنى نفسه عند أشعيا يُطبّق على فل ٢: ٧أ، فالإخلاء (ἑαυτὸν ἐκένωσεν) هنا يُشير إلى الموت الذبائحي وليس إلى التجسّد. لكن هذه الآية تُشير بشكلٍ واضح إلى التجسّد، لأنّه بدون التجسّد لا تجد استعارة "الإخلاء" κένωσις معناها[١٢].

أبعد من التحيل اللغوي النحويّ والبلاغي،تهدف الآيات ٦-٧ب إلى تبيان المسيح كمثلٍ للمؤمنين.

---

(٨) إنّ المعاني التي تُعطى لهذا التعبير لكثيرة، منها: الجوهر أو الطبيعة (φύσις و ουσία)؛ الحالة والصورة (εικών و ὁμοίωμα). يُستبعد المعنى الأول بسبب التعبير "صورة عبد" لأنّ العبوديّة ليست حالة طبيعيّة إنّما حالة إجتماعيّة يمكن تغييرها. من الممكن أن يولد الإنسان عبدًا، ولكن هذه الحالة لا يمكنها أن تشكّل ماهيّة الإنسان. إضافةً إلى ذلك، ما تتحدّث عنه الآيتان ٧ ج و٧د لهو تشابهٌ مع كلّ البشريّة. أمّا في ما يخصّ المعنيين الباقيين فإنّهما لجائزان لأنّ "الصورة" (μορφή) و"الشبه" (ὁμοίωμα) متوازيان، وكليهما يدلّ على الظهور المنظور لحقيقةٍ ما غير منظورة. في عصر بولس كان هذا التعبير يعيد الشكل المنظور لشيءٍ ما أو لكائنٍ ما، وكان يُستعملُ في الغالب للتكلّم عن الطفل الذي يشبه والديه. راجع:

C. A. WANAMAKER, "Philippians 2.6-11: Son of God or Adamic Christology?", *NTS* 33 (1987) 183.

(٩) إن ترجمة هذا التعبير لصعبة جدًّا إذا أخذنا بعين الاعتبار الترجمة السبعينيّة والمفهوم اليهوديّ للصورة. راجع:

M. BOCKMUEHL, "The Form of God (Phil. 2: 6). Variations on a Theme of Jewish Mysticism", *JTSNS* 48 (1997) 1-23.

(١٠) نشير هنا إلى المعاني العديدة التي يحملها الاسم "غنيمة" (ἁρπαγμός): في صيغة المعلوم: سرقة، إختلاس؛ في صيغة المجهول السلبي: فريسة، الشيء المختلس؛ صيغة المجهول الإيجابي: إستبقاء الشيء إذا كان قد اقتُنيَ، أو اقتناؤه إذا لم يُقتنَ بعد. المعنى الأوّل في صيغة المعلوم لا يمكنه أن يكون معقولاً لأنّ المسيح لا يمكنه أن يغتصب ما يقتني، أي الحالة الإلهيّة. كذلك المعنى في صيغة المجهول السلبي لأنّه يتبع المعنى الأوّل. أمّا المعنى الثالث في صيغة المجهول الإيجابي فإنه يتطابق تمامًا مع المعنى الموجود في النصّ: الشيء الذي يقتنيه المسيح هو سيادته على الخليقة؛ هو الذي كان بإمكانه أن يستعمل هذه السيادة، رفض أن يمارسها، لذلك رفعه الله مكافأةً على إخلائه وطاعته. راجع:

N. T. WRIGHT, "ἁρπαγμός and the Meaning of Philippians 2: 5-11", *JTS* 37 (1986) 345.

(١١) J. CARMIGNAC, "L'importance de la place d'une négation: ΟΥΧ ΑΡΠΑΓΜΟΝ ΗΓΗΣΑΤΟ (Philippiens 11.6)", *NTS* 18 (1971-72) 131-166.

(١٢) Cf. G. FEE, *Paul's Letter to the Philippians* (Grand Rapids. Michigan 1995) 210, note 78.

٣. ١. ٢ التنازل والطاعة (آ ٧ج-٨)

ἐν ὁμοιώματι ἀνθρώπων γενόμενος، "لمّا كان في شبه الناس": ماذا يعني بولس بقوله "شبه الناس" أو "في مظهرٍ كإنسان"؟ هل يريد أن يقول، رغم تجسّده، يبقى المسيح مغايرًا للناس؟ إنّ آ ٧ج تعرضُ حقيقة التجسّد وآ ٧د تبيّن كيف أنّ الجميع لم يتعرّفوا على المسيح إلاّ من خلال مظهره الإنسانيّ. فعبارة "في شبه الناس" لا تعني الشَبَه فقط إنّما تدلّ على حقيقة تجسّد المسيح. أبعد من الإشارة إلى ما يتمتّع به المسيح ولا يتمتّع به الإنسان، إنّ تعبير "في شبه الناس" يشير إلى أنّه، على مستوى التجسّد، شابه المسيح الإنسان في كلّ شيء ما عدا الخطيئة. فالمسيح عاش ككلّ إنسان: تعلّم، أكل، نام، تكلّم، صلّى، عَمِلَ، إلخ.

καὶ σχήματι εὑρεθεὶς ὡς ἄνθρωπος[١٣]، "وظهرَ في مظهرِ إنسان": إنّ إسم المفعول المجهول، εὑρεθεὶς، "ظاهراً"، يشير إلى سلوك المسيح الذي كان يُرى من منظار بقيّة الناس. تُعطي آ ٧د إثباتًا أنّ سلوك المسيح لم يفترض أن يكونَ إنسانًا غير طبيعيًّا، لا بل كان خاضعًا لشرائع إنسانيّتنا الطبيعيّة، العقليّة، والثقافيّة.

ἐταπείνωσεν ἑαυτὸν[١٤]، "واضع ذاته": لتواضع المسيح معنيان: واحدٌ إيجابي من خلال علاقته مع الله، وآخر سلبي، في نظر الناس، بسبب الموت على الصليب. يعيدنا فعل ταπεινόω، "واضع"، إلى النشيد الرابع لعبد يهوه المتألّم (أش ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢) حيث نقاط التقارب بين النصّين عديدة:

١. الله أراد أن يعلي عبده لأنّه واضع نفسه
٢. التقارب اللغوي بين فل ٢: ٧ (δοῦλος) وأش ٥٣: ١١ (πολλοῖς)، (δουλεύειν)، وكذلك بين فل ٢: ٨ (ἐταπείνωσεν ἑαυτὸν) وأش ٥٣: ٨ (ἐν τῇ ταπεινώσει)

لكن هناك أيضًا نقاطُ اختلافٍ:

١. في فل ٢: ٦-٨ ينقص الكلام عن الخلاص النهائي الذي ينتج عن الإخلاء.
٢. في فل ٢: ٦-٨ هو المسيح نفسه الذي أخلى ذاته إراديًّا، بينما في أش ٥٢: ١٣ وما يلي من آيات، فهو الله الذي واضع عبده.

فإن كان لا يمكننا أن نبرهن بالكامل تأثّر فل ٢: ٦-١١ بنصّ أش ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢، فعلى الأقلّ يمكننا أن نرى تقاربًا في موضوع الإخلاء والإعلاء.

γενόμενος ὑπήκοος μέχρι θανάτου، "مطيعاً حتّى الموت": يُبنى إخلاء المسيح على طاعته التي دامت حياةً بكاملها. لذلك لا يمكننا أن نترجم النصّ اليوناني بـ"صار مُطيعًا حتّى الموت"، لأنّ هذه الترجمة تفترض التفكير بأنّ المسيح لم يكن طائعًا من قبل، إنّما صار طائعًا بطريقةٍ تدريجيّة أو في وقتٍ معيّن. وما يثبت ذلك هو إسم المفعول γενόμενος الذي يُترجم بصيغة الحاضر بدل الماضي ليعبّر عن تزامن الطاعة بين الماضي والحاضر. فطاعة المسيح إذًا مستمرّة ولا تبدأ في وقتٍ معيّن من الزمن.

θανάτου δὲ σταυροῦ، "الموت على الصليب": تبدأ آ ٨ج بالاسم نفسه (θανάτου، الموت) الذي انتهت به آ ٨ب[١٥]. هذه الصورة الأدبيّة تهدف إلى تبيان الموت على الصليب كصورةِ إذلالٍ متجاوزةِ الحدّ، لأنّ الذي ماتَ مذلولاً هو الإله الذي تخلّى عن سيادته وكلّ مجده إلى أقصى حدّ.

(١٣) الاسم σχῆμα، "مظهر" يعني الشكل الخارجيّ والظاهر للشيء أو للشخص.

(١٤) يُشيرُ الفعل ταπεινόω، "واضع"، بشكلٍ عام إلى معنيين: إيجابي (يدور حول الصلاة والعبادة والسجود لله)، وسلبي (بمعنى إذلال الآخر).

(١٥) هذا الترداد للاسم نفسه في نهاية آية وبداية أخرى، أو ترداد الاسم في الآية نفسها بشكلٍ وثيقٍ متردّدة يسمّى *anadiplose*. راجع:
J.-N. ALETTI - M. GILBERT - J.-L. SKA - S. DE VULPILLIERS, *Vocabulaire raisonné de l'exégèse biblique*, Les mots, les approches, les auteurs (Paris 2005) 94.

٣. ٢ إعلاء المسيح (آ ٩-١١)

διὸ καὶ ὁ θεὸς αὐτὸν ὑπερύψωσεν، "فلذلك رفعهُ الله جدًّا": ترتبط المبادرة الإلهيّة بإخلاء المسيح لذاته، خاصّةً وأنّ الإخلاء تتبعه الطاعة. المسيح لم يُخلِ ذاته ليحصل على المجد، ولكنّه أخلى ذاته كي يستطيعَ أن يُطيع[١٦]. يتردّد صدى الفعل ὑπερυψόω[١٧]، "رفَعَ جدًّا"، في أضداده: ὑπήκοος، "واضع" (آ ٨أ)، وἐταπείνωσεν ἑαυτόν، "أخلى ذاته" (آ ٧أ). ليس ذلك وحسب، فإنّ بداءة الفعل ὑπερυψόω، أي ὑπερ، تعني أنّ حالة الإعلاء هي الحالة القصوى من المجد التي يمكن الوصول إليها. وما يؤكّد ذلك هو ترداد هذه البداءة في نهاية آ ٩، "الذي يعلو كلَّ اسمٍ". هذا لا يعني أنّ المسيح فقد ألوهيّته ليعود ويستعيدها، إنّما نتيجةً لحالة الإخلاء، التي جعلته يتخلّى عن سيادته ومجده، وهبهُ الله المجد الأسمى.

καὶ ἐχαρίσατο αὐτῷ[١٨] τὸ ὄνομα τὸ ὑπὲρ πᾶν ὄνομα، "ووهبه الاسمَ الذي يعلو كلَّ اسمٍ": الاسم (τὸ ὄνομα) لم يُعطَ فورًا للقارئ لأنّ الأهمّ هنا هو حالة المجد التي تفوق كلَّ شيءٍ وكلَّ مخلوق، أمّا الاسم Ιησους، "يسوع"، فيُعطى في آ ١٠ التي تتبع.

ἵνα ἐν τῷ ὀνόματι Ἰησοῦ παν γόνυ κάμψῃ، "لكي تجثو باسم يسوع كُلُّ رُكبةٍ": الركبة (آ ١٠أ) واللسان (آ ١١أ) هما عضوان يعبّران عن دور الخليقة: الركبة للسجود، واللسان للاعتراف. هذا الدور للخليقة يردّد صدى ما ورد في الآيات ٦-٨ التي تصف المسيح المطيع. لكنّ الأدوار الآن تنعكس: ما كانَ إخلاءً للمسيح في الآيات ٦-٨ أصبح إعلاءً في آ ٩-١١، والخليقة في علاقتها الكاملة بالمسيح هي التي عليها الآن (آ ١٠-١١) أن تطيع وتخضع. ولا يمكن لهذه الخليقة أن تحصل على هويّتها الحقيقيّة، إلاّ من خلال السجود (الركبة المنحنية) والإعلان (باللسان). بالتالي، عند هذا المنعطف من النشيد، يصف بولس المسيح مثالاً للخليقة التي عليها أن تقتدي به في إخلاء ذاته وطاعته حتّى يمكنها أن تحصل على هويّتها الجديدة.

ἐπουρανίων καὶ ἐπιγείων καταχθονίων، "مَن في السماءِ وعلى الأرض وتحتَ الأرض": هذا الثلاثي الذي توصف من خلاله كلّ الكائنات يُشيرُ إلى الخليقةِ بكاملها دون استثناء.

καὶ πᾶσα γλῶσσα ἐξομολογήσηται، "ويعترفَ كلُّ لسانٍ": يستعمل مار بولس هنا استشهادًا من نبوءة أشعيا، لكنّه يستعمل للمسيح فقط لقب Θεός الذي يعني "الربّ" أو "السيّد"، لأنّ لقب Θεός الذي يستعمله أشعيا يُحتفظ به فقط لله الآب لعدم الوقوع في شَرَكِ تعدّد الآلهة[١٩].

فل ٢: ١٠-١١	أش ٤٥: ٢٣
لكي تجثو باسمِ يسوع كلُّ رُكبةٍ مَن في السماءِ وعلى الأرضِ وتحتَ الأرض ويعترفَ كُلُّ لسانٍ أنّ يسوعَ المسيح هو الربّ (κύριος)	إنّها لي تجثو كُلُّ رُكبة ويَعترفُ كُلُّ لِسانٍ للرب[٢٠] (τῷ Θεῷ)

(١٦) إذا كان المسيح قد أُذِلَّ ليحصلَ في النهاية على المجد، لما أمكنه، في الواقع، أن يُخلي ذاته. راجع:
P. T. O'BRIEN, *The Epistle to the Philippians* (Grand Rapids, Michigan 1991) 234.

(١٧) يُستعمل هذا الفعل في الترجمة السبعينيّة دائمًا لله الممجَّد إلى أقصى درجات المجد. تدلّ آ ٩، بطريقةٍ غير مباشرة، على الله الذي يُمجد المسيح بالمجد الذي يتمتّع به هو نفسه، أي أنّه يساويه بنفسه.

(١٨) الاسم يدلّ على هويّة الإنسان. وتعبير "ووهبه الاسم" تعني أنّه وهبه كيانًا جديدًا.

(١٩) كان تعدّد الآلهة في أيّام بولس رائجًا في الأوساط الوثنيّة. لذلك يحتفظ بولس في رسائله بلقب Θεός لله الآب، ويطلق على المسيح لقب κύριος الذي كان يمكن إطلاقه في تلك الأيّام حتّى على الناس (الأمبراطور، وكذلك كلّ من كان معلّمًا، أو كلّ من كان يُنصَّبُ على العرش). راجع:
D. HÄUSSER, *Christusbekenntnis und Jesusüberlieferung bei Paulus* (WUNT 210; Tübingen 2006) 285.

(٢٠) في الترجمة العربيّة لا يوجد البديل كما في اللغة اليونانيّة (Θεός/κύριος)، فكلا الاسمين يُترجمان بـ"الربّ".

ὅτι κύριος Ἰησοῦς Χριστὸς، "أنّ يسوع المسيح هو الربّ": اللقب ليس "المسيح" إنّما "الربّ"، لأنّ "المسيح" تابعٌ لاسم العَلَم "يسوع"[٢١].

εἰς δόξαν θεοῦ πατρός، "لمجد اللهِ الآب": إنّ سيادة المسيح لا تجد معناها إلاّ إذا قادت إلى تمجيد الله الآب، لأنّ كلّ شيء يبدأ به وإليه ينتهي. هذا ما يُشيرُ إليه التضمين بين الآيَتَين ٩ و١١ حيث الأولى تبدأ بـ"الله" ὁ θεός، والثانية تنتهي بـ"الله" θεοῦ. بالرغم من اتّحاد المسيح بالله الآب، فإنه هو الذي يحمل المؤمن على تمجيد الله.

٤. بعض الأفكار اللاهوتيّة

٤. ١ الموت على الصليب

إنّ موت المسيح على الصليب، في هذا النصّ، لا يُشير إلى آلام المسيح الجسديّة، ولا إلى دور الآلام الخلاصيّة، أي موت المسيح من أجلنا، بل إلى الدرجة القصوى في الطاعة التي تصف الدور المسيحانيّ الذي أراد المسيح أن يُظهِرَهُ. فتصبح بالتالي كريستولوجيا النصّ لاهوتيّة لا خلاصيّة يُعبَّر عنها بحركتين: تنازليّة (إخلاء: آ ٦-٨) وتصاعديّة (إعلاء، مجد: آ ٩-١١).

٤. ٢ إخلاء المسيح لذاته

إنّ هذه الكريستولوجيا التنازليّة لا يمكنها أن تُقرأ إلا على ضوء الإطار العامّ للنصّ (فل ٢: ١-١٨) حيث يجعل مار بولس من المسيح مثالاً للمؤمنين في الطاعة، ومن ثمّ في ٣: ١-٤: ١ يعطيهم مثله هو في التمييز والتفكير طبق "ما في المسيح يسوع" (٢: ٥). حتّى وإن كان النصّ سابقًا لبولس، فقد استعمله لهدفٍ معيّن، وهو إرشاد أهل فيلبّي: يجب أن يكون المسيح المثال الأعلى للمؤمن، وعلى هذا الأخير أن يقتدي به في سلوكه وحياته الجماعيّة، وما مثل بولس الخاص، الذي يتبع في ٣: ١-٤: ١، سوى معالم ملموسة لأهل فيلبّي لتحسين حياتهم المسيحيّة[٢٢]، لأنّهم ما عرفوا المسيح بالجسد، إنّما عرفوه من خلال بولس الذي بشّرهم به.

٤. ٣ سلوك المؤمنين الكريستولوجي

ليست المرّة الأولى التي يتحدّث فيها بولس عن الاقتداء بالمسيح[٢٣]، إنّما الجديد في هذا النصّ هو معرفة كيفيّة اقتناء السلوك والتفكير "الذي في المسيح يسوع"، والبحث عنه باستمرار وبإرادة حرّة غير قسريّة. وكأن بولس يقول لأهل فيلبّي: "لتكن فيكم جهوزيّة الإخلاء التي في المسيح يسوع"، أي، على المسيحي أن يشارك في حقيقة تجسّد المسيح اللاهوتيّة[٢٤]. المسيح في لاهوت بولس اختار سلوك الإخلاء الذي يرذله العالم. لم يختر هذا السلوك لأنّه غير قادر على الأفضل، مع أنّه الإله القادر على ممارسةِ سيادته وفرض ذاته، إنّما ليعطي الدفعَ بامتياز لمسيرة المؤمن: وحده من يعرف أن يتّضع يهبه الله المجد والكرامة.

خاتمة

إنّ ما أراد أن يبيّنه الرسول بولس في استعماله لهذا النشيد، هو أنّ المسيح تركَ للمؤمن مثالاً للاقتداء به. وقد استعمله بالتحديد في هذا الموقع من الرسالة لأنّ النشيد لا يُفهم إلا إذا وُضع في إطارهِ العام، أي سلسلة الإرشادات التي تحضّ أهل فيلبّي على أن يكون فيهم "من التفكير ما في المسيح يسوع". هذا النشيد لا يتكلّم عن كيفيّة حدوث التجسّد، بل يصفُ

(٢١) التركيب هو نفسه كما في ١ كور ١٢: ٣؛ روم ١٠: ٩.

(٢٢) Cf. P. LAMARCHE, *Christ vivant*, essai sur la christologie du Nouveau Testament (LeDiv 43; Paris 1966) 26.

(٢٣) لقد تحدّث مار بولس قبلاً عن الاقتداء بالمسيح في روم ١٥: ٧؛ ٢ كور ٨: ٩.

(٢٤) Cf. M. MASINI, *Filippesi - Colossesi - Efesini - Filemone*. Le Lettere della Prigionia (Leggere Oggi la Bibbia 2.9; Brescia 1987) 106.

حالة المسيح المتجسّد الأرضيّة[٢٥]. هذا لا يعني أنّ المسيح تخلّى عن ألوهيّته ليعيش كإنسان، بل أنه أبى أن يتمتّع بما للألوهة من سيادة ومجد، وأخلى ذاته عائشًا مسلك الطاعة إلى أقصى الحدود حتّى الموتِ على الصليب. نتيجةً لتواضعه وطاعته، وهبه الله "الاسم الذي يعلو كلَّ اسم، ناقلاً إيّاه من أقصى الاحتقار والإذلال إلى أقصى المجد. حالة المسيح الممجَّد هي نُقْطَةُ انطلاقٍ للخليقةِ في اقتفاءِ آثارِ خالِقِها، طائعةً إيّاه بالركبةِ المنحنيَة ومعلنةً بلسانها سيادته عليها.

المراجع

ALETTI, J.-N., *Saint Paul. Épître aux Philippiens*. Introduction, Traduction et Commentaire (EB 55; Paris 2005).

ALETTI, J.-N. - GILBERT, M. - SKA, J.-L. - DE VULPILLIERS, S., *Vocabulaire raisonné de l'exégèse biblique*, les mots, les approches, les auteurs (Paris 2005).

BIANCHINI, F., *L'elogio di Sé in Cristo*. L'utilizzo della περιαυτολογία nel contesto di Fil 3,1-4,1 (AnBib 164; Roma 2006).

BOCKMUEHL, M., "The Form of God (Phil. 2: 6). Variations on a Theme of Jewish Mysticism", *JTSNS* 48 (1997) 1-23.

CARMIGNAC, J., "L'importance de la place d'une négation: ΟΥΧ ΑΡΠΑΓΜΟΝ ΗΓΗΣΑΤΟ (Philippiens 11.6)", *NTS* 18 (1971-72) 131-166.

FEE, G., *Paul's Letter to the Philippians* (Grand Rapids, Michigan 1995).

HÄUSSER, D., *Christusbekenntnis und Jesusüberlieferung bei Paulus* (WUNT 210; Tübingen 2006).

HAWTHORNE, G. F., "The Imitation of Christ: Discipleship in Philippians", dans LONGENECKER, R. N. (éd.), *Patterns of Discipleship in the New Testament* (McMaster New Testament Studies; Grand Rapids, Michigan 1996) 168.

HERIBAN, J., *Retto φρονεῖν e κένωσις*. Studio Esegetico su Fil 2,1-5.6-11 (LAS; Roma 1983) 221.

KARRIS, R. J., A *Symphony of New Testament Hymns*. Commentary on Philippians 2: 5-11, Colossians 1: 15-20, Ephesians 2: 14-16, 1 Timothy 3: 16, Titus 3: 4-7, 1 Peter 3: 18-22, and 2 Timothy 2: 11-13 (Collegeville, Minnesota 1996).

LAMARCHE, P., *Christ vivant*, Essai sur la Christologie du Nouveau Testament (LeDiv 43; Paris 1966).

LOHMEYER, E., *Kyrios Jesus*, Eine Untersuchung zu Phil. 2,5-11 (SHAWPH 1927-28.4; Heidelberg 1928).

MASINI, M., *Filippesi - Colossesi - Efesini - Filemone*. Le Lettere della Prigionia (Leggere Oggi la Bibbia 2.9; Brescia 1987).

O'BRIEN, P. T., *The Epistle to the Philippians* (Grand Rapids, Michigan 1991).

RAHLFS, A. (éd.) *Septuaginta* (Stuttgart ²1979).

WANAMAKER, C. A., "Philippians 2.6-11: Son of God or Adamic Christology?", *NTS* 33 (1987) 179-193.

WRIGHT, N. T., "ἁρπαγμός and the Meaning of Philippians 2: 5-11", *JTS* 37 (1986) 321-352.

(٢٥) Cf. G. F. HAWTHORNE, "The Imitation of Christ: Discipleship in Philippians", dans LONGENECKER, R. N. (éd.), *Patterns of Discipleship in the New Testament* (McMaster New Testament Studies; Grand Rapids, Michigan 1996) 168.

سلسلة
بين عهد وعهد
١١
الربّ هو الإله
الخوري بولس الفغالي
٢٠٠٧

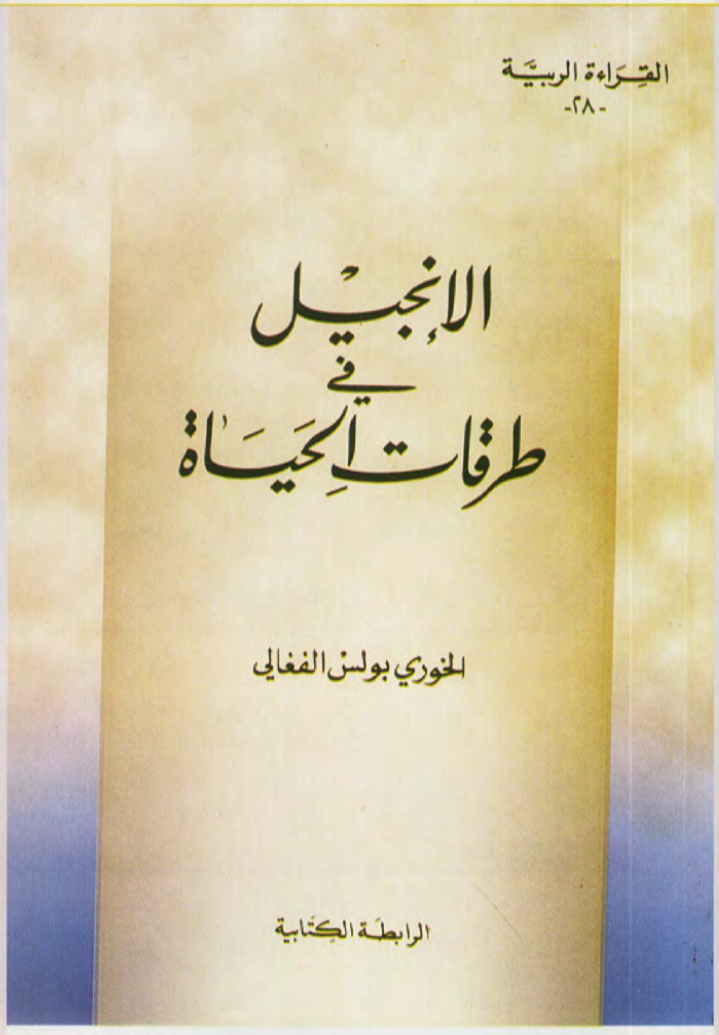
القِراءة الربيّة
-٢٨-
الإنجيل في طرقات الحياة
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابية

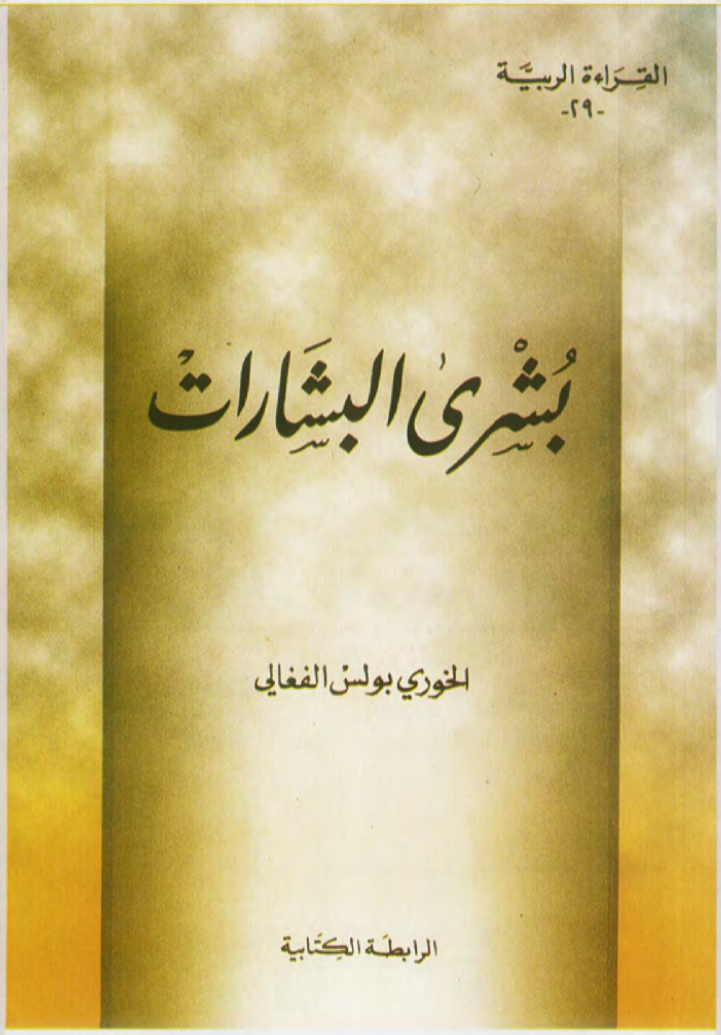
القِراءة الربيّة
-٢٩-
بُشرى البشارات
الخوري بولس الفغالي
الرابطة الكتابية

فل ٢: ١٢

«إعملوا لخلاصكم»

الأب جورج خوام البولسيّ
أستاذ مادة الكتاب المقدّس في معهد القديس بولس – حريصا

يناشد القدّيس بولس أهل فيلبي قائلاً: "**ومن ثمّ، أيّها الأحباء، فجريًا على طاعتكم الدائمة، إعملوا لخلاصكم في خوف ورعدة، لا كما عند حضوري فقط، بل الآن أيضًا في أثناء غيابي بالأكثر جدًّا**" (فل ٢:١٢). إنّه يستحثّهم لكي يثابروا على ما بدأوا به، حينما كان لابثًا عندهم بعدُ، ففي ذلك "**خلاصهم**". ويطلب منهم، بعد أن غادرهم، أن يزيدوا عملاً لأجله، وألاّ يألوا جهدًا في **بذلهم** بغية إتمامه. لا شكّ أنّ "**الخلاص**"، الذي يتحدّث بولس عنه، في هذا الموضع من رسالته، يختلف معنى في ذهن الرسول عنه في معرض كلامه على "**الخلاص**" الذي حصل بالربّ يسوع المسيح (رو ١٣:١٠؛ ١تس ٥:٩) . إنّ "**الخلاص**"، الذي أتمّه ربّنا يسوع مرتبط بفعل موته وقيامته، ومندرج في رؤية لاهوتيّة تشمل تدبير الآب وتقديس الروح[١]، وممتدّ إلى بني البشر جميعًا[٢]. ولكنّ بولس، تراه، يحتفظ له، رغم ذلك، بأبعاد **الخلاص** هذه العقائديّة، في معرض حضّه أهل فيلبّي على العمل لأجله، في الآية ٢:١٢.

١. ملاحظات تمهيديّة

لا بدّ لنا من البحث في تضاعيف الرسالة عن إشارات تفيدنا في تحديد المعنى، الذي يهدف بولس إليه، وهو يحثّ أهل فيلبي على العمل لأجل خلاصهم. ففي مطلع الرسالة، يرفع بولس الشكر إلى الله على أنّ جماعة فيلبي قد شاركت في "**الإنجيل منذ اليوم الأوّل**" (فل ١:٥)، أي منذ وطئت قدمًا بولس أرض مدينتهم. ومن غير ما إيضاح، يؤكّد في الآية التالية "**أنّ الذي ابتدأ ... هذا العمل الصالح سوف يواصل تتميمه...**؟ (٦:١)، بشكل يوازي كلّ الموازاة ما يعقّب به على حثّهم المذكور أعلاه (آ ٢) على أن يعملوا لخلاصهم، إذ يقول: "**لأنّ الله هو الذي يفعل فيكم الإرادة والعمل نفسه...**" (١٣:٢)[٣]. فمن جهة، يظهر أهل فيلبي أناساً "يعملون"، بحسب ١:٥، كشركاء لا كأصحاب العمل، وكمتطوّعين لبّوا النداء بعد أن استحسنوا الدعاء، لا كمؤسّسين أو كمطلقين مشاريع. ومن جهة أخرى، يبدون "أجراء"، بحسب ١:٦، قد اصطُفُوا للقيام "بعمل صالح"؛ بل لا حافز "إرادتهم"، ولا فضل "عملهم نفسه"، بحسب ٢:١٣، يستحقّان لهم

(١) راجع المجمع الفاتيكاني الثاني، سرّ الكنيسة.

(٢) راجع فالتر كاسبر، **يسوع المسيح**، تعريب المطران يوحنا منصور، سلسلة الفكر المسيحيّ بين الأمس واليوم، جزء ٢٣، جونية، المكتبة البولسيّة، ٢٠٠٠، ص ٣٥١–٣٧٠ (خصوصاً ٣٥٤).

(٣) إنّ الوصول إلى أنّ الله هو "الذي ابتدأ.. هذا العمل الصالح"، بناء على الموازاة مع الآية ٢:١٣، يرد هنا فقط عند بولس؛ أنظر:

J.-N. Aletti, *Saint Paul: Epître aux Philippiens*, Paris: J. Gabalda et Cie, 2005, p. 46.

أن يُطلَق عليهم اسم "عملة"، ما دام "**الله هو الذي يفعل [فيهم] الإرادة والعمل**...". ومن ثمّ، تحمل مناشدة بولس لهم "**أن اعملوا**..." (آ ٢) معنى "الاستمرار في التضحية" التي انتُدِبوا، أو انتُقوا، للقيام بها، ومعنى "التجلّد" على الاضطلاع بما ارتضوا به "**منذ اليوم الأوّل**"، لا معنى "إنجاز الخلاص"، و"إتمامه"، كأنّما الخلاص المذكور عمل لم يُقيّض له أن يُنجَز من قبلُ.

يعود بولس في ختام رسالته إلى الحديث عن "**ابتداء البشارة**" (٤: ١٥)، فيدلّ بذلك على ترابط أجزاء الرسالة[٤]، إذ يظهر الرابط السرديّ بين ٤: ١٥ و١: ٥ عبر ٢: ١٢. وفي معرض كلامه على "**ابتداء البشارة**" هذا، يذكر بولس أهل فيلبي بإحسانهم الجزيل إليه، حينما غادر المدينة إلى تسالونيكي، ويضيف على الفور: "**لا أني أبتغي العطيّة، إنّما أبتغي الثمر يُضاف إلى ما لكم**" (٤: ١٧). "**ما لكم**"، أو "**حسابكم**"[٥]، قلّما يهمّ هنا، تعبير يشير تحت يراع بولس إلى ما هو أكثر من الهبة بحدّ ذاتها، المعبَّر عنها صراحة في الجزء الأوّل من الآية، إلى الاعتبار الذي يأخذ به المرء عندما يحزم أمره في شأن هبة يريد أن يمنحها، والذي يشتمل على فحص الحاجة والمقدرة والطريقة التي سوف يسلك فيها، كيما يقدّم هبته. إنّ بولس يتطلّع بشوق إلى "الثمر" الطافح، أو الفائض، في "اعتبارات" أهل فيلبي، إذ إنّهم وطّدوا العزم على غوث بولس في حاجته، بعد أن اضطرّ قسرًا إلى مغادرتهم. هذا المعنى المكنون في ٤: ١٧، تحديدًا، يتردّد في الواقع كصدى لألفاظ بولس في فاتحة رسالته: "**من أجل مساهمتكم في الإنجيل، منذ اليوم الأول حتى الآن**" (١: ٥).

ثمّة ملاحظة أخيرة لا بدّ من الإشارة إليها في هذا السياق، قبل عرض تحليلنا على القارئ. يتضمّن المقطع في ٢: ١٢–١٨ ثلاثة أفعال بصيغة الأمر، تبيّن بالواقع بنيته: "**إعملوا لخلاصكم**" (٢: ١٢) ؛ "**إفعلوا كلّ شيء**" (٢: ١٤) ؛ "**إفرحوا**" (٢: ١٨)، من جهة، وتقيم الدليل على المودّة الحميمة التي تربط الرسول بجماعة فيلبّي، من جهة أخرى، إذ إنّها تتابع سلسلة الأوامر التي أطلقها بولس منذ ١: ٢ وحتى ٢: ٥أ[٦]. إنّ ثاني أفعال الأمر هذه يبسط أمامنا جملة تمتدّ طويلاً، وتكثر فيها الجمل المؤوّلة، والتابعة، دلالة على رغبة بولس الجليّة في إيفاء فكرته حقّها من التعبير[٧]. أمّا فحوى هذه، بإيجاز، فتبيان السبيل إلى البرارة أمام أهل فيلبي، وذلك "**ببذلكم له كلمة الحياة**". تُعَدّ هذه العبارة مرادفة طبق الأصل لعبارة "... **مساهمتكم في الإنجيل**..." (١: ٥)، والمعنى المرام من وراء الكناية "**الثمر الفائض**" (٤: ١٧).

٢. الوجه الأول من وجهي إسخاتولوجية الخلاص بحسب بولس في ٢: ١٢

عندما ينذر بولس أهل فيلبي قائلاً: "**إعملوا لخلاصكم**"، إنّما يضع أمام أعينهم مستوى أوّل للخلاص المنشود، يتطابق وواقع عيشهم. ففي إطار عالمهم اليوميّ، وضمن إمكانيّاتهم المعيشيّة المتاحة لهم، وعلى قدر مواقعهم الاجتماعيّة التي يتحرّكون فيها وسط جماعتهم، ينبغي عليهم أن يجدوا ما "يعملون"، بغية البلوغ إلى الخلاص. غير أنّ ما ينبغي عليهم أن "يعملوه" ليس هو ما ينظر إليه بولس تحديدًا، عندما يحرّضهم على "العمل للخلاص": لقد أوضح ذلك خير إيضاح في ختام رسالته، إذ أعرب عمّا يبتغي حقًا، نافيًا أن يكون "الهبة"

(٤) بعد أن بسط ج. مورفي أوكونر (J. Murphy-O'Connor, "Philippiens", *DBS*, t. VII, 1211-1216)، ما يتعلّق بأقسام الرسالة إلى أهل فيلبي، يختم بقوله: "الرسالة إلى أهل فيلبي مجموعة رسائل ثلاث، تناسب الخاتمة ٤: ٢١–٣٢ كلاً منها".

(٥) أنظر المفردات العربيّة المحتملة: القسّ غسان خلف، **الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانيّة**، دار النشر المعمدانيّة، بيروت، ٤٧٦.

(٦) أنظر W.G. Kummel, *Introduction to the New Testament*, SCM, London 1991, 121.

(٧) "... **لكي تصيروا**..."، "... **عالم تضيئون فيه**..."، "... **ببذلكم**...".

في ذاتها. وفي الواقع، لو أراد بولس أن يدلّ على هذا المعنى، عبر دعوته أهل فيلبي إلى أن "يعملوا للخلاص"، لسقط في شرك البرّ بالأعمال، الذي حاول دائماً جاهداً أن يتفلّت منه[٨].

يعمد بولس، بالواقع، إلى فعل يونانيّ درءًا لأيّ مدلول يُساء به قصده، إذ يحثّ أهل فيلبي على العمل لأجل خلاصهم. ففي الآية ٢:١٤، يستعمل بولس لفظًا يدلّ به على العمل من حيث هو فعل محدّد، ونشاط معيّن، وسلوك مرسوم. أمّا في الآية ٢:١٢، حيث يريد الحضّ على القيام بما يؤول إلى الخلاص، فاللفظ مختلف. إنّ وزن الفعل اليونانيّ المنتقى هنا يدلّ على إشراك الذات[٩] في "العمل" المنشود، أكثر ممّا على مبادرتها بالقيام "بعمل" معيّن. فالانتباه، من ثمّ، مصوّب إلى الشخص الذي "يعمل"، في أثناء قيامه بالعمل، لا إلى حصيلة "عمله". هذا، بالواقع، ما يحدو بولس، في الآية التالية (٢:١٣)، إلى القول: "**لأنّ الله هو الذي يفعل فيكم الإرادة والعمل نفسه...**"، مسلّطًا الضوء على الأشخاص، لا على أعمالهم. وهذا، أيضًا، ما يتّفق مع الرؤية التي يصدّرها بولس الآية ١:٦، إذ يقول: "... **إنّ الذي ابتدأ فيكم هذا العمل الصالح سوف يواصل تتميمه...**"، من غير أن يوضح تمامًا، كما قلنا أعلاه، نوع العمل الصالح الذي يتكلّم عليه؛ وذلك بأنّ "**العمل الصالح**" مزيج من عمل الله في الإرادة والعمل نفسه. وهذا عينه، ثالثًا، أيضًا وأيضًا، ما أعاد بولس التشديد عليه في خاتمة رسالته، عندما صرف النظر عن الفعل بحدّ ذاته، أي العطيّة التي تسلّمها من أهل فيلبي، لكي يبرز جانب الشخصيّة وفسحتها، و"حساباتها"، التي ما تعتّم أن "تعمل" انطلاقًا منها.

أضف إلى ما تقدّم بشأن وزن الفعل المنتقى في ٢:١٢، أنّ صيغته المعطاة له تحوّط المفعول به الذي يرتبط به بهالة من الوقار، والجلالة، والقدر، بفضل الأداة المدغمة بالفعل[١٠]، جاعلة من حالة تعدّيه إلى مفعوله مناسبة للشخص كي يتفانى في سبيل هذا الأخير. من أجل هذا، نجد بولس يردف على الفور، بعد أن أورد الفعل، بشبه الجملة: "في خوف ورعدة". κατεργαζεσθε (= إعملوا) هو فعل، إذًا، يراد به أن يتدبّر المرء أمر نفسه على أحسن وجه كي يقوم بما يؤول به إلى بلوغ "الخلاص"، استعداداً ومسلكاً. وبمقتضى هذا المعنى، ليس كذا أو كذا من الأفعال ما يمسي ضروريًا، أو مفيدًا، للخلاص، وإنّما الجبلة، والسجيّة، والذهنيّة، والمنظور البشريّ، والروح، هي التي تتحرّك وتنخرط وتسلك في طريق الخلاص. إنّ هذا الأخير يغدو واقعًا إنسانيًا عندما تتزيّن به السجيّة، لأنّ أفعالها تضحي عندئذٍ أفعال من "**صار بغير لوم، طاهرًا، ابنًا لله زكيًا...**" (٢:١٥).

٣. الوجه الآخر من وجهي إسخاتولوجيا الخلاص بحسب بولس في ٢:١٢

يعرب بولس في ١:٦ عن ثقته "**بأنّ الذي ابتدأ فيكم هذا العمل الصالح سوف يواصل تتميمه حتى يوم المسيح يسوع**". فالخلاص، إذًا، الذي يدعو بولس أهل فيلبي إلى أن يعملوا له، والذي ابتدأه فيهم من يمكنه أن "**يواصل تتميمه حتى يوم المسيح يسوع**"، ذو امتداد زمنيّ يتخطّى واقع أهل فيلبي. لا هذا فقط، بل هو أيضًا ذو طبيعة تفوق مداركهم، التي عرفت منه وجهًا زمنيًا، ارتهن "بمساهمتهم في الإنجيل" (١:٥؛ ٢:١٦). فما عسى هذا الوجه الآخر من

(٨) بل يغيب هذا الموضوع هنا ـ التبرير بالأعمال ـ من أمام ناظري بولس، بحيث إنّه يستحيل بتاتًا أن يتصوّر المرء بولس يتهيّأ لطرحه في نسيج الرسالة إلى أهل فيلبي.

(٩) أنظر Kenneth S. Wuest, *Wuest's, Word Studies*, vol. II, Eerdmans, Grand Rapids, Michigan, 1992, p. 73

(١٠) κατα-، إذ إنّها تحطّ من الذات عند إتيانها العمل ترفع من المفعول، الذي يرتبط بالفعل عينه الذي تتّصل به.

وجهي الخلاص يشتمل عليه من حقيقة؟

قد نغرق في التنظير لو رحنا نبحث لنا عن جواب نحيره على سؤالنا في موضع آخر، وفي مستند آخر غير نصّ الرسالة، وفي إطار بعيد غير إطار المقطع الذي نعمل على دراسته. لقد رأينا أعلاه بولس يصل إتمام "**العمل الصالح**" بـ"**يوم المسيح يسوع**"، مغدقًا على "الخلاص" نظرة رؤيويّة وإيمانيّة امتازت بها الجماعة المسيحيّة، منذ أوائل تأسيسها. ما لا شكّ فيه أنّ العبارة "**يوم المسيح يسوع**"[١١] تدلّ على واقع كيانيّ ذي طبيعة خاصّة، يسود فيه شخص المسيح يسوع، كما آمن به تلاميذه أولاً، والذين تبعوه وآمنوا به، ثانيًا، من حيث إنّه ابن الله الذي تجسّد ومات وقام مخلّصاً بني البشر. بيد أنّ هذا الواقع الكيانيّ ذا الطبيعة الخاصّة يبدو، حسب تعبير بولس عنه، امتدادًا نوعيًا لواقع أهل فيلبي، إذ إنّهم "**أسهموا في الإنجيل منذ اليوم الأول...**"، ومشروعًا وجوديًا شاملاً، قدّم أهل فيلبي له بقبولهم الانصياع له - "**طاعتهم الدائمة**" حسب تعبير بولس (١٢:٢) - فأعطوا "بعملهم" هذا نمطاً أنموذجياً عن حقيقته التامّة. إنّها عبارة تدلّ على اختزال المكان والزمان والأنام في مجرّد حضور أمام شخص المسيح يسوع، حضور نطلق عليه لفظ "اليوم"، "**يوم المسيح يسوع**"، فكأنّ الدهور جميعًا "**في عينيك، أيّها الربّ، كيوم أمس العابر**". هذا الوجه من وجهي اليوم الأخير صنع الربّ، لا الإنسان، الذي يسير نحوه متمّمًا إيّاه في خوف ورعدة، يومًا فيومًا من أيام حياته، حتى ينتهي إليه. حين ذاك، تتّخذ عبارة "**إعملوا لخلاصكم**" معناها الكامل، حينما يضاف إليها هذا الوجه الثاني: فمن جهة، "يسهم" أهل فيلبي في الإنجيل وهم أحياء على الأرض، فيعملون لخلاصهم؛ ومن جهة أخرى، يقيمون على الثقة بأنّ الاجتماع بيسوع المسيح، بعد الممات، نصيب - "ثمرة" حسب ١٧:٤ - "**بذلهم كلمة الحياة**" للعالم (١٦:٢).

يعود بولس ثانية في ١٦:٢ إلى العبارة "**يوم المسيح**" يسوع، ويتحدّث عن "**افتخاره**" في ذلك اليوم بأنّه لم يَسْعَ عبثاً، ولا تعب سدى[١٢]. إنّ ما نهتمّ له في ١٦:٢ أنّ موضوع "افتخار" بولس المشار إليه يوضح جانبًا آخر من وجه الخلاص الإسخاتولوجيّ، وطبيعته: الدينونة. وفي عيني بولس، تقوم هذه على ما فعل المرء من "**عمل صالح**"، له علاقة "**ببذل كلمة الحياة**"، أو "**الإسهام في الإنجيل**"، من خلال السعي إلى الظهور "**بغير لوم، أطهارًا، أولادًا لله أزكياء**". ومن ثمّ، ترى بولس يكتفي بالإشارة إلى أهل فيلبي بأنّ عليهم "العمل للخلاص" كأنّهم، بالحقيقة، من "يعملونه" في زمان حياتهم، أم بالأحرى يخطرهم بأن "يعملوا لأجله"، كأنّهم، بالفعل، سيؤدّون عنه حسابًا في "**يوم المسيح**"؟ إنّ "خلاص" أهل فيلبي يعني، إذ إنّهم حريّ بهم أن يعملوا له: أ- أنّه مشروع إلهيّ، وأنّهم كسواهم مدعوّون إلى المشاركة فيه، والتمتّع به؛ ب- وأنّه مبسوط أمامهم، منذ يومهم الحاضر، حتى يأتوه بإسهاماتهم؛ ج- وأنّه يكتنف الأجيال والدهور كلّها، يوم يحلّ "**يوم المسيح**"، فتدان هذه أمامه على ما اقترفت أيديها.

غير أنّ "الخلاص" يحتاج كذلك إلى عمل "الروح"، كي يكون "خلاصًا" إلهيًا تامًا. إنّ المقطع ١٢:٢-١٨ يبرز وجهي الآب والمسيح يسوع، في معرض الكلام على "الخلاص". ألعلّه، يا ترى، يغفل دور الروح وهو يخوض في موضوع مفصليّ من قبيل موضوع "الخلاص؟ في الآية ١٣:٢، يذكر بولس عملاً يقوم به الله غير عمل الخلق، عملاً يتبدّى عبر "**الإرادة**"

(١١) أنظر *The Anchor Bible Dictionary*, vol. II, Doubleday, New York, 1992, 76, II.

(١٢) الجملة "لم أسعَ عبثًا، ولا تعبتُ سدى" موضوع الافتخار عند وقوف بولس أمام الربّ يسوع للدينونة.

و"**الفعل**" البشريّين؛ ويقول عنه إنّه عمل "**على حسب مرضاته**"، أي عمل يرضى عنه أن يتمّ على مثل هذا النحو، لا عمل "كما يحلو له"، فيعمل "**الإرادة**" في البعض، ويعرض عن ذلك في بعضهم الآخر. إنّ هذا "العمل" الإلهيّ ذو علاقة "بالخلاص"[١٣]، من جهة، وبجماعة أهل فيلبي، من جهة أخرى، وفي الوقت نفسه. إنّه عمل يمتاز بأنّه يجعل "مرضاة الله" أمرًا ممكنًا فعليًا، وبأنّه يحمل "**الإرادة والفعل**" البشريّين إلى القيام بما يعجزان عنه في الحالة الطبيعيّة. فالخلاص، كمشروع، عمل يرتبط بمن برأ الإنسان؛ والخلاص، كإنجاز، عمل يتعلّق بمن افتدى الإنسان؛ والخلاص، كواقع ممكن، عمل يناط بمن يشاء تقديس الإنسان عبر مداركه وطاقاته ومنافذه الروحيّة. إنّ "الصيرورة" التي يتكلّم عليها بولس في الآية ٢:١٥، إلى حالة "أولاد الله"، والتي تعني انتقال أهل فيلبي من كونهم "**جيلاً متعوّجًا فاسدًا**"، إلى حالة أن يمسوا "نيّرات" تضيء فيه، شأن يتعلّق "بعمل" الروح القدس. إنّ الخلاص وحدة يُنظَر إليها تارة في حدّ ذاتها، ثمّ تارة في حدّ علاقتها، ثمّ طورًا كذلك في حدّ الإمكانيّة المتاحة للبلوغ إليها.

يحمل حثّ بولس أهل فيلبي على العمل لأجل خلاصهم تعليمًا عقائديًا، ما كان له أن يفضي إليه لولا تعمّقه في سرّ يسوع المسيح؛ بل من غير الممكن الإفضاء إليه عبر تعليم دينيّ، أو فلسفيّ، آخر لا يجعل من شخص يسوع ابن الله. فالخلاص حقيقة إلهيّة قائمة بذاتها؛ وقد أمست حقيقة تاريخيّة بفضل الفداء الذي حصل بيسوع؛ ولكنّه، في الوقت نفسه، حقيقة يجدر ببني البشر أن يعرفوا أنّها ممكنة، وأنّه خليق بهم أن يعملوا لها.

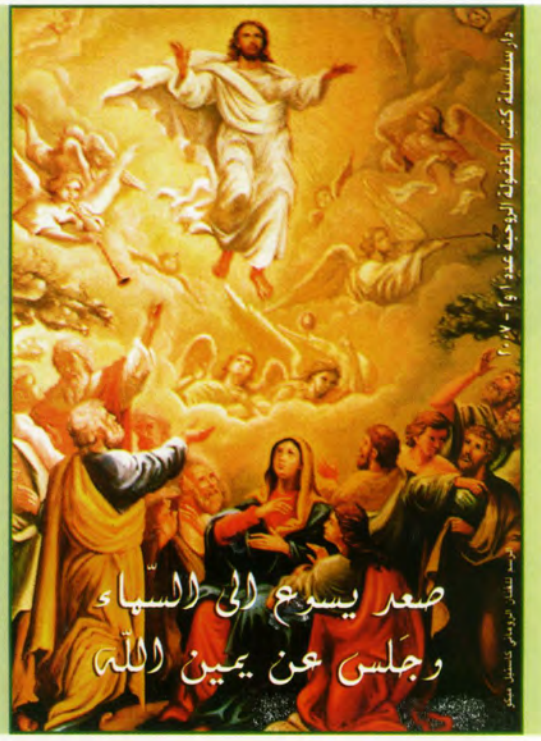

(١٣) "لأنّ"، رابطة سببيّة تبيّن عمل الله في جماعة فيلبي، في غياب بولس عنها، الذي كان الواسطة لعمل الله في وسط الجماعة.

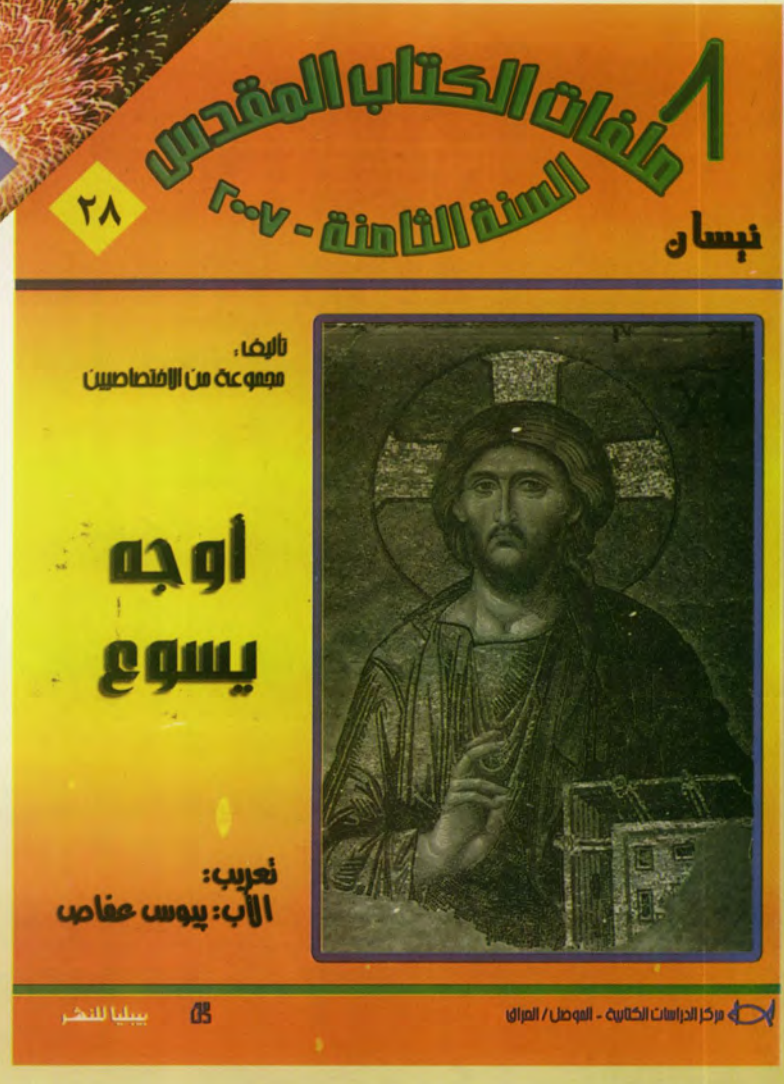

الفكر المسيحي
السنة الثالثة والأربعون
العدد ٤٢٣ - ٤٢٤
آذار - نيسان ٢٠٠٧
الفكر المسيحي
تفوز بالميدالية الذهبية
للإتحاد العالمي للصحافة الكاثوليكية
لعام 2007
تهانينا للجميع

ملفات الكتاب المقدس
السنة الثامنة - ٢٠٠٧
نيسان
٢٨
تأليف:
مجموعة من الاختصاصيين
أوجه
يسوع
تعريب:
الأب: بيوس عفاص
مركز الدراسات الكتابية - الموصل / العراق
بيبليا للنشر

فل ٢: ١٩-٣٠

بولس الرسول ورفاقه في العمل

الخوري د. بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

مقدّمة

غريبٌ أمر هذا الرسول الذي اسمه بولس. كم أساء الناس فهمه على مرّ العصور. قالوا إنَّه يكره النساء، مستندين إلى عبارتين وضعهما تلاميذه من بعده، لأنَّهم وجدوا فيهما ثورة على التقاليد المعروفة في العالم اليهوديّ بشكل خاصّ. ونسوا أنَّه قال: "لا رجل ولا امرأة". فالرجل والمرأة متساويان أمام الله. للمرأة حقوقها وواجباتها، وللرجل حقوقه وواجباته. "لا سلطة للمرأة على جسدها، فهو لزوجها، ولا سلطة للزوج على جسده، فهو لامرأته" (١كور ٧: ٤). وقالوا إنَّه متفرّد في رأيه، مستبدّ، كمن لا قلب له. فاستندوا إلى تصرُّفه مع مرقس ثمَّ مع برنابا ومرقس. خاف مرقس في الجبال الوعرة، "ففارقهما (= بولس وبرنابا) ورجع إلى أورشليم" (أع ١٣: ١٣). ولمّا أراد أن يلتحق بالفريق الرسوليّ، رفض بولس رفضًا قاطعًا. "أراد برنابا أن يرافقهما يوحنّا الملقَّب بمرقس. ولكنَّ بولس رأى أن لا يرافقهما من فارقهما في بمفيلية وما شاركهما في العمل" (أع ١٥: ٣٧-٣٨). ما لانَ بولس ولا تراجع. وحدث "نزاع بينهما حتّى افترقَا" (آ٣٩). أهكذا يُعامَل برنابا، وهو الذي دعا بولس (الذي كان شاول) إلى الرسالة في أنطاكية؟ (أع ١١: ٢٥-٢٧). ولكن نسيَ هؤلاء أنَّ قساوة بولس حملت الخير إلى مرقس، فكان في النهاية قرب بولس. نقرأ في كو ٤: ١٠: "يسلِّم عليكم... مرقس ابن عمّ برنابا، وهو الذي طلبتُ منكم أن ترحِّبوا به إذا جاء إليكم". وفي رسالة يمكن أن تكون وصيَّة بولس الأخيرة، كتب الرسول إلى تلميذه تيموتاوس: "تأخذ مرقس، وتجيءُ به إليَّ، لأنَّه يفيدني كثيرًا في خدمة الربّ" (٢تم ٤: ١٠). هذا ما نكتشفه في هذا المقطع من رسالة القدّيس بولس إلى أهل فيلبّي.

١- نصّ الرسالة (فل ٢: ١٩-٣٠)

جاء النصُّ في مقطعين اثنين: الأوَّل، يُعنى بتيموتاوس، الرفيق الأمين لبولس. والثاني يتحدَّث عن إبفروديتس الذي أُرسل إلى بولس وهو في السجن.

أ- وأرجو في الربّ يسوع (١٩-٢٤)

١٩ وأرجو في الربِّ يسوع، أن أرسل إليكم تيموتاوس في القريب العاجل، حتّى أعرف أحوالكم فيطمئنَّ قلبي.
٢٠ فما لي أحد يهتمُّ اهتمامًا صادقًا بأمركم
٢١ فكلُّهم يعمل لنفسه، لا ليسوع المسيح.
٢٢ وأنتم تعرفون خبرته، وكيف خدم البشارة معي خدمة الابن مع أبيه.
٢٣ فأرجو أن أرسله إليكم عندما يتبيَّن مصيري.
٢٤ ولي ثقة بالربِّ يسوع أن أجيء إليكم أنا أيضًا بعد قليل.

ذاك كلام الرسول عن تيموتاوس الذي هو "ابن" بالنسبة إلى بولس الذي هو له "أب". هي نظرة كلُّها احترام

وتقدير. ثقة بما أخبر تيموتاوسُ الرسولَ، فاطمأنَّ قلبه على كنيسة فيلبّي. حديث عن تجرّد هذا التلميذ الذي جعل كلَّ همه في إرضاء يسوع المسيح. هو الخبير بعد أنَّ مرَّ في المحن العديدة. وهو الخادم الأمين للبشارة، على مثال بولس نفسه. أمّا متى يأتي تيموتاوس إلى فيلبّي، فيرتبط بمصير بولس. يرتبط بما تؤول إليه الحال، بعد أن صار في السجن، وقد يُرمى للوحوش إن لم يُعلن أنَّه مواطن رومانيّ. غير أنَّ ثقة الرسول لا ترتبط بالناس؛ ثقته بالربّ بعد أن قال: "أنا أعرف في من وضعت ثقتي، وهو يحفظ لي وديعتي" (٢تم ١: ١٢).

هو بولس يتحدَّث مع من يعمل معه (συν εμοι)، ويلامس بعض الشيء ما يلامس أموره الخاصَّة. من هنا انطلق البعض لكي يتحدَّث عن رسالة جديدة، وافترضوا أنَّ فل تتضمَّن أكثر من رسالة. واستندوا إلى روم، ١كور، أف، كو، فلم، ليعلنوا مقالهم حول أسلوب الرسول. غير أنَّ موقفهم ضعيف، لأنَّ بولس يتحدَّث أيضًا عن أموره الخاصَّة في قلب رسائله. مثلاً، في ١كور ٤: ١٧-١٩ ("لذلك أرسلت إليكم تيموتاوس") وفي ٢كور ٨: ١٦-١٩ ("الحمدُ لله الذي جعل في قلب تيطس...")

والأمر واضح بشكل خاصّ، حين يتعلَّق الكلام بمسائل تخصُّ الكنيسة. ذاك هو الوضع هنا، وبولس قلقٌ من أهل فيلبّي المهتمّين بأمورهم الخاصَّة (τα εαυτων)، وناسين أمور الآخرين (τα ετερων) (٢: ٤). نبَّه الرسول المؤمنين، فأورد النشيد الذي يُبرز دور الخادم (δουλος) لدى المسيح (٢: ٦-١١). ثمَّ أعطى مثلاً من حياته حيث هو مستعدٌّ أن يسفك دمه قربانًا على ذبيحة إيمانهم (٢: ١٨). وأخيرًا، جعل من تيموتاوس مثالاً لهم، وهو الذي جعل نفسه للخدمة (εδουλευσεν، ٢: ٢٢)، فاهتمَّ بما يخصُّ الفيلبّيّين (τα περι υμων) أكثر ممّا اهتمَّ بنفسه.

بدا بولس هنا وكأنَّه يقدِّم المعلومات إلى أهل فيلبّي حول قصده في ما يخصُّ تيموتاوس. غير أنَّه واصل تعليمهم حول مزايا من يكون مسيحيًّا فيخدم الآخرين ولا يطلب أن يُخدَم (مر ١٠: ٤٥). فالنشيد للمسيح (٢: ٥-١١) يُلقي بضوئه على حياة تيموتاوس، كما على حياة أبفروديتس بحيث لا نستطيع أن نحسب آ١٩-٢٤ كبداية رسالة جديدة في عدَّة رسائل تتألَّف منها الرسالة إلى فيلبّي.

ب- ورأيت من الضروريّ (آ٢٥-٣٠)

٢٥ "ورأيتُ من الضروريّ أن أرسل إليكم أبفروديتس، أخي ومعاوني ورفيقي في الجهاد، هذا الذي أرسلتموه إليّ ليقوم بحاجتي.

٢٦ فهو مشتاق إليكم جميعًا ومتضايق لأنَّكم سمعتم بمرضه.

٢٧ كان مريضًا جدًّا حتّى أشرف على الموت، ولكنَّ الله ترأَّف به، وبي أن أيضًا، لئلاّ أزداد حزنًا على حزن.

٢٨ هذا ما جعلني أعجِّل في إرساله إليكم، حتّى إذا رأيتموه عاد الفرح إليكم وقلَّ حزني.

٢٩ فاقبلوه في الربِّ بكلِّ فرح، وأكرموا أمثاله،

٣٠ لأنَّه أشرف على الموت في خدمة المسيح، وخاطر بنفسه ليُكمل ما نقص من خدمتكم لي".

تحدَّث بولس هنا عن رفيق آخر له في الخدمة. ودلَّ على ما في قلبه من حنان حين رأى ذاك الآتي إليه من فيلبّي، يمرض مرضًا خطيرًا. كما دلَّ على تقدير كبير لهذا الرفيق في الجهاد (συστρατιωτην). هو جنديّ مع بولس الجنديّ. كلاهما في خدمة المسيح، كما الأخ مع أخيه (αδελφον)، في تعاون تامّ (συνεργον) هما يعملان معًا، في التواضع، لا في التباهي (٢: ٣٠). والواحد يفضِّل الآخر على نفسه (υπερεξοντας)، بل يستعدُّ أن يبذل حياته على مثال الربّ (مر ١٠: ٤٥، δουναι την ψυχην). أمّا أبفروديتس "فخاطر بنفسه" (παραβολευσαμενος τη ψυχη).

هو الرسول يعطي معلومات عن ذاك الذي يرسله إلى كنيسة فيلبّي. هذا ما لا شكَّ فيه. ولكنَّه من خلال أخبار

مثل هذه، يقدّم للمؤمنين مثالاً يقتدون به إذا أرادوا أن يكونوا مسيحيّين بحسب قلب الربّ.

كان أهل فيلبّي قد أرسلوا أبفروديتس (آ٢٥، αποστολος) ليحمل تقدمتهم إلى الرسول (٤: ١٨)، ويكون معه، فيقدّم له ما يحتاج إليه. نحن لا نعرف الكثير عن أبفروديتس، سوى ما كتب عنه بولس هنا، في الخدمة التي أدّاها بالنسبة إلى الرسول وإلى عمل المسيح. هناك من ماهى بين أبفروديتس (معنى الاسم: المحبوب) وأبفراس (اختصار اسم أبفروديتس) الذي هو رفيقٌ آخر لبولس وعاملٌ معه في كولوسّي (كو ١: ٧؛ ٤: ١٢؛ فلم ٢٣). مهما يكن من أمر، فأبفروديتس مرض وشارف على الموت، وبعد أن استعاد العافية، أُرسل إلى فيلبّي حاملاً هذه الرسالة.

أرسل بولس تيموتاوس، وها هو يرسل أبفروديتس. هذا يعني بالنسبة إلى عدد كبير من الشرّاح، أنّ بولس لم يكتب من قيصريّة ولا من رومة، بل من أفسس حيث كان مسجونًا. ولكنّ المدافعين عن رسالة من قيصريّة البحريّة (في فلسطين حيث كان بولس مسجونًا قبل الذهاب إلى رومة) يتحدّثون عن زمن طويل أقام فيه أبفروديتس لدى بولس، وأصابه المرض، كما عن "سرعة التنقّل في الإمبراطوريّة الرومانيّة" (وإن كان هذا الأمر حكرًا على الأغنياء، وعلى الرسميّين).

٢- بولس بين تيموتاوس وإبفروديتس

بدأ الرسول فوصّى بتيموتاوس (آ١٩-٢٣)، ثمّ وصّى بأبفروديتس (آ٢٥-٣٠)، ففصلَ بين التوصيتين تمنٍّ في قلب الرسول: "أن أجيء إليكم".

أ- التوصية بتيموتاوس

بدأ الرسول فأعلن أنّه يرسل تيموتاوس πεμψαι، (آ١٩أ) ثمّ دلّ على ما دفعه إلى هذا القرار (آ١٩ب-٢٢): "لكي يهتمّ بأمركم". فالرسول يتمنّى أن يكون في فيلبّي، ولكنّ ذلك يُمنَع عليه. فما وجَد من يحلُّ محلّه في الوقت الحاضر سوى تيموتاوس. وفي آ٢٣ عاد فكرّر ما قاله في آ١٩ب (ελπιζω ...πεμψαι). هل هناك من تردُّد؟ لا بسبب ضعف في الإمكانيّات عند تيموتاوس، وهو من يمتدحه الرسول هنا، بل لأنّه لا يريد أن ينفصل عمّن هو "ابن" بالنسبة إليه. فهل تتغلّب العاطفة الأبويّة على حاجات الرسالة، لاسيّما وأنّ بولس لا يعرف شيئًا عمّا سيحلُّ به؟ هنا نلاحظ فعلين في آ١٩ و٢٣. "أرجو" (πεποιθα ثمّ ελπιζω)، "لي ثقة". فبالرغم من الصعوبات، تأكّد بولس أنّه يمضي إلى فيلبّي تأكيدًا يتفوّق على ثقته بذهاب تيموتاوس. فمشروع بولس لا يقوم على المستوى البشريّ، بل على الربّ يسوع "الذي هو الربّ لمجد الآب" (٢: ١١). فرجاؤه بالنسبة إلى تيموتاوس، وثقته بالنسبة إلى "مجيئه"، هما في الربّ يسوع (εν κυριω σηδου).

سيرسل بولس تيموتاوس، ثمّ أبفروديتس، راجيًا أن يمضي هو أيضًا إلى فيلبّي. هو تمنٍّ حارّ، في قلب الضعف الذي يعيشه الرسول: البعد، السجن، ربّما العمر والتعب. ولكنّه ينتظر معونته من الربّ الذي يعمل في الضعف. في هذا قال الرسول: "لذلك أنا أرضى بما أحتمل من الضعف... في سبيل المسيح، لأنّي عندما أكون ضعيفًا أكون قويًّا" (٢كور ١٢: ١٠). وقال هنا: "حياتي هي المسيح" (١: ٢١). فيه أرجو، به أثق، معه أعمل، فلا داعيَ للخوف ولا للقلق.

منذ ١: ١ عرفنا أنّ تيموتاوس هو شريك بولس في الرسالة، خادم (δουλος) المسيح. هو أقرب الناس إلى "أبيه"، والعارف بأفكاره، بعد أن اعتاد الرسول أن يُفيض قلبَه في قلب "تلميذه". وسبق الرسول فأرسله في مهمّات إلى تسالونيكي (١تم ٣: ١-٥) وإلى كورنتوس (١كور ٤: ١٧؛ ١٦: ١٠-١١). اعتاد أن يُرسله من أجل خير الكنائس. أمّا هنا فقال الرسول: "ليطمئنّ قلبي"، تكون نفسي في راحة. ثقة الرسول كبيرة بمعاونه؛ فهو يستطيع أن يساعد المؤمنين للتغلّب على مخاوفهم وصعوباتهم حين يعرفون أحوال رسولهم. وحين يعود تيموتاوس، يحمل إلى بولس من الأخبار ما يُثلج صدره.

قال بولس: تيموتاوس "نظير نفسي" (ισοψυχος) هو هو نفسي. فمن كان كذلك، يرسله بولس وهو مرتاح القلب. هو يتميَّز عن "الجميع" (παντες)، فالأنانيَّة تسيطر بين المؤمنين، كما بين المرسلين. يكفي أن نتذكَّر ما قيل في ١: ١٤-١٧: جُعل بولس في السجن، فأراد كلُّ واحد أن يستفيد من الوضع الجديد: هذا ارتاح من مزاحم، وآخر حلَّ محل الرسول. فالفرق شاسع بين "الذين يطلبون" (ζητουσιν) ما يؤول لفائدتهم الشخصيَّة، وبين الذين يطلبون يسوع المسيح. هناك بان الفرق الشاسع بين بولس "ومزاحميه". ارتفع فوق الأهواء البشريَّة، فقال: "حسبي أنَّ المسيح يبشَّر به". أيكون ذلك عن "نيَّة صالحة"؟ لا بأس. أيكون ذلك بداعي "الحسد والمنافسة" (١: ١٥)؟ المهمُّ انتشار الإنجيل واسم يسوع، لا سمعة الرسول وشهرته.

صفات رائعة لدى تيموتاوس. ولكن أتُرى الحياة جرَّبته؟ أما يبدو شابًّا بعدُ وبدون خبرة تعدُّه للمهمّات الصعبة؟ وجاء كلام الرسول: امتُحن فوُجد أهلاً. (δοκιμος، آ٢٢). لماذا هذا الكلام عن تيموتاوس؟ لأنَّ تيموتاوس، على ما يبدو، لم يلعب دورًا كبيرًا في تأسيس الكنيسة في فيلبّي، على غرار ما فعل في كورنتوس مثلاً أو في تسالونيكي؛ فلا شيء يؤهِّله لذلك. ولكنَّ الرسول بيَّن الأسباب: الأوَّل: "لأنَّ (γαρ): ما عندي مثله". الثاني: "لأنَّ (γαρ): "الآخرون يبحثون عن مصالحهم". الثالث "لأنَّ" (δε): "تعرفون مقدرته من أجل نشر الإنجيل"، (εις το ευαγγελιον).

في آ٢٢ جاء δοκιμην؛ لفظ يُستعمل سبع مرّات في العهد الجديد، وعند بولس حصرًا. ويدلُّ على المحنة ونتيجتها (٢كور ٨: ٢؛ روم ٥: ٤). امتحن بولسُ تيموتاوس ورأى النتيجة في ظروف أخرى، ربَّما أكثر صعوبة. هذا يعني أنَّ بإمكانه أن يحلَّ محلَّ الرسول، لا سيَّما وأنَّه عمل مع بولس، تعلَّم منه وتمرَّس في الرسالة.

وخلاصة القول، ما استطاع بولس "في الحال" (ταχεως) أن يمضي إلى فيلبّي، فعزم أن يرسل تيموتاوس مكانه. وحاول أن يبرِّر قراره، فوصف مرسله وما يتمتَّع به من مزايا، إلى مؤمنين سبق فعرفوه: فهو يفكِّر مثل بولس، ويحسُّ كما معلِّمه. ويهتمُّ اهتمامًا خاصًّا بأهل فيلبّي، نظير بولس. ويستعدُّ لأنّ يقوم بسفر طويل ليحلَّ المشاكل في تلك الكنيسة. إن رفضوه، دلُّوا على أنَّهم يطلبون ما هو لهم، لا ما هو للمسيح. فهذا الذي عمل مع بولس، وتَعَامَلَ معه تَعَامُلَ الابن مع أبيه، لا يمكن إلاّ أن ينجح في المهمَّة التي انتُدب إليها، بعد أن رافقته بركة الرسول. "أنا أرسله". ولي ملء الثقة بما يمكن أن يفعل من أجلكم.

ب- التوصية بأبفروديتس

أتُرى يحلُّ تيموتاوس بشكل نهائيّ محلَّ بولس، فلا يعود الرسول يجيء إلى فيلبّي؟ كلاّ. فزيارة تيموتاوس إلى فيلبّي تهيّئ الطريق لزيارة بولس. فمحبَّة بولس لأهل فيلبّي تمنعه من أن لا يجيء. ثمَّ إنَّ الحالة صعبةٌ في تلك الكنيسة، بحيث إنَّ الرسول بعث باثنين من معاونيه. ولهذا السبب أيضًا، يستعدُّ بولس أن يجيء حين تسمح له الظروف، فيكمِّل عملاً قام به معاوناه. أجل، بولس وصّى بتيموتاوس، وها هو يوصّي بأبفروديتس. ثقته كاملة بما يمكن أن يعملا. قال: "أرسل إليكم تيموتاوس" (آ١٩). ثمَّ قال: "أرسل إليكم أبفروديتس" (آ٢٤).

جاءت آ٢٥-٣٠ في جزءَين: الإشارة إلى إرسال أبفروديتس والدافع إلى هذا الإرسال (آ٢٥-٢٨). والنتيجة صارت في فعلين في صيغة الأمر: "فاقبلوه" (προσδεχεσθε). والفعل يعني: انتظر (لو ٢: ٣٥-٣٨؛ ٢٣: ٥١؛ أع ٢٣: ٢١)، كما يعني: "تقبَّل"، "استقبل" (لو ١٦: ٣). نجد عبارة مماثلة في ١٥: ٧: "فاقبلوا بعضكم بعضًا". والفعل الثاني: و"أكرموا أمثاله"، (τους τοιουτους εντειμους εχετε). كلُّ هذا يرتبط بالتوصية (τυπος συστατικος). هذا ما نجده عند بولس في مواضع أخرى. بالنسبة إلى بيت استفاناس (١كور ١٦: ١٥-١٦): "فأناشدكم أيُّها الإخوة". "أرسل إليكم". من؟ أبفروديتس.

هو حامل الرسالة، سوف يقرأها ويشرحها. ويعرف ما قال عنه بولس من كلام مديح. ارتبط اسمه بالإلاهة أفروديت، إلاهة الحبّ. هذا يعني أنَّه مسيحيّ جاء من أصل وثنيّ. قيل عن تيموتاوس: "خادم المسيح" (δουλος χροστου)؛ أمّا أبفروديتس، فذُكرت له مزايا خمس. أوّلاً، بالنسبة إلى بولس هو الأخ، هو المعاون، هو الرفيق، رفيق السلاح. ثانيًا، بالنسبة إلى أهل فيلبّي: هو مرسل من عندهم، وهو "خادم" لدى بولس (λειτουργος). توخَّت هذه الصفات التي ذُكرت أن تدلَّ على مكانة أبفروديتس، كما على الفائدة من وجوده بقرب الرسول. ثمّ توخّى الرسول أن يربح ودَّ الفيلبّيّين، فقال لهم إنَّهم أحسنوا الاختيار حين أرسلوا إليه مثل هذا الرجل المميَّز. ولماذا كان من الضروريّ أن يُرسَل إليهم؟ للتعرُّف إلى وضع الرسول ووضع الجماعة.

أبفروديتس هو "أخ" (αδελφος). اعتاد بولس أن يدعو المسيحيّين بهذا الاسم الذي يعني "مسيحيّ". أمّا هنا، فدلَّ بولس على علاقة محبَّة من القلب إلى القلب: هو المعاون، العامل مع، لقبٌ يعني الرسل ومشاركيهم في العمل الرسوليّ (١كور ٣: ٩)، كما يعني المسؤولين في الكنيسة المحلّيَّة، مثل فيلمون (فلم ١). وإذ هو رفيق السلاح، يفهمنا الرسول الصعوبات التي واجهها الرسول ومعاونه من قبل خصوم الإنجيل. اعتاد بولس أن يتحدَّث في "لغة" حربيَّة، لاسيَّما وأنَّ مدينة فيلبّي تكوَّنت في الأصل من المحاربين القدامى. مثلاً، في ١كور ٩: ٧: "من هو الذي يحارب والنفقة عليه؟". وفي ٢كور ١٠: ٤: "فما سلاحنا جسديّ، بل إلهيّ، قادر على هدم الحصون".

"أرسلتموه أنتم لكي يساعدني"، فالفعل αποστελλω يدلُّ عادة على الذين أرسلهم القائم من الموت. فبولس قد أرسله المسيح (روم ١: ١؛ ١كور ١: ١؛ ٩: ١، ٢). وهناك مرسَلو الكنائس كما في ٢كور ٨: ٢٣ (رسولا الكنائس). ذاك كان وضع أبفروديتس. وهو مرسل "رسميّ"، على مثال الكاهن الذي يكلَّف بالعمل الليتورجيّ. جمعت كنيسةُ فيلبّي المعونات وأرسلتها مع أبفروديتس. ولكنَّ عمل أبفروديتس لم يكن محدَّدًا في هذه المهمَّة، بل لبث مع الرسول. عاونه في حمل البشارة وتثبيت الكنائس. وها هو بولس يحكم في الوقت الذي فيه يجب أن يعود هذا المرسَل إلى كنيسته. وهنا تأتي الأسباب.

السبب الأوَّل، الرغبة في أن يرى أخصّاءه ويطمئنهم عن حاله. عرف الفيلبّيّون أن أبفروديتس مرض. تأخَّر بولس في إرساله، فالأخطار كثيرة، وليس آخرها السفر في البحر. ثمَّ إنَّ المرض كان خطيرًا، فوصل بأبفروديتس إلى الموت (παραπλησιον θανατω). أشار بولس إلى هذه الخطورة، ليبرِّر تأخير أبفروديتس لديه. وتحدَّث الرسول بلغة الكتاب، فما ذكر الأسباب البشريَّة لهذا الشفاء، بل رحمة الله فقط (ηλεησεν).

وهكذا وفَّر الله على رسوله حزنًا آخر، يضاف على ذاك المذكور في ١: ١٢-٢٦. هي عاطفة الحبّ جعلته يخاف من أن يموت أبفروديتس، مع أنَّه قال في بداية الرسالة إنَّه كان يفضِّل الموت على الحياة لكي يكون مع المسيح (١: ٢١). ونحن لا نتعجَّب من هذه العاطفة البشريَّة، حين نعرف أنَّ يسوع بكى على لعازر حبيبه، مع أنَّه كان يستعدُّ لكي يعيده إلى الحياة (يو ١١: ٣٥).

والسبب الثاني، أبفروديتس متضايق بعد أن عرفت الجماعة بمرضه. قد يكون طلب من الرسول أن يعود إلى فيلبّي، فتجاوب بولس مع طلبه، وعجَّل في إرساله (σπουδαιοτερος) بأسرع ما يمكن. وهكذا لبّى الرسول رغبة أبفروديتس ورغبة الفيلبّيّين. والهدف، فرح الكنيسة من جهة، وحزن أقلّ للرسول. نحن نفهم فرح أهل فيلبّي. ولكن لماذا لم يفرح بولس؟ لأنَّه تعلَّق بأبفروديتس. كان حزنه كبيرًا لو أصاب هذا الأخ الحبيب وهذا المعاون الناجح، مكروه. (λυπην επι λυπην)، ولكن خفَّ الحزن

(αλυποτερος) بعد أن عاد أبفروديتس إلى وطنه. غير أن هذا لا يعني أنّ الرسول فرح. ولكن ما في اليد حيلة. المهمّ أنّ الكنيسة سوف تستقبل بفرح ذاك العائد إليها. ففي خدمة المسيح خاطر بحياته، في أفسس. وسوف يواصل عمله في فيلبّي بالاندفاع عينه. حين كان بقرب الرسول عوّض "ما نقص من خدمتكم"، لا بسبب التهرُّب، بل بسبب المسافة. لهذا، أرسله بولس متمنّيًا أن يعود إليه هو أو من يكون نظيره في الخدمة (λειτουργια)، في عمل المسيح، (το εργον χριστον).

لا يستطيع بولس في الوقت الحاضر أن يمضي إلى فيلبّي، ولا تيموتاوس. لهذا، سوف يمضي أبفروديتس ليعيد السلام إلى الجماعة هناك. هو حلٌّ ناجح. فأبفروديتس هو من فيلبّي، وقد نال ثقة الفيلبّيّين وبولس (آ٢٥). وبولس يستطيع أن يستند إليه لكي يعمل من أجل وحدة الجماعة، كما أنّ أهل فيلبّي سيُصغون إليه وهو إنسان محترم لديهم. وأخيرًا، عرف الفيلبّيّون أنّ أبفروديتس مرض، فقلقوا عليه وانتظروا الأخبار حول وضعه الجديد. إرسال من قبل بولس. حاجة لدى أبفروديتس. تساؤل لدى أهل فيلبّي حول صحّة من أرسلوه. رغبة بولس بأن يكون من يتكلّم عنه صاحب سلطان في كنيسة يقلقها الانقسام. كلُّ هذا يعطينا فكرة عن موقف بولس تجاه أبفروديتس، ذاك الخادم الأمين والعامل المندفع الذي أرسله أهل فيلبّي ليكون مع بولس. ولكن حصل ما حصل من مرض. فأجبر بولس على التخلّي عن معاون له وأخ. غير أنّ هذا لا يمنعه أن يلبث في الفرح في قلب رسالته، بل يكتب إلى الكنيسة: "حافظوا على الفرح في الربّ" (٣: ١).

الخاتمة

وهكذا تعرّفنا إلى بولس الرسول في علاقته مع مشاركيه في الرسالة. سواء تيموتاوس ذاك الذي ختنه بولس لكي يكون معه في بشارة يحملها إلى الشعب اليهوديّ، أو أبفروديتس، ذاك اليونانيّ الذي هو أخ ومعاون ورفيق لبولس. وكم تمنّى أن يبقيه الرسول معه، إنّما المرض فصل بينهما. ولكن بالرغم من الصعوبات الكثيرة، لبث الفرح مسيطرًا على قلب الرسول، وتمنّى أن يطبع كنيسة فيلبّي بهذا الفرح عينه. فالرسالة ليست عمل فرد من الأفراد، ولو كان بولس رسول الأمم، بل هي عمل فريق رسوليّ تتكاتف فيها الجماعة في المحبّة والاحترام المتبادل. بعد ذلك، لا نستطيع أن نصف بولس أنه ذلك المتفرّد في الرأي والرسالة، وهو من عرف أن يقيِّم الأشخاص ويقدِّرهم حقَّ قدرهم. أمّا الهدف الأخير فهو الرسالة وحمل الإنجيل وخدمة الإخوة في العالم اليهوديّ كما في العالم اليونانيّ.

فل ٣: ١-١١

البـــرّ والحـــقّ

الأب د. لويس الخوند

أستاذ مادة اللاهوت الخُلُقي في جامعة الروح القدس – الكسليك

المقدمـــة

يحيّي بولس "جميع القدّيسين في المسيح يسوع، الذين في فيلبّي، مع الأساقفة والشمامسة" (١/١). ويشكر إلهه، كلما ذكرهم (٣/١)، لمشاركتهم "في الإنجيل منذ أوّل يوم" (٥/١)، واثقًا أن مَن بدأ فيهم "عملاً صالحًا"، سيكمّل حتى يوم المسيح" (٦/١). ويرى "من العدل" أن يكون فيهم جميعًا "هذا التفكير"، لأنهم جميعًا مشاركون في نعمته (٧/١). ويقيم الله "شاهدًا" عليه كيف يتشوّق إليهم "جميعًا في أحشاء المسيح يسوع" (٨/١). ويطلب إليهم أن يمتحنوا "الأمور الفضلى"، لكي يكونوا "ممتلئين ثمر برّ بيسوع المسيح، لمجد الله ومدحه" (١٠/١ – ١١). ويريد أن يعلموا ما جرى له، أي الأسر، الذي آل "إلى نموّ الإنجيل" (١٢/١)، وأن سلاسله "صارت في المسيح مشهورة" (١٣/١)، ومن خلالها ازداد الاخوة "جرأة على النطق بالكلمة" (١٤/١). وهو يعلم أنّ هذا سيفضي به "إلى الخلاص" (١٩/١) في الابن. "سيعظّم المسيح" في جسد بولس، "بحياه أو بموت" (٢٠/١). فهو يشتهي أن ينحلّ ويكون "مع المسيح" (٢٣/١). ولكنّه يعلم أنّه سيبقى في القرب منهم جميعًا (٢٥/١)؛ لكي يزداد في المسيح يسوع فخرهم به (٢٦/١). وحرّض الرسول الجماعة المسيحية من "فردوس" مصطنع، ليبنوا حياة أخلاقيّة ملموسة (٢٧/١ – ٥/٢؛ ١٢/٢ – ١٦؛ ٢/٤ – ٩). ويحثّ بولس أهل فيلبّي على أن يسيروا "سيرةً جديرة بإنجيل المسيح"، مناضلين "في سبيل الإيمان بالانجيل" (٢٧/١)، وإن ذلك دليل على "خلاص" لهم (٢٨/١). ويحرّض بولس أهل فيلبّي على الاتّفاق والاتّضاع (١/٢–١١)، وأن يعملوا للخلاص (١٢/٢–١٨)، "بخوف ورعدة"، كما أطاعوا "على الدوام" (١٢/٢)، "بغير تذمّر وجدال" (١٤/٢).

بعد تلك التعاليم، دفع موضوعُ "الخلاص" الرسولَ بولس إلى أن يحدّث أهل فيلبّي عن البرّ والحقّ (١/٣–١١). وهذان هما موضوعان أساسيّان واردان في الرسالة.

أولا: موضوع البرّ

للبرّ مفاهيم عديدة في الكتاب المقدّس. ومن جملة ما يعني في شريعة العهد القديم: العدالة الاجتماعية. "والبار" هو صاحب الحق. هو القاضي النزيه الذي يقضي ببراءة البريء. ذاك البريء هو المسكين وضحية العنف، والمسيّا المنتظر يصنع البرّ دون ما شائبة. والبر يعني الحفظ الكامل للوصايا الالهية، أي السلوك المطابق للشريعة. فالتصرُّف بوداعة وحلم يعتبر برًّا قدام الله، ويستوجب أجرًا. والبرّ الذي يناله المرء من الله هو البركة الالهية. والبرّ يقوم في تنظيم علاقات الناس في ما بينهم. والبرّ هو الحكمة في حيّز الممارسة. وتُستعمل كلمة "برّ" للدلالة على الصدقة. ويتّصف البار بالطِّيبة والمحبّة.

وفي أسلوب المسيح، الذي "قد أتمّ كلّ بر"، يحتفظ البرّ بمعناه

الكتابيّ، أي التقوى القائمة في ممارسة الشريعة. وعرّف يسوع السلوك الأدبي بمثابة برّ حقيقيّ، وبمثابة طاعة لوصايا الله. ويشجب يسوع برّ الفريسيين المزيّف. وحياة التلميذ تتّسم بالبرّ، أي بالأمانة لقواعد سلوكية معيّنة. وعرّف يسوع التبرير بأنه المغفرة الموعود بها للمتواضعين.

ومن مواضيع شكر بولس وصلاته، طلب نعم كاملة من محبة وفهم ومعرفة ونقاء وبرّ (١/٦، ٩-١١)، لمستقبل أفضل، حتى "يوم المسيح يسوع" (١/٦ و١٠). يعيش المؤمن على رجاء "يوم المسيح يسوع"، مستعدًا له بنموّ مطّرد من أكثر إلى أكثر في المحبة والمعرفة والنقاء وكلّ برّ (٢/٩ و١٦؛ ٣/٢٠؛ ٤/٥).

صلاة بولس أن يكون أهل فيلبّي "ممتلئين ثمر برٍّ بيسوع المسيح، لمجد الله ومدحه" (١/١١؛ ٣/٩).

ويعلم بولس أنّ أسره وسلاسله وحسد البعض، ستُفضي به "إلى الخلاص" (١/١٩). "والخلاص" هنا يعني خروج بولس من السجن حيًا مبرّرًا. فالبرّ الذي يأتي من الله ويعتمد على الإيمان هو الخلاص الذي يرتكز على مصير المسيح؛ يبدأ بروح الله (٣/٣) وينتهي بالتحول الجسديّ. هذا البرّ هو عطيّة من الله وليس كالبرّ الذي هو من الشريعة والذي ينطلق من عمل الإنسان على أساس الشريعة.

من عناصر إخراج القيد الذي عرّف به بولس عن نفسه: أنّه كان يسعى، قبل اهتدائه إلى الإيمان، إلى برّ الشريعة. كان "مضطهِدًا لكنيسة (الله) من حيث الغيرة، بلا لوم من حيث البرّ الذي في الشريعة" (٣/٦). وعلى هذا الأساس، يمكن تسمية البرّ، البرّ الذي يناله الصدّيق البرّ الآتي من الشريعة (٣/٩). كان بولس يهوديًا غيورًا على حفظ الشريعة، واضطهاد الكنيسة، صار مسيحيًا غيورًا على نشر الانجيل، وخدمة الكنيسة. فالبرّ بالإيمان بالمسيح.

أ- البرّ بالإيمان بالمسيح (٣/٩)

إنطلاقًا من صورة المسيح المحوريّة تأتي تأكيدات بولس بشأن البرّ. ذِكْرُ ماضيه اليهودي (٣/٥-٨) حدا ببولس المسيحيّ إلى التذكير بأنّ التبرير لا يأتي من العمل بأحكام الشريعة القديمة، بل يأتي مجاناً من الإيمان بالمسيح يسوع. فالإيمان بالمسيح يبرّرنا. وعلى هذا الأساس يتبدّل مفهوم بولس في التبرير تبديلاً كاملاً. فالله "يبرّر" الإنسان، أي يضمن له الخلاص بالإيمان بالمسيح والاتحاد به. فمنذئذ أضحت كلمة "البرّ" ومشتقّاتها تعني الحقائق المسيحية الخاصّة بالخلاص، مع تذكير بالتعليم حول "برّ الله" (٣/٦)، كما أراده الله، أي فعل الله. نحن هنا أمام برّ يأتي من الله، تجاه برّ يُستخرج من الشريعة فتأخذ مكان الله، مع أن غايتها المسيح، مسيح الله.

يحسّ بولس كلّ شيء "نفايات"، ليكون "في المسيح"؛ "لا برّ له من الشريعة"، بل البرّ الذي من الإيمان بالمسيح، برًا من الله، قائمًا على الإيمان" (٣/ ٨ - ٩).

فالمؤمن الذي يريد أن يكون "في المسيح"، أن يجد نفسه في المسيح (٣/٩)، أي أن يتبرّر به، لا يسعى إلى تحقيق مبتغاه من خلال برّه، بل من خلال البرّ الذي يأتي "من الله"، ويعتمد على الإيمان (٣/٩). وديناميّة الإيمان من قيامة المسيح. أعرفه، أعرف قدرة قيامته (٣/١٠-١١). فالإيمان هو معرفة، هو حياة حميمة خاصّة. من عرف المسيح اختبر قدرة الحياة. في كل هذا يأمل الرسول البلوغ إلى القيامة.

ب- فالبرّ يتطلّب السعي

"لعلّي أبلغ القيامة من بين الأموات" (٣/١١)

لا يشكّ بولس في إمكانه بلوغ القيامة من بين الأموات، لأنّ رجاء القيامة قائم على وعد الله الأمين. ولا يتكلّم بولس هنا عن القيامة في آخر الزمان، تلك التي تشمل الأبرار والأشرار، بل عن قيامة الأبرار، التي يأمل أن يبلغها ليكون "مع المسيح". فبين قطبي الموت والقيامة يسير المؤمن في الحق".

ثانيًا: موضوع الحقّ

الحقّ يعبّر عن إرادة الله القدوسة. لذا الفرح بـ "الحقيقة".

يشكر بولس إلهه، كلّ ما ذكر أهل فيلبّي، ويضرع "بفرح على الدوام"، لمشاركتهم "في الإنجيل منذ أوّل يوم" (٣/١-٥)، أي من يوم صاروا مسيحيّين، فتابوا إلى الله الحيّ الحقّ، وآمنوا بالربّ يسوع. ليس موضوع رسالة الرسول تعليمًا نظريًا، بل هو شخص المسيح ذاته.

حَسْبُ بولس "أن يبشّر بالمسيح، على كلّ حال، بفرض أو بحقّ" (بإخلاص): إنّه ليفرح بهذا ولن يزال يفرح (١/١٨). يستخدم بولس الرسول لفظ ἀληθεια بمعنى الصدق. لا يرى بولس في ذلك أي خطر على حقيقة الانجيل، بل يفرح فرحاً عظيماً بنشاط المبشّرين الجدد الكثيرين. والرسالة كلها تهتزّ بالفرح أمام النظرة إلى انطلاقة جديدة للعمل الرسولي (١/١٢-٢٦). كما نحسّ بالسخط وعدم الرضى تجاه تزييف الإنجيل (ف ٣).

المسيح يسوع "ما حسب مساواته لله غنيمة" (٢/٦ ب)، أي "ما للألوهة من مقام ومجد واحترام، كان من حقّ يسوع وباستطاعته أن يتمسّك بها في تجسّده وعيشه بين الناس، لكنّه لم يفعل. التعبيران "شبه الناس" و "مظهر كإنسان" (٢/٧) لا يعنيان أنّ تجسّد ابن الله كان "شبهاً" ومنظراً لا غير، بل ممّا يدلاّن على حقيقة تجسّد ابن الله، من جهة، وعلى حقيقة سرّ لاهوت المسيح ابن الله، من جهة أخرى. تخلّى عن ذلك المجد، نتيجة للفداء الذي حقّقه بآلامه وموته وقيامته (٢/٩-١١). "رفعه الله جداً" (٢/٩). عمل الله الآب هذا تحقّقَ في قيامة يسوع وصعوده. "والله هو العامل فيكم" (٢/١٣). فالله هو الذي يدفعنا إلى العمل، مطابقًا إرادتنا وعملنا على قصده الخلاصيّ الذي حقّقه ابنه يسوع (١/٦). وبولس لو يُراق على ذبيحة إيمان الفيلبيين وخدمتهم، لكان يفرح (٢/١٧). يستعير بولس صورة السكيب، في العهد القديم، من خمر أو زيت أو ماء تراق على الذبيحة، ويطبّقها على المسيحيين: حياتهم المؤمنة هي ذبيحة، وعبادة روحية حقّة (٣/٣؛ ٤/١٨).

أ- إحذروا الكلاب، إحذروا العملة الأرديا، إحذروا قطع اللحم!" (٣/٢).

كان "الكلب" يعني حيوانًا نجسًا، الخنزير أحيانًا (متى ٧/٦)، حتى كان اليهود يلقّبون الوثنيين بـ "الكلاب" (متى ١٥/٣٦). أما بولس هنا فيعني المسيحيين المتهوّدين الداعين إلى حفظ الختانة، كما يتّضح من تسميتهم بـ "العملة الأرديا".

"العملة الأرديا" (متى ٢١/٤١؛ ٢٤/٤٨). يسمّي بولس "عملة أرديا" أولئك المسيحيّين المتهوّدين المروّجين لشريعة موسى ضدّ إنجيل يسوع، في فيلبّي. أما بولس، فهو عامل في "عمل" (١/٢٢) هو إعلان الإنجيل، الحقيقة.

"قطع اللحم": حرفيًا "القطع"، تعبير مُحقّر للمسيحيين المتهوّدين المتمسّكين بشريعة الختانة اللحمية. ان الختانة الحقيقية هي ختانة القلب، ختانة المسيح. "فنحن الختانة، نحن العابدون بروح الله، والمفتخرون بالمسيح يسوع، وغير الواثقين باللحم" (٣/٣). نحن المختونون الحقيقيون بختانة روحية. وتجاه هذا الوضع، ليس الختان بالجسد شيئًا. فالعهد الجديد يستغني عن الختان وعن القلف (أو عدم الختان).

كانت ردّة الفعل قاسية على ما سُمّي "إفساد" الإنجيل ضد جماعة فيلبي. الخراب حاصل أو هو ممكن. والخصوم هم مسيحيون ما زالوا يهودًا، وقد جاءت ممارستهم لشريعة موسى في خطّ غير قويم. ولكننا لا نستطيع أن نحدّد موضوع تعليمهم بتدقيق.

يحدّد بولس بشكل مقتضب (آية واحدة، ٣/٣) هويّة المسيحيّ في نسبته إلى الختان. فالمسيحيّ هو المختون الحقيقيّ وهو الذي يؤدّي العبادة بروح الله ويفتخر بالمسيح يسوع ولا يعتمد على الأمور البشريّة. وفي تحديده هذا يفضح بولس هوية "الكلاب" العملة الأشرار، ذوي "القطع" (الجبّ) (٣/٢). ثمّ ينتقل إلى عرض "شهادة حياة" أخرى مرتبطة بمسألة الختان (٣/٤ - ١٤). فالافتخار الذي يستخرجه خصوم بولس من وضعهم كمختونين، ها هو بولس

يطالب به أيضًا فيقول: "إذا ظنّ آخر أنه يثق باللحم، فأنا أولى" (٣/٤؟٤). ذاك ما كان عليه بولس قبل أن يستولي عليه المسيح: كان يهوديًا كاملاً، ناجحًا، هادئًا في إيمانه وممارسته. كانت لبولس امتيازاته (رسل ٩/٢)، وإذ هو تركها فقد كلّفه ذاك الترك غاليًا (٢ قور ١١/٢٣-٣٠). والآن، كل افتخاره القديم صار من النظام القديم. ولبولس هوية جديدة "عبد المسيح يسوع" (١/١).

فالختانة الحقيقية لا تقوم في علامة سطحيّة، بل في تبديل عميق على مستوى الموقف الحياتي. "نحن العابدون بروح الله" (٣/٣). إن حياة المسيحي الجديدة "بالروح" و"بالمسيح"، تتنافى وحياة اليهوديّ العتيقة "باللحم" (٣/٢). فالروح القدس الذي يدشّن عهدًا جديدًا ويعمل في عمق أعماق الإنسان، يكوّن حياة منفتحة على الله الذي هو الحبّ. وهذه الحياة تصبح عبادة ملموسة يرضى الله عنها (٢/٢٥ و٣٠).

فالمسيحيّ يعرف "المسيح يسوع الربّ" (٣/١٤).

ب- التعرّف إلى المسيح (٣/٧-١١)

"معرفة المسيح": هذا العنوان يصلح عنوانًا للمقطع المحدّد الذي نشرحه في هذا المقال. يقول بولس المهتدي المؤمن الرسول الكاتب اللاهوتيّ: "إنّي لأحسب كلّ شيءٍ خسرانًا، بالنظر إلى الحصول على معرفة المسيح يسوع ربّي" (٣/٨): "معرفة المسيح"، في معناها الكتابيّ الحقّ، لا مجرّد معرفة عقليّة، بل معرفة حياتيّة ملزمة (٣/١٠-١١): فالذي طلبه بولس هو أن يربح المسيح. وقد احتسب كلّ "مفاخر" العالم كالزبل (٣/٨). نحن أمام قيمة مطلقة يجب أن يضحّى بكل شيء من أجلها.

معرفة المؤمن للمسيح، الذي تألّم ومات وقام، هي اشتراك حقيقيّ حاضر في أحداث ماضية، لأنّ قيامة المسيح حقيقيّة حاضرة فعّالة، يشترك فيها المؤمن، ويشترك في الآلام أيضًا وفي الموت، فيتخلّى عن كل شيء، "من أجل المسيح" (٣/٧)، بسبب ما قاله المسيح وحقّقه، ويجاهد في سبيل المسيح (١/٣٠) حتى الاستشهاد (٢/١٧). المسيحيون موطنهم السماء. هذه الحقيقة الإيمانية ليست تبجّحًا؛ إنّها انتظار الذين تمثّلوا بموته على الأرض حتى يمنح جسدهم صورة جسده المجيد.

ثالثا: "البرّ والحقّ" في حياتنا

١- إنّ المجمع الفاتيكاني الثاني يحثّ "بصورة خاصّة وبقوّة، المسيحيّين جميعهم، لا سيّما أعضاء الرهبانيات، على استكشاف معرفة المسيح يسوع الفائقة. فليكن الكتاب المقدّس بين أيدي الرهبان "قبل كلّ شيء وفي كلّ يوم، وليقبسوا من قراءته والتأمّل فيه معرفة المسيح يسوع التي لا توصف (فل ٣/٨). والمسيحيّ، "بما أنّه اشترك في سرّ الفصح، وشابه المسيح في الموت، وتقوّى بالرجاء، فهو يسير نحو القيامة (راجع فل ٣/١٠)" (ك ع ٢٢/٤).

٢- في التعبير المسيحي، اللفظة "كنيسة" (فل ٣/٦) تدلّ على المجموعة الليتورجية، كما تدلّ على الجماعة المحليّة، أو على كلّ جماعة المؤمنين العامّة (ت م ك ك ٧٥٢). "الكنيسة تحرّض، بطريقة ملحّة وخاصّة، جميع المسيحيين على تحصيل معرفة يسوع المسيح (فل ٣/٨) بالمثابرة على قراءة الكتب المقدّسة" (ت م ك ك ١٣٣).

٣- "يجب على كلّ مَن دُعي إلى تعليم المسيح، أن يبحث أولاً عن هذا الربح الذي يفوق كلّ ربح، أعني معرفة المسيح، يجب القبول بخسران كلّ شيء في سبيل ربح المسيح وفي سبيل أن يوجدَ الإنسانُ فيه، وأن أعرفه هو مع قدرة قيامته، والشركةَ في آلامه، فأصير على صورته في الموت، على أمل البلوغ إلى القيامة من بين الأموات (فل ٣/٨ - ١١) (ت م ك ك ٤٢٨).

٤- والقديس بولس يشدّد على ظهور قدرة الله (فل ٣/١٠) "في عمل

الروح القدس الذي أحيا ناسوتَ يسوع المائت، ودعاه إلى حالة الربوبيّة المجيدة" (ت م ك ك ٦٤٨).

٥- **إن كان روح** الذي أقام يسوع من بين الأموات ساكنًا فيكم، فالذي أقام المسيح يسوع من بين الأموات يُحيي أيضًا أجسادكم المائتة، بروحه الساكن فيكم (روم ٨/١١؛ راجع فل ٣/١٠-١١)" (ت م ك ك ٩٨٩).

٦- **والموت** "هو، للذين يموتون في نعمة المسيح، اشتراك في موت الرب، للتمكّن من الاشتراك أيضًا في قيامته (فل ٣/١٠-١١)" (ت م ك ك ١٠٠٦).

الخاتمة

"البرّ والحقّ" يدفعان المؤمنين إلى السعي إلى المسيح (٣/١٢-٢١)، لعلّنا نبلغ "القيامة من بين الأموات" (٣/١١)، لا أنّنا قد أحرزنا أو أنّا اكتملنا، لكنّا نسعى لعلّنا ندرك لأنّ المسيح يسوع أدركنا (٣/١٢). "أيها الاخوة، أنا لا أظنّ أنّي أدركت" (٣/١٣) الغاية، "بلغت الكمال"، أو "تبرّرت". "مع ذلك علينا أن نواصل من حيث بلغنا" (٣/١٤).

كنتيجة حتمية لهذا العرض يأتي توجيه بولس إلى أهل فيلبي (٣/١٥-١٩) كي يأخذوا العبرة من حياته طالبًا منهم بوضوح تام: "إقتدوا بي كلّكم أيها الاخوة".

فالرسالة إلى أهل فيلبّي تنفي أن يعيش المسيحي بدون مبادئ، وتجعل من المسيحيّ صاحب مبدأ أخلاقيّ شامل بالإضافة إلى مبدئه الإيماني الأساسيّ.

فالمبدأ الأخلاقيّ عند المسيحيّ لا يتوقّف عند تطبيق الشريعة فحسب، "فكل ما كان حقًا وشريفًا وعادلاً وخالصًا ومستحبًّا وطيّبَ الذكر وما كان فضيلة وأهلاً للمديح كل ذلك قدّروه حقّ قدوه، وما تعلّمتموه منّي وأخذتموه عنّي وسمعتموه منّي، كل ذلك اعملوا به، وإله السلام يكون معكم" (٤/٨ - ٩).

المراجع

إونغليون، **الرسائل والرؤيا**، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس، الكسليك، ١٩٩٢، ص ٨٨٥-٩٠٠

أنطوان عوكر، "رسالة بولس إلى أهل فيلبي"، في: **رسائل القديس بولس**، سلسلة محاضرات، الجامعة الأنطونية، الدكوانة، ١٩٩٩، ص ٨٣-٨٦.

بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس الى أهل فيلبي**، محطات كتابية، ٤، الرابطة الكتابية، ١٩٩٦.

BIANCHINI Francesco, *L'elogio di sé in Cristo. L'utilizzo della περιαντολογια nel contesto di Filippesi 3, 1-4,1,* Editrice Pontificio Istituto Biblico, Roma, 2006.

BOCKMUEHL Narkus, *The Epistle of the Philippians, Black's New Testament Commentaries,* June 2006, 352 Pages

THURSTON Bonnie B. - N. RYAN Juditte, *Philippians and Philemon*, Minnesota, p. 111-131.

مشير باسيل عون

الفكر العربي الديني المسيحي

مقتضيات النهوض والتجديد والمعاصرة

دار الطليعة - بيروت

فل ٣: ١٢-٤: ١

يسوع وبولس: مَن يُدرك مَن؟

الأب ميلاد الجاويش المخلّصي

يُجيد الكتابة في بولس من يعشقُه ومن تسحرُه شخصيّة هذا الرسول الفذّة. بولس، في أغلب مشاعره، إنسان متطرّف: تطرّف في كرهه الناصريّ وتطرّف في عشقه المسيح؛ تطرّف في اضطهاده الكنيسة الناشئة، وتطرّف في حماسه لنشر الإنجيل. من هنا، لا يَفهم بولس جيّدًا إلاّ من جاراه في التطرّف. قد لا يستسيغ كثيرون هذه المقولة، لكن، على الأقلّ، هذه خبرتي. فيلبّي، الرسالة التي نحن بصددها، هي رسالة كُتبت بمداد الوداد والفرح، هي فيض قلب، وبين طيّاتها تعابير يُجمع الشرّاح، إن لم نقل على تطرّفها، فعلى شدّة وقعها على القارئ. هل هناك صورة أدفأ من صورة الرسول الذي يرغب في أن يضمّ الذين بشّرهم إلى قلبه، لشدّة حنانه عليهم في قلب يسوع المسيح (فل ١: ٧-٨)؟ هل هناك اعتراف أصدق من اعتراف الرسول بأنّه مستعدّ لأن يُراق دمه سكيبًا على مذبح إيمانهم (٢: ١٧)؟ هل هناك تضادٌ أبلغ من اعتبار الموت ربحًا، واتّحادٌ أروع من اختزال الحياة كلّها بالمسيح (١: ٢١)؟ أليس المسيح فيها هو ابنَ الله الذي أخلى ذاته، صائرًا عبدًا، طائعًا حتّى الموت، موت الصليب (٢: ٦-١١)؟... كلّها نصوص ذات تعابير متطرّفة، متطرّفة في الحبّ والحنان، جعلت من فل تستحقّ بجدارة لقب "لؤلؤة رسائل بولس".

فل ٣: ١٢-٤: ١، هذا أيضًا نصّ من طينة تلك النصوص المتطرّفة.

كيف يصل القارئ إلى فل ٣: ١٢-٤: ١؟

لا شكّ في أنّ فل ٣: ١ شكّل منعطفًا مهمًّا في مجرى الرسالة: فمن اللهجة المفعمة بالفرح (ف ١-٢)، ينتقل بولس إلى لهجة التحذير ("إحذروا"، ٣ مرّات في آ ٣: ٢) المشوبة بالتحدّي (٣: ٤ي). كما لا يصعب على القارئ أن يلاحظ كيف يُستدرَج بولس، ابتداءً من ٣: ٥، إلى أسلوب الدفاع عن النفس مستذكرًا في ذلك ماضيه القديم والحديث. هذه اللهجة الدفاعيّة ما لبثت أن تحوّلت إلى اعتراف علنيّ يخبر فيه بولس ما عليه وما له. ها هي لهجته تشتدّ رويدًا رويدًا، فينتقي من الكلمات أسحرها كي تعبّر عن عظم حبّه للمسيح وعن مدى سيطرة المسيح عليه: كلّ ما كان يحسبه مفخرة إنّما هو، مقابل المسيح، "خسران". لا، لا تفي كلمة ζημία بالمطلوب! بل كلّ شيء يُحسب "نفايات" (σκύβαλα) إذا ما قيس مع معرفة يسوع المسيح (٣: ٧-٨). يا له من اعتراف! إنّها طريقة بولس، المتطرّفة دائمًا، عندما تتدفّق مشاعر الحبّ في قلبه![1] لا ننسى أنّه يكتب

(١) يعلّق جوزيف هولزنر على هذه الآية ويقول مؤيّدًا ما قلناه أعلاه عن تطرّف بولس: "ها هو بولس! إنّه عدوّ الاعتدال المميت وممثّل تلك الطبقة من البشر الذين لا يعرفون الحلول الوسطيّة ولا ترضيهم" (جوزيف هولزنر، **بولس الرسول**، ترجمة البطريرك الياس الرابع، منشورات معهد القدّيس يوحنّا الدمشقيّ اللاّهوتيّ، البلمند – لبنان، ط. ثانية، ص ٤٢٧).

لكنيسة فيلبّي، الجماعة التي ما أحبّ مثلها جماعة.

في آ ٣: ٩، يعود بولس إلى ثلاثيّته الشهيرة: **البرّ بالإيمان وليس بالشريعة.** وفي آ ١٠–١١، يكرّر شعاره الدائم: أشارك المسيح في الألم على رجاء أن أشاركه في قيامته من بين الأموات.

إلى هنا يصل القارئ عندما تطأ قدماه عتبة فل ٣: ١٢–٤: ١.

النصّ(٢)

١٢ ولا أقول إنّي حصلتُ على ذلك أو أدركتُ الكمال، بل أسعى لعلّي أقبض عليه، فقد قبض عليّ يسوع المسيح.
١٣ أيّها الإخوة، لا أحسب نفسي قد قبضت عليه، وإنّما يهمّني أمر واحد وهو أن أنسى ما ورائي وأتمطّى إلى الأمام،
١٤ فأسعى إلى الغاية، للحصول على الجائزة التي يدعونا الله إليها من علُ لننالها في المسيح يسوع.
١٥ فعلينا جميعًا نحن الكاملين أن نشعر هذا الشعور، وإذا شعرتم شعورًا آخر، فإنّ الله سيكشف لكم عن ذلك أيضًا.
١٦ فلنلازم خطّ سيرنا حيث بلغنا.

١٧ إقتدوا بي كلّكم معًا، أيّها الإخوة، واجعلوا نصب أعينكم أولئك الذين يسيرون على ما لكم فينا من قدوة،
١٨ لأنّ هناك كثيرًا من الناس، وقد كلّمتكم عليهم مرارًا وأكلّمكم عليهم الآن باكيًا، يسيرون سيرة أعداء صليب المسيح.
١٩ عاقبتهم الهلاك وإلههم بطنهم ومجدهم عورتهم وهمّهم أمور الأرض.

٢٠ أمّا نحن فموطننا في السماوات ومنها ننتظر مجيء المخلّص الربّ يسوع المسيح
٢١ الذي سيغيّر هيئة جسدنا الحقير فيجعله على صورة جسده المجيد بما له من قدرة يخضع بها لنفسه كلّ شيء.

٤: ١ إذًا، يا إخوتي، الذين أحبّهم وأشتاق إليهم وهم فرحي وإكليلي، اثبتوا على ذلك كلّه في الربّ، أيّها الأحبّاء.

في فل ٣: ١٢–٤: ١، يكمل بولس اعترافه، لكن بتعابير جديدة لا تخلو هي أيضًا من القوّة والفرادة.

آ ١٢– ١٦: "أدركتُ... وأُدركتُ"

في آ ١٢–١٦، مفردتان تسيطران على المشهد وتجعلان منه وحدة على حدة: فعل λαμβάνω ومشتقّاته، وفعل τελειόω ومشتقّاته، الأوّل يرد ٤ مرّات والثاني مرّتين.

"لا أقول إنّي حصلتُ على ذلك أو أدركتُ الكمال". الفعل الأوّل **"حصل"** وارد في صيغة الماضي البسيط (ἔλαβον) ليدلّ، مع النفي، على استحالة حجز عمليّة معرفة يسوع بعمل تمّ في الماضي وانتهى؛ هذه المعرفة لا تتمّ بين ليلة وضحاها بل تستمرّ العمر كلّه. والفعل الثاني **"أدركتُ الكمال"** (حرفيًّا: "كُمّلتُ") مستعمل بصيغة الحاضر التامّ المجهول، ليدلّ على أنّ كلّ نعمة، خصوصًا نعمة الكمال، إنّما هي من الله منحدرة. لا بدّ إذًا من **"السعي"** الحثيث ومن **"الجَرْي"** المتواصل، حتّى يتمّ **"إدراك"** المسيح أو **"القبض عليه"** أو **"الإمساك"** و**"الفوز به"**. كلّها ترجمات محتملة للفعلين διώκω وκαταλαμβάνω المستعملَين هنا، ترجمات تفرضها لغةٌ استعارها بولس من عالم الرياضة والعَدْو.

هذا فقط. فقد استعمل بولس الفعل

(٢) حسب ترجمة الطبعة **اليسوعيّة**، دار المشرق، بيروت ١٩٩١.

نفسه (καταλαμβάνω)، وبصيغة المجهول، ليصف عمل يسوع فيه: يسوع هو من سبق وأدركه، قبض عليه وفاز به. العبارة جميلة جدًّا، حرفيًّا: "**أُدركتُ بالمسيح**" (آ ١٢)، وكأنّ الله اصطاد بولس للإيمان بواسطة شصّ المسيح. هذا بالطبع استذكار لحدث طريق دمشق الذي لا يُنسى. مرّة يستذكره بولس راويًا، كما فعل في أع ٢٢ و٢٦، ومرّة موحيًا وملمّحًا كما هو الحال هنا.

في آ ١٣، يكرّر بولس الفكرة نفسها ويكمّلها: لم يُدرِك بعد المسيح، إنّما همّه هو في أن ينسى "**ما وراءه**" ويتطلّع إلى الأمام، عملاً بوصيّة المعلّم القائلة: "ما من أحد يضع يده على المحراث ثمّ يلتفت إلى **الوراء**" (لو ٩: ٦٢). هذا العناد في التقدّم والسعي إلى الأمام نجده أيضًا في آ ١٦، حيث يقول: "**فلنلازم خطّ سيرنا حيث بلغنا**".

في آ ١٤، يعود بولس إلى عالم الرياضة مع مفردة "**الجائزة**" (βραβειον)، وهي ترد مرّتين فقط في العهد الجديد، كلاهما عند بولس (هنا وفي ١كو ٩: ٢٤). في الواقع، يلذّ لبولس أحيانًا أن يقترض من عالم الرياضة والمصارعة والركض صُوَرًا يصف بها جهاد المؤمن في ميدان الحياة الروحيّة وفي علاقته مع المسيح. هكذا فعل مثلاً في ١كور ٩: ٢٤-٢٧[٣] (راجع أيضًا ١تس ٢: ١٩ و٢تيم ٤: ٧). على كلّ حال، ما من أحد كان أدرى أكثر من أهل فيلبّي بعالم الرياضة والملاعب، هم الرومانيّو الأصل الذين بنوا مدينتهم على شاكلة روما مدينتهم الأمّ.

بالتأكيد كان بولس في غاية النشوة والاغتباط وهو يكتب هذه الآيات. الأفكار تتلاحق في فكره، سريعًا، وريشته تعجز عن اللحاق بها. لهذا أتى أسلوبه اليونانيّ في هذه الأسطر القليلة في غاية الإيجاز والاختصار. لا نقرأ تقريبًا إلاّ أفعالاً وأدوات ربط، أمّا المفاعيل فغابت[٤].

بعد أن قدّم لأهالي فيلبّي أوراق اعتماده الذاتيّة، ينتقل بولس، في آ ١٥، إلى الخطاب الجماعيّ: "**نحن جميعًا الكاملين**". كيف يطلق على نفسه هذا اللقب فيما اعترف قبل قليل أنّه لم يُدرك الكمال بعد؟ ربّما يجب علينا أن نترجم هنا كلمة τέλειοι بـ"**السالكين في الكمال**" أو "**الساعين نحو الكمال**". لقد سبق لبولس أن استعمل هذا اللقب في مسيحيّي كورنثس، بغية تمييزهم عن اليهود الطالبين آية وعن اليونانيّين اللاّهثين وراء الحكمة: "إنّنا بحكمة نتكلّم بين **الكاملين**، لا بحكمة هذا الدهر، ولا بحكمة رؤساء هذا الدهر، الذين مصيرهم الزوال، بل نتكلّم بحكمة الله" (١كور ٢: ٦-٧). تُفهَم هذه العبارة على أنّ المسيحيّ مدعوّ لأن يكون إنسانًا ناضجًا في الروح، راشدًا في الإيمان، "كاملاً في المسيح" (كو ١: ٢٨)، وليس "طفلاً في المسيح" (١كور ٣: ١).

هذا ما يجب أن "**يشعر**" به المسيحيّ، وإن قصّر في ذلك، فالله كفيل بأن يكشف له تقصيره. فعل φρονέω الوارد هنا هو من المفردات المفاتيح في فل. نجده فيها ١٠ مرّات من أصل ٢٣ مرّة في الجسم البولسيّ كلّه. معنى هذا الفعل واسع: لا يعني فقط "**شَعَرَ**" و"**أحسّ**" بل أيضًا "**فكّر**" و"**ارتأى**"... ليكن كلّ ما في المسيحيّ من قلب وفكر وعقل ما هو أيضًا في المسيح يسوع (راجع ٢: ٥).

آ ١٧-١٩: "أنبّهكم...باكيًا... من أعداء صليب المسيح"

ابتداءً من آ ١٧، ينتقل بولس إلى نقطة جديدة. ها هو يحثّ أهل فيلبّي أن يكونوا، كلّهم، به مقتدين. إنّه يتكلّم كمن له سلطان، سلطان المبشّر على من ولدهم للإيمان. ويدعوهم أيضًا إلى أن يميّزوا بين فئتين من الناس:

(٣) بين ١كور ٩: ٢٤-٢٧ ونصّنا في فل تعابير متشابهة: "يحصل" (λαμβάνω)، "الجائزة" (βραβειον)، "يفوز" (καταλαμβάνω)، "إكليل" (στέφανος).

(٤) هذه، مثلاً، ترجمة حرفيّة للآية ١٢: "لا إنّي قد فزتُ أو قد كُمّلتُ، بل أسعى أيضًا أُدرك، ما إليه أيضًا أُدركتُ بالمسيح يسوع".

بين أولئك الذين يشابهونه في السيرة، من جماعة "الكاملين"، وأولئك الذين يسيرون سيرة لا تليق بصليب الربّ. في هذه الآيات، بضع نقاط تلفت انتباهنا:

أوّلاً، يستعمل بولس فعل "سلك" أو "سار" (περιπατέω، آ ١٧)، ذا النكهة اليهوديّة، الذي يشدّد على السيرة الواقعيّة والحياتيّة للمؤمن. إنّه فعل محبّب إلى قلبه أخذه من تراثه اليهوديّ والكتابيّ[٥].

ثانيًا، لا يشمت بولس بأولئك الضالّين، بل نبّه مرارًا أهل فيلبّي منهم، وها هو الآن ينبّههم "**باكيًا**". دمعة الرسول غالية، تزوره عندما يرى بعضًا من الإخوة يزوغون عن الطريق المستقيم ويسلكون سيرة مخالفة للبشارة التي أعلنها بالجهد والدم. هكذا كانت حاله مع بعض الكورنثيّين الذين كتب إليهم مرّة "والدموع تفيض من عينيه" (٢كور ٢: ٤).

ثالثًا، نعَتَ بولس أولئك القوم بـ"**أعداء صليب المسيح**". إنّه تعبير شديد اللهجة لا يرد عند بولس إلاّ هنا. في روم ١١: ٢٨ نجد تعبيرًا مشابهًا: "من جهة الإنجيل، هم أعداء". الأعداء في روم هم اليهود، أمّا في فل فهم المتهوّدون، نفر من المسيحيّين المتمسّكين بأهداب شريعة موسى والمعتمدين على "أمور الجسد"، كما يصفهم بولس في فل ٣: ٣-٤ (ختان، مراعاة الأطعمة، تطبيق الطقوس المتعلّقة بالطهارة الجسديّة...). في آ ١٩، يصوّب بولس حدّ كلامه نحوهم: هم جماعة نهايتهم الهلاك، إلههم بطنهم، مجدهم في خزيهم، و"شعورهم" (أيضًا مع فعل φρονέω) أمور الأرض[٦].

آ ٢٠-٢١: "نحن السماوات موطننا"

على عكس "أعداء صليب المسيح"، "نحن السماوات موطننا، ومنها ننتظر الربّ يسوع المسيح المخلّص" (آ ٢٠). هكذا يميّز بولس نفسه وجماعته عن الذين يسيرون سيرة باطلة: هم مواطنو "الأرض" (επίγεια)، ونحن مواطنو "السماء"؛ هم من تحت، ونحن من "فوق" (άνω). هناك إذًا فرق في الاهتمامات بين الجماعتين. في أف ٢: ٦، تعبير مشابه: "الله أقامنا مع المسيح وأجلسنا معه في السماوات في المسيح يسوع". وبما أنّه من فوق، على المسيحيّ أن يسير سلوكًا يليق بالسماء: "سيروا سيرة مواطنين جديرة بإنجيل المسيح"، يوصي بولس أهل فيلبّي في ١: ٢٧. في فل إذًا يركّز بولس على المواطنيّة، لأنّه يكتب إلى جماعة تفتخر بمواطنيّتها الرومانيّة أيّما افتخار. يستغلّ بولس نقطة الضعف هذه ليرتقي بمؤمني فيلبّي إلى ما هو أعلى من روما، إلى السماء، لأنّ دعوة المسيحيّ هي "دعوة من العلى" (άνω، آ ١٤).

من السماء ينتظر بولس وجماعته المسيح آتيًا كمخلّص. عيونهم شاخصة إلى فوق راجين عودة الربّ سريعًا، تمامًا كما كان الرسل عند لحظة صعود يسوع إلى السماء (أع ١: ١١). الفعل المستعمل هنا (απεκδέχομαι) لا يعني "ينتظر" وحسب، بل "**ينتظر بشوق وبلهفة**". في الرسائل التي لا غبار على انتمائها البولسيّ، هناك تأكيد مستمرّ على حضور الربّ القريب[٧]. يوم هذا الحضور يُدعى في فل "يوم المسيح يسوع" (١: ٦) أو "يوم المسيح" (١: ١٠، ١٦). وهو يوم "قريب" (٤: ٥)، لذا على المؤمنين أن يستعدّوا له ممتلئين محبّة، سالمين وبلا لوم (١: ٩-١٠).

في ذلك اليوم سيحصل تبدّل جذريّ: جسدنا الوضيع "**سيبدّله**" الربّ ويجعله على صورة جسده الممجّد (آ ٢١). إنّه تعليم مشابه لتعليم ١كور ١٥: ٣٠ي: "يكون زرع الجسم بفساد

(٥) راجع مثلاً: روم ٦: ٤؛ ١كور ٣: ٣؛ غل ٥: ١٦؛ ١تس ٤: ١٠، إلخ. وفي العهد القديم، راجع: خر ١٨: ٢٠؛ تث ١٣: ٤؛ مز ٨٦: ١١.

(٦) نجد انتقادًا مماثلاً مع تعابير متشابهة في روم ١٦: ١٨؛ غل ٦: ٨؛ كو ٣: ٢.

(٧) راجع مثلاً: روم ٨: ١٩، ٢٣، ٢٥؛ ١كور ١: ٧؛ غل ٥: ٥..إلخ.

والقيامة بغير فساد، ويكون زرع الجسم بهوان والقيامة بمجد، يكون زرع الجسم بضعف والقيامة بقوّة، يُزرع جسم بشريّ فيقوم جسمًا روحيًّا" (١كور ١٥: ٤٢-٤٤). رجاء المسيحيّ يتأسَّس على القيامة، قيامة الربّ يسوع من بين الأموات والقيامة الأخيرة معه. يعيدنا بولس في هذا إلى كلام مشابه قاله في ما قبل نصّنا مباشرة (٣: ١٠-١١). لكن تبقى للآيات ٢٠-٢١ فرادة لا يضاهيها أحد فيها: إنّه النصّ الوحيد عند بولس الذي يجمع سويّة بين ثلاثة أفكار: مجيء الربّ، القيامة الأخيرة، وسيادة المسيح في المجد[٨].

آ ٤: ١: "أثبتوا على ذلك كلّه"

وكخاتمة، لا يتوانى بولس، بعد أن أنهى اعترافه، في تشجيع مراسليه على الثبات "على ذلك كلّه". وكعادته ينفث بين أسطره بعضًا من حنان قلبه نحو أهل فيلبّي: "**يا إخوتي، الذين أحبّهم وأشتاق إليهم وهم فرحي وإكليلي**". لقد سبق للتسالونيكيّين أن غنموا من فم بولس بمثل هذا الكلام الفخيم: "من هو رجاؤنا **وفرحنا وإكليل** فخرنا عند ربّنا يسوع يوم مجيئه؟ أَوَمَا هو أنتم؟ بلى، أنتم مجدنا **وفرحنا**" (١تس ٢: ١٩-٢٠). إنّ مؤمني فيلبّي وتسالونيكي ومن ماثلهم في وفائهم لبولس هم الذين سيكونون في يوم الربّ "إكليله الذي لا يزول" (١كو ٩: ٢٥)، "إكليل البرّ الذي به يُجزيه الربُّ العادل في ذلك اليوم" (٢تم ٤: ٨).

خاتمة

يقول جوزيف هولزنر في فل: "**إنّها حديث روح مع روح**"[٩]، روح بولس مع روح يسوع، وأيضًا مع روح الفيلبيّين. الأوّل، يسوع، "امتلكه" و"سيطر عليه"، والآخرون، أهل فيلبّي، أغرقوه بعاطفتهم وكرمهم. بولس، الأبيّ النفس، ما قَبِلَ معونة ماديّة إلاّ منهم. هم كانوا باكورة تبشيره يوم فتح أرض أوروبّا بسلاح الإنجيل. ولمّا كتب إليهم كان مكبَّل اليدين بالسلاسل، لكنّ روحه ظلّت "تسعى" و"تجري" راكضة نحو ربّ الكمال، لا روحه وحدها، بل ضمّت معها، "إلى قلبها"، "الأحبّاء". هناك، عندما بلغ الجميع إلى "الغاية"، وربحوا كلّهم "الجائزة"، تُوِّجَت رؤوسهم "بأكلّة لا تذوي".

---

(٨) راجع: James D. G. DUNN, *La teologia dell'apostolo Paolo*, Introduzione allo studio della Bibbia, Supplementi 5, Paideia, Brescia 199 (pour la traduction italienne), 313.

(٩) جوزيف هولزنر، **بولس الرسول**، ترجمة البطريرك الياس الرابع، منشورات معهد القدّيس يوحنّا الدمشقيّ اللاّهوتيّ، البلمند – لبنان، ط. ثانية، ص ٤٢٥.

ՄԱՐԻԱՄ

مريم

MARIAM

ՄԱՐԵՄԱԳԻՏԱԿԱՆ
ՈՒՍՈՒՄՆԱԹԵՐԹ

BULLETIN MARIOLOGIQUE

Our Lady of the Holy Rosary, Unknown Armenian Painter, secont half of XVIII c.

Գ. Տարի, Թիւ 2 (8),
Մայիս - Օգոստոս 2006

3. Année, No 2 (8),
Mai - Août, 2006

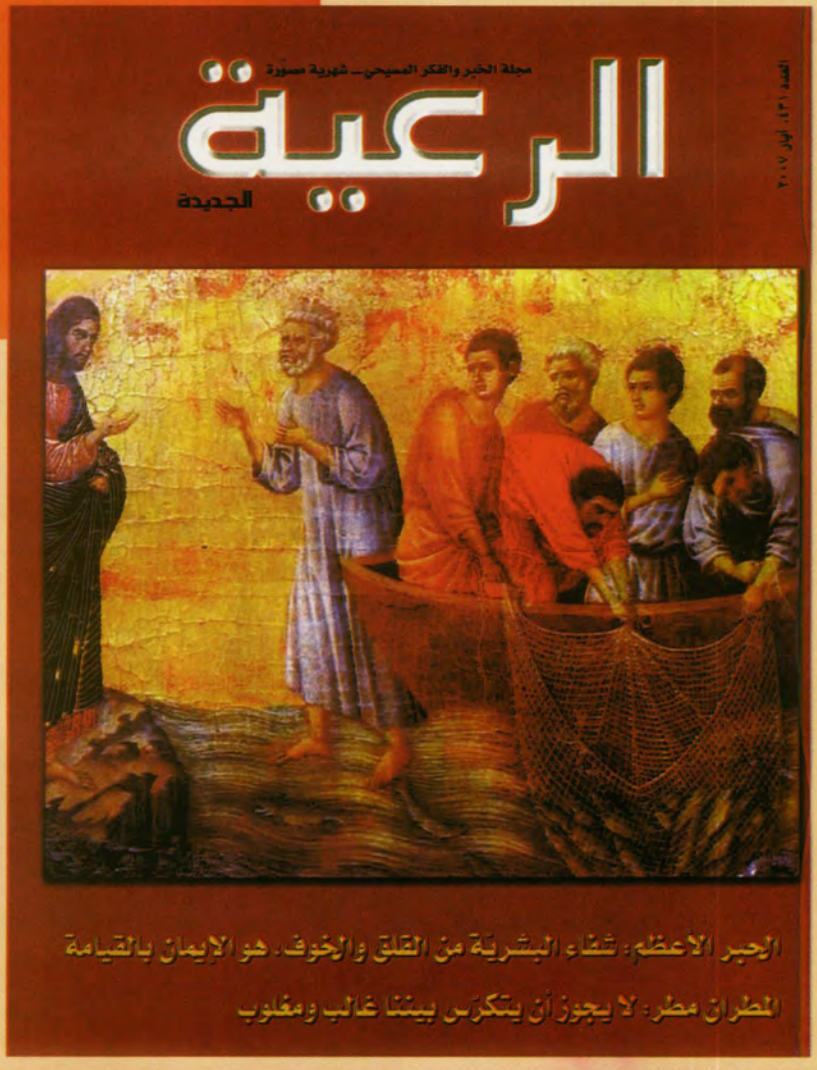

فل ٤: ١٠-٢٠

شكرٌ على إعانة

الأب د. نجم شهوان (ر.ل.م.)

أستاذ مادة الليتورجيا في جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

تُعتبرُ رسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل فيلبّي من الرسائل الفريدة بمواضيعها التأسيسيّة، بحيث أنّها تطرح أمورًا، ولو بطريقة غير مباشرة، هي بمثابة مراجع للمعطيات المسيحيّة القائمة في الكنيسة اليوم. ومن مقدّمة الرسالة (١: ٧) سيبدو الصدى واضحًا لِمَا سيردُ أيضًا في ما قبل خاتمتها (٤: ١٠). يلعبُ أسلوب الرسالة بين البعد النظري والعملي، كونه يحرّكُ من خلاله المشاعر لتستفيق الذكريات الأولى، وتكمل المسيرة. فالكاتب يتوجّه إلى أهل فيلبّي كونهم جماعة حرّة من الحضور اليهودي، على خلاف الجماعات الأخرى التي أسّسها، ولهذا كان جريئًا وحميمًا في رسالته إليهم، على عكس أهل أفسس وروما مثلاً.

في النصّ المختار من هذه الرسالة (فل ٤: ١٠-٢٠)، وهو المعتَمد بتقسيمه في العديد من الدراسات[١]، نلاحظُ أنّ الرسول يوجّه شكرًا خطّيًا لجماعة فيلبّي على الإعانة التي وصلته منهم وهو في السجن، بواسطة إبَفْرُدِيطُس (فل ٤: ١٨)، لأنّه لم يقبل مساعدة من أيّة جماعة أخرى سواها (فل ٤: ١٥)، من بين كلّ الكنائس التي أسّسها ببشارته الإنجيليّة. وكان لَمّا كتب هذه السطور ما زال في السجن، مقيّدًا بالسلاسل (فل ١: ٧، ١٣، ١٤، ١٧). ففي السنة ٥٨م مرّ بولس بفيلبّي، وفي تلك السنة اعتُقِلَ في أورشليم خلال فترة العنصرة، وأُسِرَ في قيصريّة مدّة سنتَين قبل إرساله إلى روما خريف سنة ٦٠م، وهناك أُسِر من جديد حتّى السنة ٦٣[٢].

تتضمّن هذه الرسالة نشيدًا مسيحانيًّا ليتورجيًّا مميّزًا (فل ٢: ٦-١١)، وهو يحتوي على المعطيات الكريستولوجيّة المؤسِّسة للاهوت التجسُّد والموت والقيامة، وقد غنّته الكنيسة الأولى، وعاشت سرّ المسيح في حياتها، وعبّرت عن إيمانها به، وقد أصبح في ما بعد مرتكزًا لتعاليم الكنيسة حول الربّ يسوع الإنسان الكامل والإله الكامل. وهذا ما يُشكّل لُبّ رسالته، عدا المواضيع الأخرى التي تعالج البعد الكنسي (فل ٢: ١-٤)، والمسلك المسيحي (فل ٢: ٥)، والرسالة الكونيّة (فل ٢: ١٥)، ويعطي أمثالاً لهذا النشاط الحيوي، بشخص طيموتاوس وإبَفْرُدِيطُس (فل ٢: ١٩-٣٠)، ويدعو الجميع إلى عمل البرّ الحَقّ (فل ٣: ١-١١)، كما إلى السعي إلى المسيح (فل ٣: ١٢-٢١)، ويختم نصّ الرسالة بنصائح عمليّة (فل ٤: ٢-٩). ولكنّ النصّ الذي هو قَيدُ المعالجة

---

(١) A select library of the Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, edited by Philip SCHAFF, D.D., LL.D., Vol. XIII, *Saint Chrysostom: Homilies of Galatians, Ephesians, Philippians, Colossians, Thessalonians, Timothy, Titus, and Philemon*, T&T Clark Edingburgh, WM. B. Eerdmans Publishing Company Grand Rapids, Michigan, USA, 1994, p. 249.

(٢) فاضل سيداروس اليسوعي، **مدخل إلى رسائل القدّيس بولس**، رقم ١٧، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧.

(فل ٤: ١٠-٢٠)، يبدو وكأنّه محشورٌ في هذه الرسالة، بحيث أنّ ترتيب النصّ بعد الآية ٩ يأتي طبيعيًا مع الآية ٢١ حتّى الآية الأخيرة أي ٢٣. وهذا يتّضح من مُستهَلّ الرسالة التي تبدأ بفعل الشكر والصلاة (فل ١: ٣-١١)، يُعبّر عنه بأسر بولس لنموّ الإنجيل (فل ١: ١٢-٢٦)، من خلال الثبات في سبيل الإنجيل (فل ١: ٢٧-٣٠).

١. مبرّر فعل الشكر

لا تخلو رسائل مار بولس الرسول من كلمات الشكر وأفعالها، فهو يشكر علنًا وخطّيًا أالله والجماعة التي اؤتُمِنَ عليها (روم ١: ٨)، فَلَكَمْ من المرّات رفع آيات الشكر لله، وكأنّ خدمة القدّيسين بالنسبة إليه، هي أيضًا فعل شكر لله (١قور ٩: ١٢)، ولذا، أصبح الشكر مرافقًا لنشاطه (١قور ١٠: ٣٠)، وما الذي يتمتّع به من قوّة للخدمة سوى عطيّة من الربّ يسوع الذي يستحقُّ منه كلّ عرفان جميل وشكر (١طيم ١: ١٢)، لأنّ الذي يصلّي عليه أن يشكر الله على كلّ شيء، فيشكر الله الذي يخدمه من خلال البشارة والصلاة (٢طيم ١: ٣؛ أف ١: ١٦). يرفع الرسول الشكر إلى الله في كلّ حين لأجل الإخوة المؤمنين، لأنّ إيمانهم ينمو وكذلك الحبّ المتبادل (٢تس ١: ٣)، ولأنّهم مختارونَ منذ البداية ليخلصوا بالروح القدس الذي يقدّس بواسطة الإيمان والحقّ (٢تس ٢: ١٣). ويشكر الرسولُ اللهَ من خلال تفكيره بأهل قولوسّي في خلال الصلاة (قول ١: ٣)، ويديم الشكر لله لأنّ كلمة البشارة التي أعلنها قد اقتُبِلَتْ كونها كلمة الله وليست كلمة إنسان (١تس ٢: ١٣). وفي النهاية، بالنسبة إلى النصّ المختار (فل ٤: ١٠-٢٠)، يشكر الرسول أهل فيلبّي على الإعانة المُرسَلَة إليه بواسطة إبَفْرُديطُس (فل ٤: ١٠-٢٠)، وما الشكر سوى علامة صحّة من علامات المجتمع المنظَّم المبنيّ على العلاقات الإنسانيّة والمسيحيّة المتبادلة (قول ٣: ١٦-١٧).

إنّ مبرّر الشكر لدى الرسول بولس، إن كانت لله أم للمؤمنين، إنّما مرتبط بمعرفته لله الذي يعبده، والذي منه كلُّ عطيّة صالحة (يع ١: ١٧)، ويستحقُّ الشكر والإكرام، لأنّ عطيّته لا تُوصف (٢قور ٩: ١٥)؛ وبمعرفته للجماعات التي يكتب إليها، لأنّه أسّسها بيديه بكلمة الإنجيل (رج روم ١: ١)، هو الساعي إلى أن يسبي كلَّ فكرٍ لطاعة المسيح (٢قور ١٠: ٥). إنّ ترداد كلمات الشكر على لسان بولس، من خلال مجمل رسائله إلى الكنائس التي أسّسها، لدليلٌ على معرفته إيّاهم معرفةً عميقة، وجرأته على مخاطبتهم بهذا الأسلوب العفوي والعميق.

٢. الفرح من علامات الشكر

يستهلُّ الرسول بولس هذا المقطع بقوله: "لقد فرحتُ في الربِّ فرحًا عظيمًا" (فل ٤: ١٠)، كما رافقت هذه التعابيرُ مجملَ نصوصِ هذه الرسالة (فل ١: ٤، ٢٥؛ ٢: ٢، ٢٨، ٢٩؛ ٤: ١، ١٠)، وكأنّ الشُكرَ هو من صفات رسول الكلمة، لأنّه يبشّر بيسوع، والبشارة هي الخبر المُفرِح، وما يعزّز فكرة الشكر إنّما هي العلاقة الجيّدة القائمة بين الجماعات، كما أنّ الشُكر هو الكلمة البديل لسرّ الأسرار، أي الإفخارستيّا، ولذا نرى القدّيس بولس يستعمل بعض التعابير التي تربطنا بهذا السرّ، المعبَّر عنه بالمشاركة عبر التفكير فيه (فل ٤: ١٠)، الذي هو بمثابة زهر (فل ٤: ١٠) الشجر، الذي يعقد ويصبح ثمرًا – ανεθάλετε (فل ٤: ١٧)، وعبر المساهمة في عمل الخير، أي المساعدة الماديّة والمعنويّة (فل ٤: ١٦)، ولكنّ بولس يذكر أيضًا التعابير الخاصّة بالذبيحة وكأنّها فعل الشكر بامتياز (فل ٤: ١٨). فانطلاقًا من هنا، يمكننا أن نعتبر هذه الرسالة مطبوعة بخاتم الفرح – εχάρην، كونه فرح بالربّ (فل ٤: ١٠)، وذلك بسبب الأخوّة التي عبّر عنا أهل فيلبّي بالمساعدة التي كان محتاجًا إليها جدًّا، وهو قيد السلاسل، وهذا ما يعبّر عن وجود المسيح الحيّ في قلب الجماعة كربٍّ واحد لكنيسته[٣].

(٣) J.-F. COLLANGE, *L'épître de Saint Paul aux Philippiens*, Commentaire du Nouveau Testament Xa, éd. Delachaux & Niestlé, Neuchâtel, Switzerland, 1973, p. 130.

لا يشكر بولس الرسول أهل فيلبّي على المساعدة الأخويّة، التي هي من مدرسة المحبّة، أي الكنيسة، بل يشكر الله على تصرُّفهم الحسن هذا، لأنّه في مساره الرسولي تعلَّم أن يأكل من تعب يديه، ويكتفي بما عنده (٢قور ١١: ٢٣)، ويكون حرًّا – αυτάρχης، وكأنّ بولس كالفلاسفة اليونانيّين الرواقيّين، منذ سقراط، الذين يفتخرون بـ"الاكتفاء، والتزهُّد، والتجرُّد، والترفُّع"[٤]، لأنّه تعلَّم في مدرسة المسيح، القائم من الموت ألاّ يرتبط سوى بالله، الذي يمنحه الحريّة الحقيقيّة[٥]. يرتكز فرح بولس الرسول على ما يتخطّى فرح الرواقيّين في العالم الفلسفي اليوناني، لأنّه كما يقوم بعرض مقارنة بين الشّبع – πειναν والجوع – χορτάζεσθαι في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس (٤: ١١)، والنقص – υστερεισθαι (١قور ٨: ٤؛ لو ١٥: ١٤)، وكأنّ الرسول قد أصبح حقل اختبار في نظر الناس، ليطّلعوا على تعاليمه، وإيمانه، وثباته في المحبّة، ولكنّه رغم المِحَن، لم يسقط، لأنّه عبَّر بالكلمة المُعلنة والمكتوبة عن تعلُّقه بصليب المسيح يسوع الذي انتهى بالقيامة، ومنه نال كلَّ قوّة، ولذا قال: "إنّي أستطيع كلَّ شيءٍ بالذي يقوّيني" – ενδυναμουντι (فل ٤: ١٣؛ ٣: ١٠، ٢١؛ رج ١طيم ١: ١٢)، وإنّما القوّة – δύναμις بالنسبة إلى بولس الرسول ليست سوى القيامة.

يمتاز نصُّ الرسالة البولسيّة هذا إلى أهل فيلبّي بالكلمات المفاتيح حول تأسيس كنيسة نزيهة، تكلّلها المشاركة، والمساهمة، والمساعدة، والسهر، والكرم، والشهادة، والمعرفة، والرؤيا، وكأنّ المواضيع الكنسيّة الحيّة هذه قد أصبحت تقليدًا يميِّز كيان الكنيسة الجديدة، التي هي ثمرة قيامة المسيح. فهذه المشاركة بين الكنيسة وبين المسيح عبر رسول الأمم، بولس الطرسوسي، أبرزتهم مثالاً يُحتذى، فيصبح الزمن الكنسي كالزمن المَعادي المنتَظَر، وهكذا يأتي الشكر والفرح صنوان للحياة الآتية.

من علامات الشكر أيضًا لدى القدّيس بولس هو الطلب والدعاء لأجل أهل فيلبّي، لكي "يملأ الله كلَّ ما بهم من حاجة وفقَ غناه، بمجدٍ في المسيح يسوع" (فل ٤: ١٩)، كما قد امتلأ هو من مساعدتهم على يد مُساعدِه إبَفْرُديطُس، علمًا أنّه قال: "فإنيّ أملك كلَّ شيء، وأزيد" (فل ٤: ١٨). من الواضح أنَّ بولسَ بواسطة المساعدة المقدَّمة له من أهل فيلبّي قد انفتحتْ روحُه على أبناء هذه الكنيسة، وتوطّدت العلاقة معهم لأنَّ هذه إرادة الله، أي أن يسهر الإنسان على أخيه الإنسان، ليستطيع أن يحبَّ الله، كما قال القدّيس يوحنّا في رسالته الأولى (٤: ٧-٢١). ألا تختصر هذه الآيات القليلة (فل ٤: ١٠-٢٠) التقاليد المسيحيّة العمليّة في الجماعة المسيحيّة الأولى، أي الشركة المبنيّة على الإيمان بالقائم من الموت، يسوع المسيح الربّ، ثمّ المحبّة المعبَّر عنها بالمساعدة، خاصّة مساعدة المحتاجين والفقراء، وأخيرًا الاتّكال على الله الذي يملأ – πεπλήρωμαι كلَّ فراغ (فل ٤: ١٨) لدى ررسوله الأمين، ويغطّي حاجاته – εν την χρείαν (فل ٤: ١٦)، وهو نفسه سيملأ – πληρώσει (فل ٤: ١٩) نقصَ أهل فيلبّي وحاجتهم الماديّة والروحيّة على السواء، كما اختبره بولس الرسول عن قرب، إذ قال: "وإلهي" (فل ٤: ١٩)، لأنَّ الله يحبّ المعطي الفرحان (٢قور ٩: ٧).

٣. خاتمة الرسالة

إذا كان الله لا يريد ذبح الذبائح بل إجراء العدل، لأنَّ "إجراء العَدْلِ والحقّ أفضل عند الربِّ من الذبيحة" (مثل ٢١: ٣)، ولأنَّ استقامة القلب شرط لكلّ قيام بطقوس العبادة (عا ٥: ٢٢ت؛ ٦: ٤؛

(٤) الكتاب المقدّس، العهد الجديد، الرسائل والرؤيا، كليّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس – الكسليك، لبنان ١٩٩٢، ص ٨٩٩.

(٥) J.-F. COLLANGE, *L'épître de Saint Paul aux Philippiens*, p. 131.

أش ١: ١١؛ إر ٧: ٢١-٢٣)، فإنَّ من العدل هنا أيضًا أن ينال بولس الرسول مساعدةَ أهل فيلبّي وكلّ كنيسة قد أسّسها، ولكنّه رفض أن يحصل على هذا الحقّ الطبيعي الخاصّ به (١قور ٩: ١٥)، لأنَّ مُرادَه هو الإنسان، أي أن يربح بشرًا أكثر للمسيح، ولذا قال: "لا أبتغي ما لَكَم، بل إيّاكم أبتغي" (٢قور ١٢: ١٤). في خاتمة رسالته إلى أهل فيلبّي، يرفع أيضًا الشكر والمجد لله الآب إلى دهر الدهور (فل ٤: ٢٠)، لأنّه يُقِرُّ أوّلاً بعطايا الله للبشر، لأنّه هو بواسطة كنيسة فيلبّي قد أعان عبده بولس. فهذه المجدلة الختاميّة مطبوعة بالتقليد الليتورجي، كما نطالع في رسالته إلى أهل روما (١٦: ٢٧)، وإلى أهل غلاطية (١: ٥)، وإلى أهل أفسس (٣: ٢١)، وإلى تلميذه طيموتاوس (٢طيم ٤: ١٨)، وخاصّة التعبير اليهودي الليتورجي "إلى دهر الداهرين، آمين"، حيث نرى ترداد كلمة "أللّه" بعد الآية ١٩، المقصود بها الآب السماوي، كما هو واضح في بداية الرسالة (فل ١: ٢)، حيث يظهر الله الرحيم تجاه عبيده[٦].

خاتمة

إنَّ مجمل معطيات نصّ الرسالة هذا الذي نحن في صدده (فل ٤: ١٠-٢٠) يدلُّ على أنَّ لدى بولس همًّا تعليميًّا أكثر منه قضايا ماديّة، وإلاّ وقع في تناقضٍ مع ما كان يقوله في رسائله الأخرى حول البشارة، والأخلاق الحميدة، والمسيح القائم من الموت، وقد عبَّر عن مسعاه في رسالته إلى أهل فيلبّي، حيث قال: "كلُّ هذه الأمور التي كانت لي ربحًا، حَسِبتُها من أجلِ المسيحِ خُسرانًا" (٣: ٧)، هو الذي يسعى على الدوام إلى الباقي، أي إلى الأمور الروحيّة، بحيث قال: "زرعنا لكم خيراتٍ روحيّة" (١قور ٩: ١١).

هكذا يكون فعل الاعتراف بجميل كنيسة فيلبّي عربونًا للمواصلة في العمل البنّاء، أي التفتيش عن الآخر للاتّصال به عبر المساعدة، والسؤال عنه، وعبر الصلاة، فهذه الوسائل تجمع القلوب وتحافظ على وحدة الكنيسة. فالعطاء الذي يعترف به الرسول بولس لجماعة فيلبّي، يذكّرنا بما قاله لدى وداعه كنيسة أفسس، أي أنَّ العطاءَ هو علّة الفرح لدى المعطي، بشهادة كتاب أعمال الرسل: "وأريتُكم دائمًا كيف ينبغي أن نتعب لكي نُسعِفَ الضُّعفاء، متذكّرين كلماتِ الربِّ يسوعَ الذي هو نفسه قال: إنَّ العطاء أعظمُ غبطةً من الأخذ" (٢٠: ٣٥؛ رج أف ٤: ٢٨؛ متّى ١٠: ٨).

إنَّ فرح الرسول هو دائمًا بالربّ وليس بهذه الحياة، كما يشهد القدّيس يوحنّا فم الذهب[٧]، لأنَّ فرحه ليس بالجسد بل بالروح، كما نطالع في الرسالة عينها: "إفرحوا دائمًا في الربّ، وأقول أيضًا افرحوا!" (فل ٤: ٤)، لأنَّ فرح أهل فيلبّي هو من علامات النموّ في معرفتهم للمسيح.

لم يرد في النصّ كلمة "شكر"، وإنّما الاعتراف بعمل الخير الإنساني من كنيسة فيلبّي تجاه بولس الذي بشّرهم بالمسيح، وأسّسهم على الأصول المسيحيّة المتينة، يتوجّه إليهم وكأنّه لقي صدى ما قد زرعه فيهم، وعبّر عن هذا الشعور بكلمة "الفرح" (فل ٤: ١٠)، التي تعبِّر عما لقيه من تجاوبٍ مع توجيهاته الأبويّة والرسوليّة. ولقد راح يشرح كلَّ ما يجول في خاطره لتكون شهادتهم درسًا للكنائس الأخرى حول التعاطي مع الذين يتعبون في سبيلهم، بألاّ ينسوهم، بل تَذَكُّرُ الآخر والتفكيرُ فيه (فل ٤: ١٠) هما من علامات العلاقة الأخويّة، العائليّة والاجتماعيّة. لقد كان قصد بولسَ من هذا النصّ إعطاء شهادة بمسلك كنيسة فيلبّي، ليس لأجله، فهو يعتبر نفسه خادمًا وعبدًا ليسوع المسيح، ولكن، لكي يشجّع الآخرين على الاقتداء بالقدّيسين.

(٦) *Ib*, p. 134.

(٧) Saint Chrysostom: *Homilies of Philippians*, XV, Ph. 4, 10-20, op. cit., p. 249.

إعداد الخوري د. بولس الفغالي

١- أفرام السريانيّ
على الرسالة إلى أهل فيلبّي

حُرِّك اضطهاد كبير على بولس في مدينة فيلبّي عينها: كان الفيلبّيّون في ضيق حين كتب إليهم. وحين ابتعد بولس عنهم، تجدَّد أيضًا الاضطهاد. فحين سمع بولس عن المضايقات التي يجلبها عليهم المضطهدون، وما يحصل لهم من العبرانيّين الذين يشتمونهم ويدعونهم لكي يُختَنوا ويخدموا فرائض الشريعة، أرسل إليهم ما يدلّ على عنايته في الضيق العظيم الذي يحيط بهم في مدينة رومة. وهكذا كتب، لكلّ هذه الأسباب، للفيلبّيين الذين في رومة، فقال:

الفصل الأوّل

بولس وتيموتاوس عبدًا يسوع المسيح. مع أنّه في الرسالة التي تتبع هذه الرسالة، كتب إلى تيموتاوس أخيه في بدء الرسالة، فهنا وضع اسم الرسول بقرب اسمه. فبواسطة خدمة واحدة امتدَّت بواسطة اثنين، يكون الوفاق واحدًا فينتشر بيد هذا وذاك. قال: "**إلى جميع القدّيسين الذين في فيلبّي، مع الأساقفة والشمامسة، الذين هم مدبّروهم.**"

نعمة لكم وسلام من الله أبينا الذي دعانا لكي يتبنّانا. **ومن ربّنا يسوع المسيح**، لا فقط بواسطة ربّنا يسوع المسيح.

أشكر إلهي في كلّ ذكركم الذي هو يوميّ، أي بسبب الذكر الصالح للمضايقات التي تحتملونها دائمًا: ربّما بسبب الخيرات التي صنعها هؤلاء للرسول في وقت اضطهاده يوميًّا، فحمل ذكرهم من دون نسيان.

بقدر ما أصلّي **في كلّ الصلوات** وفي كلّ الطلبات من أجل إراحتكم من هذه الضيقات. ولكن **بفرح أتوسّل من أجل انتقال** إيمانكم من أجل **الإنجيل** الذي فيه تثبّتُّم **من أوّل يوم حتّى الزمن الحاضر**: فأنتم ما تراخيتم في كلّ مضايقتكم التي أصابتنا.

أنا واثق وعارف **أنّ الذي بدأ فيكم عملاً صالحًا** يتابعه اليوم. أي **يكمّله** فيكم، **إلى يوم يسوع المسيح**، بحيث نجتمع إليه في هذا الدهر.

يحقُّ لي إطلاقًا أن أفكّر هذا الذي سيكون لكم. **ففي قلبي أنتم** كلُّكم. لأنّكم كنتم بالنعمة التي قوّتكم، مشاركين ومقاسمين سنواتي، في ذلك الوقت، الذي فيه بدأتُ الدفاعَ في مدينتكم، من أجل حقيقة الإنجيل.

الله شاهدٌ كيف أخذتكم واهتممتُ إلى ذلك اليوم.

وأنا أصلّي وأطلب **لكي تزداد محبّتكم** وتكثر، لا من دون علم، بل **في كلّ حكمة** روحيّة.

فتستطيعون بهذه الحكمة عينها أن تعرفوا كيف تميّزون المحبّة، **وتختبروا الأفضل** وتكونون هكذا، الآن، ثابتين، **صادقين، بلا عيب في يوم** دينونة **المسيح.**

وتمتلئون لا من ثمر أرضيّ، أو ثمر الشريعة، بل من **ثمر البرّ** الذي صنعتموه **بواسطة يسوع المسيح لحمد مجد الله.**

وأريد أن تعرفوا، أيُّها الإخوة، أنّنا إن كنّا في وفر واسع، في ضيقاتنا، فإنّنا سعينا أكثر فأكثر، من أجل كمال إنجيل الله: أي، نَمتْ آلامي وضيقاتي وازدادت في التبشير بالإنجيل.

بحيث إنّ قيودي صارت ظاهرة في المسيح، في عجب كبير، **وفي دار**

الحاكم في رومة وبدت جليّة فشاهدها العالمُ كلُّه.

وأيضًا مع أنَّ **إخوة كثيرين** الذين كانوا في الربّ، تشجَّعوا بقيودي، أي، تقوّوا وتشجَّعوا حين رأوا قيودي. وإذ سمعوا بعزائي احتقروا الموت، وفي المدينة الهائلة، **كرزوا بكلمة الله دون خوف.**

ولكن، لأنَّهم رأوا شيئًا من محبّين غرباء، فتكرَّموا بكلمة الإنجيل، بعضهم **بسبب الحسد.** وآخرون بسبب المنافسة، صاروا كارزين بالكلمة، مع أنَّهم لم يكونوا كذلك في البدء: **بعضهم كرزوا من أجل مشيئة المسيح.**

بعضهم انطلقوا **من محبَّتنا، فعرفوا** أنّني أُعددتُ من أجل ذلك، بحيث نستطيع أن نقيم الدفاع عن الإنجيل.

وبعضهم منافسة لنا، كرزوا بالمسيح، لا بنيّة صافية، فمزجوا كلامًا في كرازتهم، لكي يحرّكوا بهذا المزيج ضغطًا على قيودي.

وأنا، وإن اعتبرتُ أنَّ هذا يحزنني، إلاّ أنّني أفرحُ وأبتهجُ؛ فأنا أتطلَّع **أن يُكرَز بالمسيح، إن عن طريق الصدفة وإمّا بالحقيقة.**

فأنا أعرف، أظنّ، أثق، أنَّ هذا يخدم الحياة والخلاص. لهذا أنا فرح بذلك، أن يُعلَن المسيح، ولو ازداد الضيقُ على قيودي، وإن لم تكن كرازتهم في صفاء نيّة.

ولأنّي أنتظر في رجائي، بأنّي لن أُخزى بسبب قيودي حتّى النهاية، ولكن كما في كلِّ آن، هكذا في جميع مضايقي، حيث أثق بأن **يتمجَّد المسيح في جسدي، إمّا بموتي** حيث يقتلونني، **وإمّا بحياتي** حين يصلبونني.

فإن كانت حياتي لا حياة جسدي، التي يريد معاديّ أن ينتزعوها منّي، ولكنَّ حياتي هي المسيح، ولا شيء يستطيع أن يفصلني عنه.

فإذا متُّ، يكون موتي ربحًا لي، لأنّي أموتُ من أجل المسيح. فبدون حياة الجسد، **يكون ثمر لنفسي** بواسطة أعمالي. فمِن الاثنين، **ماذا أختار؟** لا أعرفُ.

أنحلُّ من هذا الجسد، لكي أختلط في جهاد المسيح. فأنا أعتبرُ أنَّ هذا **أفضل لي بكثير** من أجل عزائكم. به أُنزَع من الأهواء اليوميّة، فأكون مع المسيح على الدوام.

أظنُّ أنَّه من الخير أن **أبقى في البشريّ** من أجل تشجيعكم.

وأنا أعرف واثقًا أنّني أبقى وأبقى طويلاً مع جميعكم من أجل كمالكم والفرح في الإيمان.

وهكذا حين آتي إليكم أيضًا، يفيض لي هذا الافتخار، وبه أفتخر في المسيح.

فأنا لا **أخاف في شيء من الخصوم.** هذه الخبرة، النهاية بلا شكّ، هي **لهم** خبرة **هلاك، أمّا لكم فعلّة** حياة **وخلاص** أبديّ.

بسبب الخطايا، تكاثرت ضيقاتكم: فقد وصلت إليكم عطيّة، **لا أن تؤمنوا فقط بالمسيح، بل أيضًا أن تتألّموا من أجله.**

لهذا، كونوا مجاهدين كما رأيتم فيَّ، ما دمتُ عندكم. وإذا كنتُ بعيدًا **تسمعون الآن عنّي.**

٢- يوحنّا الذهبيّ الفمّ
في الرسالة إلى أهل فيلبّي

العظة الرابعة (لا أعرف ماذا أختار...؟)

سخاء بولس

لا شيء أسعد من نفس بولس، لأنَّ لا شيء أسمى وأكرم. واليوم، نقول العكس عن أغلبيّة الناس: لا شيء أضعف منّا، لأنَّ لا شيء أتعس. لهذا نرتجف كلُّنا أمام الموت: بعضهم بسبب كثرة خطاياهم، وأنا منهم، وآخرون تعلُّقًا بالحياة، بتراخٍ يؤسَف له. أودُّ أن لا أكون من هذه الفئة الثانية، لأنَّهم غرقوا في المادّة، أولئك الذين يعيشون في مثل هذه المخاوف. فما يجعلنا نرجف كلُّنا، كان موضوع رغبته وأفكاره: "أنا سعيد أن أنحلَّ من هذه الرباطات البشريّة. ولكن لا أعرفُ ماذا أختار".

ما معنى هذا الكلام؟ يجب أن تُنقلوا من الأرض إلى السماء. هكذا تكونون مع المسيح، ولا تعرفون ماذا تختارون. مثل هذه العواطف بعيدة كلَّ البعد عن هذه النفس الكبيرة. بما أنَّه لا يتعلَّق بنا أن نحلَّ قيدنا ونكون مع المسيح، فلا يكون عندنا تجرُّد بأن نبقى على هذه الأرض، إن سُمح لنا أن ندخل حالاً إلى السماء: هذان الأمران هما في نفس بولس. ماذا تقولون؟ تعرفون، تتأكَّدون أنَّكم ستكونون مع المسيح. وتتردَّدون بعد وتعلنون أنَّكم لا تعرفون ماذا تختارون؟ بل هذا ليس كلَّ شيء. تختارون البقاء على هذه الأرض، وأن تواصلوا حياتكم البشريّة؟ هل نستطيع أن نفهم هذا؟ أما كنتم تعيشون حياة مليئة بالعذابات. "في الأسهار، في الغرق والجوع والعطش والعري والاهتمامات والانشغالات. هل يضعف أحد ولا أضعف أنا؟ هل يعثر أحد دون أن أحترق أنا؟" في قلب محن متواصلة، وضيقات وضرورات وصعوبات وضربات، في السجون، في التحرُّكات، في الأصوام، في العفّة" (٢كور ٦: ٤-٥). "خمس مرّات نلتُ تسعًا وثلاثين ضربة، جُلدتُ ثلاث مرّات، رُجمتُ مرّة واحدة. لبثتُ ليلاً ونهارًا في عمق البحر. في خطر على الأنهار. في خطر بين اللصوص، في خطر في المدينة، في خطر في البرّيّة، في خطر بين الإخوة الكذبة" (٢كور ١١: ٢٤-٢٦).

حين عادت أمّةُ الغلاطيّين كلُّها إلى ممارسة الشريعة، أما هتفت: "أنتم الذين تطلبون أن تتبرَّروا بالشريعة، سقطتم من النعمة؟" (غل ٥: ٤). وتحبّون بعدُ هذه الحياة العابرة؟ ومع أنَّ شيئًا من ذلك لم يحصل لكم، فأتممتم في الهدوء واللذّة ما أتممتم، أما وجبَ عليكم أمام المستقبل الغامض، وبالتالي تعجلون في المضيِّ إلى المرفأ؟ وأسألكم: أيُّ تاجر معه سفينة مملوءة بالكنوز، وقد اقترب من الوصول إلى المرفأ وأن يجد فيه الراحة، يُفضِّل بعدُ البقاء في البحر؟ وأيُّ قائد عاد من الحرب وقد غطّاه الغار والمجد، بحيث يستطيع أن يرتاح في الموضع الملكيّ وفي جماعة ملكه، يعود طوعًا إلى الصعوبات والعرق وأخطار الحرب؟

أيُّ مصارع سوف يتوّج، يفضّل أن يجدّد الصراع ويُخاطر بأن يتهشّم رأسه؟

فكيف وأنتم عائشون مثل هذه الحياة القاسية، تريدون أن تطول إقامتكم في هذا العالم؟ أما قلت: "أخاف بعد إن بشّرتُ كثيرين أن أُرذَل أنا" (١كور ٩: ٢٧)؟ أما كنت ترغب لأسباب أخرى، أن تتحرّر؟ فلو امتلأت الحياة الحاضرة خيرات، أما يجب أن تتأوّه إلى الخلاص بسبب حبّك للمسيح؟

سموّ نفس بولس

يا للنفس السامية نفس بولس! ما شابهتْها نفسٌ ولن تشابهها. تخاف المستقبل ومع ذلك تلاقي الأخطار العديدة، ولكنّها ترفض أن تطير وتكون مع المسيح. ويجيب الرسول: أجل، وهذا من أجل المسيح، لكي أثبّت في حبّه أولئك الذين أتيتُ بهم إلى خدمته. لكي أقطف ثمار الأرض التي فلحتُ. أما سمعتم أنّني أعمل، لا من أجل نفسي، بل من أجل القريب؟ أما سمعتم أنّني أقبل أن أكون محرومًا بالمسيح، إن كان هذا يربح له عددًا أكبر من النفوس؟ بعد أن قمتُ بهذا الاختيار، لا عجب إن اخترتُ أن أذّخر سعادتي فأبقى بعدُ على الأرض، لكي يتقدّم الآخرون في طريق الخلاص. "من يحدّث بقدراتك؟" (مز ١٠٦: ٢).

متى كشفت بولس لنا وللعالم كلّه؟ جميع الملائكة يمدحونك بقلب واحد، لأنّك خلقت الكواكب، لأنّك خلقت الشمس. لأنّك صنعتَ ما لا يقابلُ حين صنعت لنا، حين أعطيتنا بولس، حين أعطيتَه للعالم. وهكذا صارت الأرض أكثر لمعانًا من السماء. هذا الإنسان نشر شعاعًا أبهى من شعاع الشمس. أيّ ثمار عجيبة ولّد، لا حين أعطى الحصاد الغنيّ، وغذّى الأشجار، بل حين أنضج التقوى، ومنح العزم للنفوس، ورفع أولئك الذين سقطوا. فلا جدالَ في هذا التفوّق: فالشمس الماديّة لا تصلح ثمارًا فسُدت على الشجرة. أمّا بولس فأعاد من الخطايا أناسًا أكلهم الفساد من كلّ ناحية. الليل يقاتل الشمس ويغلبها، أمّا بولس فانتصر على إبليس، وقلب جميع الحواجز، وغلب الجميع. الشمس تُنزل أنوارَها من علُ. وبولس المقيم في مناطق الأرض الوضيعة، ما اكتفى بأن ينير نصف الأرض والسماء. ما إن فتح فمه، حتّى غطّى شعاعَهُ الملائكة أنفسهم. إذا كان الفرحُ عظيمًا في السماوات لدى توبة خاطئ، فكيف لا تفرح القوّات العلويّة حين تأخذ كرازة بولس في شباكها عددًا من السامعين؟

بقيتُ من أجلكم

وماذا أقول؟ ما كان لبولس إلاّ أن يتكلّم، فتبتهج السماوات فرحًا وسعادة. إذا كانت الجبال قفزت كالكباش حين خرج الشعب من مصر، أي عيد يكون حين ينتقل البشر من الأرض إلى السماء؟ لهذا "أفضل لكم أن أبقى في الجسد البشريّ". فأيُّ عذر لنا بعد ذلك؟ مرّات عديدة يحصل لرجل امتلك مدينة صغيرة، صغيرة، لا يفكّر أن ينتقل إلى مكان آخر. يجعل راحته فوق كلّ أعتبار: كان بولس حرًّا أن يمضي مع المسيح. ومع ذلك ما أراد بعدُ المسيح، المسيح الذي أحبّه بحيث قبل "جهنّم" من أجله. أراد أن يبقى من أجل الصراع مدّة أطول من أجل البشر. فأيُّ عذر لنا؟ أعيد السؤال. ولكن لا يكفي أن نذكر بولس دون أن نحدّد شيئًا. تطلّعوا عن قرب إلى سلوكه: قال إنّه يُفضّل أن يمضي لئلاّ يحزن تلاميذه على موته. فبيّن لهم أنّه إن بقي، سوف يبقى من أجلهم. وهذا لا يرتبط بحيل البشر وشرورهم. وإذ أراد أن يقنعهم بطريقة أسهل، عاد إلى السبب.

لا شكّ في أنّني أبقى، إذا كان ذلك ضروريًّا، والهدف هو منفعتكم. "أبقى لأجلكم"، أبقى معكم، بحيث أراكم. هذا ما قال لهم. ولماذا؟ من أجل تقدُّمكم في الإيمان وسعادتكم". حثّهم بهذه الكلمات، ودعاهم إلى السهر معه. إذا بقيتُ لكي أكون لكم مفيدًا، لا تعتبروا إقامتي بينكم بحيث تصبح عقيمة. حين اقتربتُ من رؤية

وجه المسيح، اخترتُ أن أبقى على الأرض من أجل تقدُّمكم في الخير. فحضوري يخدم إيمانكم كما يخدم سعادتكم. ومن أجلكم اخترتُ البقاء على الأرض. ولكن هل بقي فقط من أجل الفيلبّيين؟ لا من أجلهم وحدهم. غير أنَّ هذه اللغة هي لهم منذ الآن دواء. وكيف يتقدَّمون في الإيمان؟ أبقى لكي أساندكم. أنتم مثل أطفال يحتاجون إلى والدتهم إلى أن تقوى أجنحتهم. هي شهادة عن عاطفة مؤثِّرة! ونستطيع نحن أن نحثَّ الآخرين بهذا الشكل، وكأنّنا نقول لهم: أبقى معكم. أريد أن أصلحكم. وهكذا تكون "عودتي إليكم موضوع مجد في المسيح يسوع".

وأنتم ترون في فعل "أبقى" كلَّ ما سبق وقلناه. ولاحظوا أيضًا بساطته وتواضعه: حين قال لهم إنَّه بقيَ معهم من أجل تقدُّمهم، أعلن بشكل ضمنيّ أنَّه يجد خيرًا لنفسه. هذا ما كتب إلى أهل رومة: "لكي أجد في الوقت عينه تعزية في ما بينكم". فقد سبق وقال: "لكي أترككم في النعمة الروحيّة" (روم ١: ١٢: ١١). ما معنى هذه الكلمات؟ "لكي يكون مجدكم أوفر". لكي ينمو ما يجب أن يكون موضوع مجد، لكي أسندكم في الإيمان باستقامة سلوككم. ذاك هو المجد الحقيقيّ في المسيح. إذًا، "يحقّ لكم أن تفتخروا بي حين أعودُ إليكم". لا شكّ في ذلك. "فما هو رجاؤنا، وما هو إكليلُ مجدنا؟ أما هو أنتم؟" (١تس ٢: ١٩). "أنتم مجدي كما أنا مجدكم" (٢كور ١: ١٤).

أريد أن أجدَ فيكم موضوعًا أكبر لكي أفتخر. كيف ذلك؟ حين يكون افتخاركم أوفر. "حين أعود إليكم". هل يعود في ما بعد؟ عليكم أن تجيبوا على هذا السؤال: "عيشوا فقط حياة تليق بإنجيل المسيح". لماذا "فقط"؟ لأنَّ هذا هو الشيء الوحيد الذي يحب أن نطلبه، ولا شيء آخر. فإن كان لنا، لا شيء يستطيع أن يؤذينا. "بحيث، إذا جئتُ أراكم، وإذا كنتُ بعيدًا أعرف ما يخصُّكم". فإن هو تكلَّم هكذا، فهذا لا يعني أنَّه تغيَّر، أو أنَّه لم يعد ناويًا على العودة. ولكن إن أنا مُنعت، أريد أن أفرح، وإن بعيدًا. "أعرف أنَّكم ثابتون في روح واحد، وفي نفس واحدة".

جوهر المحبّة

هذا ما يؤحِّد المؤمنين في شكل رفيع. ها هنا جوهر المحبّة. قال يسوع: "ليكونوا واحدًا" (يو ١٧: ١١). "فمملكة منقسمة على نفسها لا تثبت" (مت ١٢: ٢٥). لهذا أكثر بولس نصائحه حول الوفاق. وقال يسوع أيضًا في المجال عينه: "بهذا يعرف الجميع أنَّكم تلاميذي، إذا كنتم تحبّون بعضكم بعضًا" (يو ١٣: ٣٥). وقال الرسول: بانتظار وصولي، لا تناموا، لئلاّ تسقطوا في التكاسل عينه، حين تتمّ رغبتُنا وترونني. وأستطيع أيضًا أن أفرح حين أعرف أخباركم.

ما معنى "بروح واحد"؟ في هذه النعمة، نعمة الوحدة والسخاء. ويُوجَد أيضًا روحٌ واحد. وما يبرهن عن ذلك، هو الاستعمال المتواصل لهذه العبارة. ويكون لنا أيضًا "نفس واحدة". حين لا نكوِّن كلّنا سوى روح واحد. "نفس واحدة". لاحظوا هذه العبارة المستعملة للتعبير عن التناسق ولاحظوا أنَّ العديدين هم واحد. فقد كان الأمر كذلك في الأزمنة الأولى: "كانوا كلُّهم قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة" (أع ٤: ٣٢). "نقاتل معًا من أجل الإيمان بالإنجيل".

هل يجب عليهم أن يقاتلوا بعضهم بعضًا، وكأنَّ الإيمان يحارب الإيمان؟ إليك ما قال لهم بولس: "ساعدوا بعضكم بعضًا في صراع تقولون به لمساندة الإيمان بالإنجيل. لا تتركوا الأعداء يخيفونكم، فيكون هذا سبب خراب لهم، ولكم سبب خلاص. "الخوف". لا شيء أصدق من هذا اللفظ. إليك كلّ ما يستطيع أن يخيف الأعداء. في أيِّ حال، ستكون أمامكم الأخطار والفخاخ: هكذا يتصرَّف الواقفون حقًّا. خصومنا يستطيعون أن يخيفوا، ولا يستطيعون أكثر.

لا شكّ في أنَّ المؤمنين تبلبلوا حين نظروا إلى العذاب الذي يكون لبولس. وإليك ما قال لهم: لا أوصيكم بأن لا تتزعزعوا، بل أقول لكم: لا تخافوا. استخفّوا بهم إطلاقًا. بمثل هذه الاستعدادات، ومنذ هذا العالم،

تظهرون خسارتهم وخلاصكم. وحين يرون أنّهم وإن لجأوا إلى ألف حيلة، فهم لا يقدرون أن يخيفوكم. وهكذا يرون علامة دمارهم. فإن كان المضطهدون لا يقدرون أن يغلبوا من يضطهدون، وإذا كانت حيَل الحسد تفشل أمام من هو موضوعها، وإذا كان الحكّام لا يغلبون من يحكمون، أما يتوضّح لهم أنّهم يعملون لهلاكهم، أنّهم بدون قوّة منذ الآن، أنّهم في الكذب، وأنّ الآخرين يمتلكون الحقيقة؟

ويتابع الرسول: "وهذا أُعطيَ لكم من قبل الله، لا أن تؤمنوا فقط، بل أيضًا أن تتألّموا من أجل المسيح. وكوّنهم أيضًا في طريق التواضع، بحيث يعيدون كلّ شيء إلى الله، فعلّمهم أنّ التألّم من أجل المسيح هو نعمة، عطيّة، حظوة. فلا تستحوا من هذه النعمة. فهي تسمو على سلطان إقامة الموتى وإجراء سائر المعجزات. أنا هنا المديون، والمسيح صار دائنًا تجاهي. نحن لا نستحي من ذلك، بل نفرح به ونفتخر، وكأنّنا نملك حظوة حقيقيّة. ودعا الفضائلَ نعمًا روحيّة، ولكن لا على مستوى سائر النعم. فالله وحده صاحب هذه النعمة. ولنا مشاركة في تلك. ومع ذلك، كما في الفضائل، تبقى الحصّة الكبرى حصّة الله. ويعلن: كلُّ شيء هو منه. لا لينقّي حرّيّة الاختيار، ولكن ليعلّمنا الاعتدال وعرفان الجميل. "علينا أن نقف في وجه الصراع الذي رأيتموه فيّ". هذا يعني: الدرسُ أمام عيونكم وهكذا شجّعهم وبيّن لهم في كلّ مكان يقاتلون فيه بالشكل عينه وفي الهدف عينه، أنّهم يحتملون، كلٌّ بمفرده، جميع المحن التي يحتملها هو.

حدّثهم عن شيء رأوه بعيونهم، وما سمعوا أحدًا يرويه لهم. فقد سبق وصارع في مدينة فيلبّي هذه. وذاك علامة فضيلة كبيرة. لهذا قال في الرسالة إلى الغلاطيّين: "تألّمتم عبثًا، ويا ليته عبثًا" (غل ٣: ٤). وفي الرسالة إلى العبرانيّين: "تذكّروا الأيّام الأولى، بعد أن استنرتم، أنّكم قاتلتم قتالات عديدة وتحمّلتم آلامًا كبيرة: من جهة، صرتم مشهدًا في الهزء والضيق، ومن جهة ثانية شاركتم في صعوبات أولئك الذين نالوا المعاملة عينها" (عب ١٠: ٣٢-٣٣). وقال أيضًا لأهل مكدونية، أي لسكّان تسالونيكي: "هم يخبرون كيف كان وصولُنا إليكم" (١تس ١: ٩٠). ثمّ قال: "وأنتم أيضًا أيّها الإخوة، كيف كان دخولنا إليكم، وهذا الدخول لم يكن عقيمًا" (١تس ٢: ١).

في كلّ مكان وفي كلّ زمان، الشهادة عينها. في كلّ مكان، حربٌ وقتال. أما بيننا الآن، فلا شيء يشبه ذلك. كلّ ما نستطيع أن نخافه خسارة بعض المال. في هذا المجال شهد فيهم شهادة رائعة. قال عن البعض: "تمّمتم بفرح حرمانكم من أموالكم" (عب ١٠: ٣٤). وقال عن البعض الآخر: "مكدونية وأخائية نَوَيتا أن تَقُومَا بتبرُّع من أجل الفقراء" (روم ١٥: ٢٦). وأضاف في مكان آخر: "غيرتكم حرّكت غيرة عدد كبير" (٢كور ٩: ٢).

هؤلاء المؤمنون ونحن

أيُّ مديح لأناس ذاك الزمان! أمّا نحن فلا نتقبّل اللطمات والجراح، بل لا نتقبّل الشتيمة أو أي خسارة ماديّة. هؤلاء الناس تزاحموا في السخاء، فنزلوا كلُّهم إلى الحلبة من أجل شهادة الدم، أمّا نحن فتركنا محبّة المسيح تبرد في نفوسنا. من أجل هذا، لا بدّ من اللوم، عندما أرى العادات الحاليّة أمامي، ماذا أصنع؟ أودّ أن لا أصنع. ولكنّني مجبرٌ على ذلك فإن كفى الصمتُ، وأن لا نقول شيئًا ممّا حصل، لكي لا يكون هذا قد حصل، لا بدّ من السكوت. ولكنّ الأمور لا تُمَحى بالصمت بل تكبر، بحيث تكون ضرورة بأن نتكلّم. فالذي يقف في وجه الفوضى، إن لم تتحسّن الأمور، قد يخفّف اللهجة. فما من نفس جريئة، مهما كانت وقحة، إلاّ وأحسّت ببعض الخجل حين تسمع من يتّهمها دومًا، وحاولت أن تخفّف من فسادها. ففي القلوب التي وصلت إلى قمّة الوقاحة، بقيّة خفر: إنّها عاطفة جعلها الله ذاتُه في عمق طبيعتنا.

بما أنّ المخافة لا تكفي لكي تحفظنا في الخير، قدّم الله لنا وسائل

أخرى عديدة لكي يبعدنا عن الخطيئة: تصوُّرات البشر، تهديدات الشريعة، حبُّ المجد، تأثير الصداقة وقوّتها. هي طرق مفتوحة تدعونا إلى الهرب من الشرّ. وفي ظروف عديدة، ما لا نصنعه لله، قد نفعله لكي نتجنَّب الخجل. إذا كنّا لا نحبّ الله بما فيه الكفاية، فقد نخاف الشر بما فيه الكفاية. فما يجب قبل كلّ شيء، هو أن نمتنع عن فعل الشرّ. وبعد ذلك نتعلَّم التضحية من أجل الله. وإن لم يكن الأمر هكذا، لماذا توجَّه الرسول إلى الذين سوف ينتصرون على معاديهم بالتوبة، وما حرَّضهم باسم الله، بل أظهر العذاب الذي يصل إلى هؤلاء الخصوم؟ قال: "تجعلون على هامتهم حجر نار" (روم ١٢: ٢٠). هي دومًا مسيرة إلى الفضيلة.

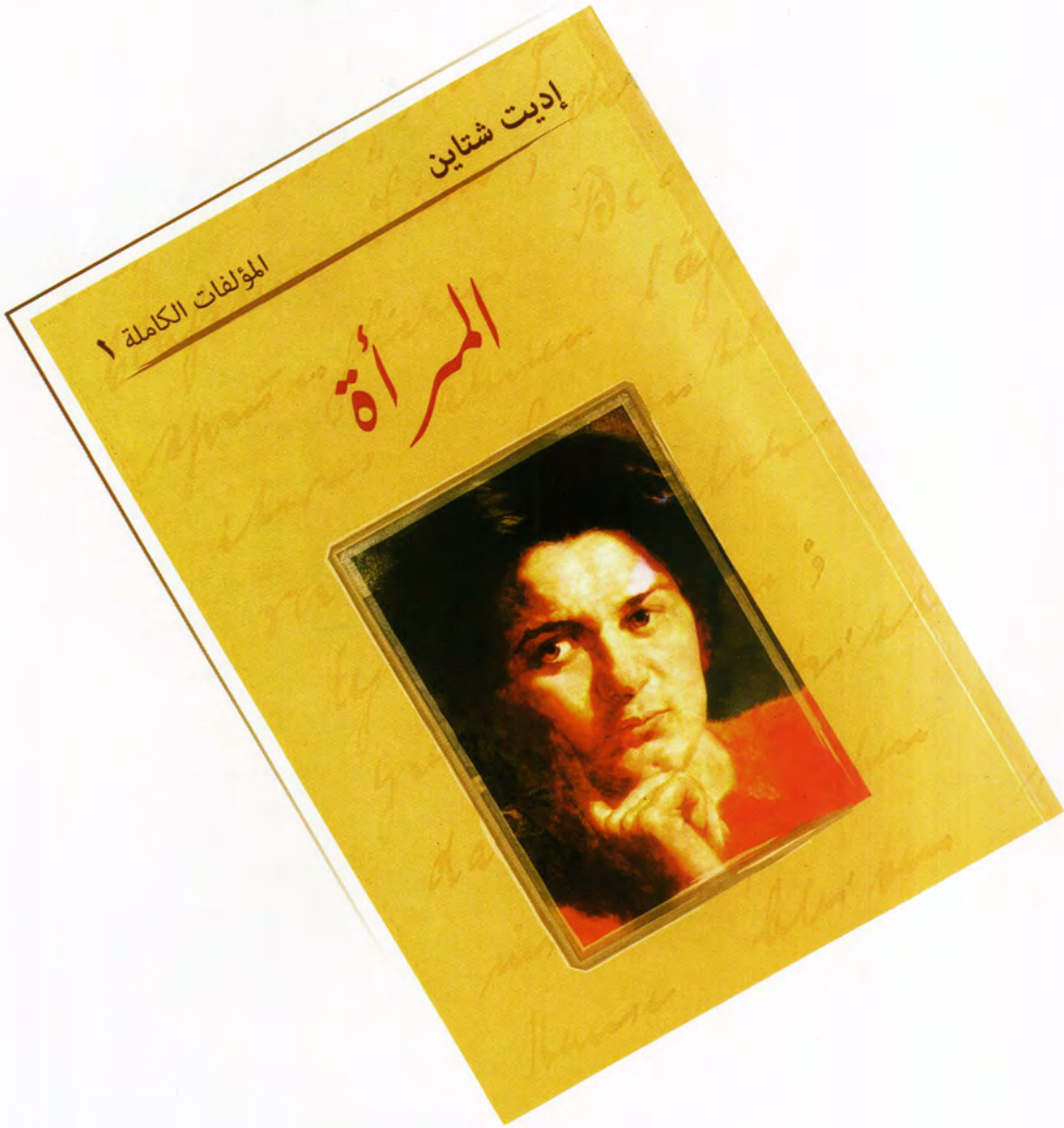

التوحيد والتثليث في اللّـــه

كلمة الافتتاح	الخوري وهيب الخواجه	٥
أهمية الميتافيزيقيا في الخطاب اللاهوتي حول الله	الدكتور هنري كريمونا	٧
التوحيد والتثليث عند عبدالله ابن الطيب وايليا النصيبي	الأب سمير خليل سمير	١٧
بين التبعية والشركة	الدكتور نجيب جورج عوض	٢١
الثالوث في الفكر الإسلامي	الأب جوزف قزّي	٣٥
محاولات تفسير مسيحيّة عربيّة قديمة	الخوري بيير مصري	٤٣
المسيحية من منظور إسلامي	الدكتور وجيه قانصو	٦٥
الثالوث في الفكر الأرثوذكسي العربيّ المعاصر	الخوري جورج مسّوح	٧٣
صليب المسيح والثالوث	الأب مروان عازار	٨١
سر الثالوث الأقدس مشروع إلهي لعالم الإنسان	الأب رفيق خوري	١٠٣
المحبة كتفسير للسر الثالوثي	الخوري خليل شلفون	١٣٥

منشورات

الإكليريكيّة البطريركيّة المارونيّة

غزير - لبنان

٣- بشرى بن سرّي
في الرسالة إلى فيلبّي

١- شرح سبب رسالة فولوس (= بولس) إلى أهل فيليفوس (فيلبّي)

إنَّ أهل فيليفوس كانوا قومًا قد جمعوا مع إيمانهم بالمسيح، خصالاً عجيبة وسِيَرًا محمودة. إلاَّ أنَّه عرض أن وقع بين رؤسائهم وأشرافهم مراء (= جدال) ومنازعة بسبب الرئاسة، كالذي يعرض بين الناس لضعف نجيرتهم (= نخبتهم)، إذا كان عندهم ما يمكن أن يسبِّب لهم السلطان وكرئاسة من السير الحسنة.

ثمَّ إنَّ المتنصِّرين يثلبون تعليم فولوس، ويدعونهم إلى حفظ شرائع اليهوديّة في النصرانيّة. فاعتنى السعيد فولوس بأن يكتب إليهم هذه الرسالة، يأمرهم فيها بالتواضع والخضوع، وأن لا يقبلوا من هؤلاء ما يأمرونهم به من لزوم شرائع اليهوديّة. وخلط بذلك ما كان ينبغي أن يشير به عليهم. وكتب هذه الرسالة في الوقت الذي أراد نيرون قيصر أن يُعرَض عليه (يُقدَّم أمامه) بمدينة رومة. ثمَّ شرح السبب في كتابة فولوس رسالته إلى أهل فيليفوس.

٢- رسالة فولوس إلى الفيليفسايين

١: ١ من فولوس وطيماتاوس، عبدَي يسوع المسيح، إلى جميع الأطهار بيسوع المسيح الذين في فيليفوس، مع القسيسين (أو: الأساقفة) والشمامسة

* أثبتَ اسم طيماتاوس مع اسمه لمعرفتهم به.
* فيليفوس: أُمُّ مدن ماقيدونية.
* القسيسين: لأنَّ الكهنة أحرى بالتواضع.

١: ٢ النعمة معكم، والسلام من الله أبينا، ومن ربِّنا يسوع المسيح. أمّا بعد،

١: ٣ فإنّي شاكر لإلهي على ذكركم الدائم.

من عادة الرسول أن يفتتح رسائله بالشكر والثناء على الله. وأراد بتقريظه إيّاهم، ووصفه سرورَه بإيمانهم والدعاء لهم بالتمام، الدلالة على ما هم عليه من الفضيلة، ليزيدهم انبساطًا في الثبوت على الخير.

١: ٤ الذي في جميع رغباتي فيكم. وإذ أنا مسرور،

١: ٥ أتضرَّع في شركتكم في الإنجيل، من اليوم الأوَّل إلى الآن،

١: ٦ من أجل أنّي واثق بهذه، أنَّ ذلك الذي ابتدأ فيكم بالأعمال الصالحة، هو يستتمُّ إلى يوم ربِّنا يسوع المسيح.

١: ٧ لأنَّه هكذا يجب أن أروي (أظنّ، أرى) فيكم أجمعين، من أجل أنَّكم موضوعون (أو: مرتَّبون) في قلبي وفي وثاقاتي وفي احتجاجي عن حقّ الإنجيل، أنَّكم شركائي في النعمة.

* يقول: أنتم في قلبي، موثَقًا (في الوثائق) أو مطلقًا (= حرًّا) أو محتجًّا عن الديانة التي أدعو إليها.
* يعني بحقّ الإنجيل، الإيمان، لأنَّ الذين يؤمنون، يحقّقون البشارة لقبولهم إيّاها.

١: ٨ وذلك أنَّ الله يشهدُ لي أنا كيف

أنا محبٌّ لكم برحمة يسوع المسيح.

* يعني بقوله برحمة (ر ح م ت ا، في السريانيّة) المسيح، محبّة المسيح.

١: ٩ وإنّي لأصلّي بهذا أن يكثُرَ أيضًا، ويتفاضلَ حبُّكم، بالعمل وبكلّ فهم الروح.

* أي، يكثر حبُّكم لله أوّلاً، وبين بعضكم وبين بعض،

١: ١٠ لتكونوا تميّزون الأمور (أو: الأشياء) التي تصلح (أي: الموافِقة)، وتكونوا أنقياء غير ذي عثرة في يوم المسيح.

١: ١١ وممتلئين ثمار البرّ في يسوع المسيح لحمد الله ولكرامته.

١: ١٢ وإنّي أحبُّ أن تعلموا، يا إخوتي، أنَّ أمري خاصّة قد ازداد إقبالاً إلى قُرَّائِهِ في الإنجيل.

* يعلمهم الآن بما له، وما قاسى من الشدائد، وإنّه فرحٌ له ليتشبَّهوا به، وذلك أنّه لما دخل على نيرون أسيرًا، نفح (= دافع) عن نفسه فأطلقه. فأقام هناك سنتين يبشّر بلا مانع. وقد كان الناس يظنّون أنَّ نيرون، ساعة يراه، يأمر بقتله. فلمّا تخلّص، تعجّبوا. واجترأ المؤمنون عند ذلك على إعلان تعليم النصرانيّة. فأراد بقوله هذا، أنَّ البشرى تُقبِل إلى الأمام. وذلك أنّي احتججتُ عند الملك، فأفلحتُ ولم أُنكَب.

١: ١٣ هكذا حتّى إنَّ وثاقاتي (أصفادي) ظهرت في المسيح. في جميع البهو (أو: دار الملك) ولسائر كلّ أحد،

* البهو هو فرطورن، أي قصر الملك.

١: ١٤ وجُدَّ الإخوة الذين في ربِّنا، اتّكلوا على وثاقاتي، واجترأوا بزيارة، بلا خوف على التكلّم بكلمة اللّه،

* أي، كثير من المؤمنين صارت لهم دالّة بعلبتي (= بسببي) وأعلنوا الدعوة.

١: ١٥ وإنسان من الحسد والهوى، فأمّا إنسان إنسان، فبمشيئة صالحة

١: ١٧ وبحبّ يبشّرون بالمسيح، لأنَّهم يعلمون أنّي موضوع لحجّة الإنجيل،

* أي يعلمون أنَّ خدمتي إنّما هي التبشير بحقّ المسيح. فهم يدعون إلى المسيح، بحبّ للمسيح المخلّص.

١: ١٦ فأمّا أولئك الذين بالمراء يبشّرون بالمسيح، ليس بالنقاء، لكن لأنَّهم يظنّون أنَّهم يزيدون وثاقاتي شدّةً.

* أولئك، يعني المتنصّرين من اليهود، الآمرين (= القائلين) بحفظ الختان وسائر شرائع اليهوديّة بالحبّ. يقول: إنَّ هؤلاء لحسدهم إيّاي، على ما أُقَرِّظُ به، لما رأوا دالّتي في احتجاجي، يؤيدونني بأن يدعوا إلى الدين ليُغروا الرؤساء والولاة بي، فيختلطوا ويسيؤوا إليّ لأنَّ نجاتي جرّأت هؤلاء وغيرهم على التبشير بالنصرانيّة؛ فإنّما يفعلون ذلك للإضرار بي.

١: ١٨ وقد فرحتُ بهذه، وأنا أفرحُ أنَّ بكلّ حيلة، إن كانت بالعلّة وإن كان بالحقّ، فبالمسيح يُنادى.

* أنا فرحٌ، لعلمي بأنّي سوف أفرحُ في الآخرة، إذا نلتُ الأجر على ذلك إذا صلّيتم عليَّ، وأجزل المسيح نعمته عليَّ لدعائكم.

١: ١٩ لأنّي أعلم أنَّ هذه الأمور للحياة تُوجَد لي برغبتكم، وبموهبة روح يسوع المسيح.

١: ٢٠ كما أرجو وأؤمل (آمل) أنّي لستُ أخزى في شيء، بل بسفور الوجه، كما في كلّ حين، يتعظَّم الآن المسيحُ بجسدي، في الحياة كان ذلك، أم في الموت.

* يقول: وإن كثرت البلايا عليَّ حتّى أشرف على الموت، إلاَّ أنّي أرجو وأؤمل (آمل) أنَّ المسيح يسبَّح بسببي، عشتُ أم متُّ.

١: ٢١ لأنّ حياتي إنّما هي المسيح، وإن مُتُّ فذلك ربحٌ لي.

١: ٢٢ وإن كان أيضًا في هذه الحياة ذات الجسد، لي ثمارٌ في أعمالي، فلستُ أدري ماذا أختارُ لي (أو: لنفسي).

• يقول: فأنا حيران. لا أعلمُ ماذا أختار لنفسي.

١: ٢٣ لأنّ كلا الأمرين يضطرُّني. فأنا مشتهي للبين (أن أنصرف، أن أنفصل) كي أصيرَ مع المسيح. وهذا كان أصلح لي جدًّا.

• يقول: وقد استطعتُ الخروج من الدنيا بالوفاة، لأنّ ذلك يجعلني عند المسيح. ويعجبني البقاء كيما أقرب كثيرًا من الغرباء إلى الإيمان. وقوله "من أجلكم" عَمَّمَ به جميع المؤمنين.

١: ٢٤ إلاّ أنّ مكثي في الجسد أيضًا، قد يضطرُّني الأمرُ من أجلكم.

١: ٢٥ وأنا أعلمُ هذا واثقًا، أنّي سأبقى وأمكث لسروركم ولنشوء إيمانكم.

• قال هذا لئلاّ يُظنّ به أن ليس له علم صحيح بما هو فيه.

١: ٢٦ كيما إذا قدمتُ عليكم، أيضًا يتزايد بي (أو: فيّ) فخركم الذي بيسوع المسيح.

١: ٢٧ ولكن كما يليق ببشارة المسيح، كونوا تتدبّرون كي إن قدمتُ رأيتُكم، وإن كنت منتزحًا (أي: بعيدًا)، أسمعُ عنكم أنّكم قائمون بروح واحدة، وبنفس واحدة، وتُشرّفون معًا بإيمان الإنجيل.

• من ها هنا بدأ يعلّمهم أن يلزموا الإلفة والتواضع. ويوبّخهم أن لا يختالوا (أي يتوقوا) للرئاسة، أي، أطلب منكم ألاّ تخالفَ سيرتُكم إيمانَكم، بل تكونوا في الاتّفاق والمحبّة، ذوي نفس واحدة ونعمة واحدة.

• أي أنتم قادرون أن ينفع بعضكم بعضًا بإلفتكم، عندما يسطو عليكم من الكفّار.

١: ٢٨ ولا تقلقون بشيء من أولئك المقاومين لنا. برهان هلاكهم ولحياتكم أنتم. وهذه (الموهبة) إنّما أوتيتموها من الله.

١: ٢٩ حيث أنّكم ليس إنّما آمنتم بالمسيح إيمانًا فقط، بل قد تتألّمون أيضًا من أجله.

١: ٣٠ وتصبرون على الجهاد، كما رأيتم فيّ، وقد يبلغكم الآن عنّي.

٢: ١ فإن كان لكم الآن عزاء بالمسيح، وإن كانت تلبيةُ قلب بالحبّ، وإن كانت شركة الروح، وإن كانت رأفة ورحمة.

• يقول: إن كنتم تعنَون بعزائي عن شدائدي، وقد تُعنون بما أخبرتُكم من أمري، فافعلوا ما يُحدث لي عزاء كاملاً وفرحًا تامًّا.

٢: ٢ فأتمّوا سروري، ليكون لكم رأيٌ واحد، ومودّةٌ واحدة، ونفس واحدة ورؤية واحدة.

٢: ٣ ولا تفعلوا شيئًا بالمراء أو بالمدحة الباطلة. لكن بتواضع الرأي، يحسب (يعدّ) كلّ امرئ صاحبه كأنّه أفضل منه.

٢: ٤ ولا يهتمّنّ الإنسانُ بنفسه، لكن يهتمّ كلُّ واحد بصاحبه أيضًا.

• يقول: لا يكوننّ من همّك فقط أن كيف تنال، بل اعلم أنّك إن كنتَ يعجبك أن تصير رئيسًا، فغيرك يُعجبه أن لا يخضع لأحد.

٢: ٥ وهذه رأوا في أنفسكم، تلك التي رآها أيضًا يسوع المسيح.

٢: ٦ ذلك الذي، إذ هو في شبه الله، لم يعُدّ هذه خلسة أنّه عدل (= معادل) الله.

• إنّ من عادة الناس أن يختلسوا ما يظنّون أنّه ينفعهم. كقولنا إنّ فلانًا عدّ أمر كذا وكذا غنيمة، أي، باجتهاد جزيل قبلَها لعظيم منفعتها له. فيقول: إنّ المسيح لم يستعظم أنّه إله، خالق كلّ شيء، ولم يستكبر بجلالته، بل قبلَ أمورًا حقيرة دون عظمته لنفْع آخرين. وقد كان قادرًا

لأنَّه عدل (= معادل) الآب، أن يستعمل القهر للموت والشيطان. ويستنقذ خلْقَه من المُعاند. إلاَّ أنَّه، لمّا أراد أن يقضيَ دين آدم الذي هو أن يصير إلهًا، وليس من آخر أخذ ذلك خلسة واختطافًا. لذلك عطَّل ذاته من المجد، لأنَّه كان عارفًا بأنَّه إذا عطَّلَ نفسه، ليس أحدٌ يأخذ عظمتَه منه، لأنَّ عظمته جوهريّة، أصليّة، لا دخيلة، مستعارة. لأنَّ الخضوع بالمشورة، لا يضرُّ بالكرامة الطبيعةّ. كما أنَّ داود، عندما ظهر كأحد الفراغ من لباس العيد، لم يُهلك كرامته. وذلك أنَّ ابن الملك، إذا لبس لباس العبيد، لم يخَفْ أن تُسلَب كرامتُه.

٢: ٧ بل عطَّل نفسه، وأخذ شبه (أو: صورة) العبد، وصار في شبه البشر

* أي لم يُظهر جوهر لاهوته، بل لأنَّه أخذ جوهر العبيد، أي إنسانًا، أخفى جلالة ألوهيّته. وإنّما كان الناظرون إليه يظنّون أنَّه إنسان فقط.

* وصار، أي سكن في الإنسان.

٢: ٨ وفي الشكل أُلفيَ كالإنسان، وواضع نفسه، وأطاع حتّى الموت. فأمّا الموت فدو (= فموت) الصليب.

* ذكر الشكل قياسًا بجوهر ألوهيّته التي لا شكل لها. يقول: ذلك الذي لا يُرى، ولا في شكل ظهر، لأنَّه روح غير محدود. واضعَ نفسه، أي ذاته، زمانًا يسيرًا. وكما أمكن، ظهر في الإنسان الذي له شكلٌ، وعنى بذلك جوهر اللاهوت.

* يعني بقوله "أطاع" الإنسان المأخوذ. إلاَّ أنَّه قال القولين كأنَّهما على وجه واحد، ليدلَّ على الاتِّحاد الذي صار للجوهرين. وبتمييز الكلام الذي يدلُّ على هذا الجوهر حينًا، وعلى هذا الجوهر حينًا، دلَّ على أنَّ في المسيح طبيعتين: طبيعة لا شكل لها ولا تقبل الموت، وطبيعة ذات شكل قبلت الموت والبعث والرفعة.

٢: ٩ من أجل هذا، أكثر الله أيضًا رفعته، وأعطاه اسمًا أفضل من كلِّ اسم.

٢: ١٠ إنَّ باسم يسوع تجثو كلُّ ركبة في السماء وفي الأرض وتحت الأرض.

* يعني بقوله "في السماء" أي السماويّين، وهم الملائكة و"في الأرض"، الأرضيّين. الناس الذين تدركهم القيامة أحياء على الأرض. و"الذين تحت الأرض"، الموتى المبعوثين. لأنَّهم، إذا بعثهم، أقرّوا بربوبيَّته أيضًا.

٢: ١١ وكلُّ لسان يعترف بأنَّه ربّ هو يسوع المسيح تسبيحًا لله أبيه.

* عاد الآن إلى الموعظة.

٤- الرسالة إلى فيلبّي

في شروح تفاسير ديونيسيوس برصليبي

نشرت مجموعة الكتّاب الشرقيّين، في لوفان، شرح الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل العامّة وسفر الرؤيا، دوّنها ديونيسيوس برصليبي، مطران آمد (ديار البكر) المتوفّى سنة ١١٧١. ولكن لم تُنشَر إلى الآن شروح بولس الرسول. لهذا اخترنا النصّ من مخطوط تكرّم علينا به الأب روجيه أخرس، من الكنيسة السريانيّة في معرّة دمشق. كتبه أوّلاً أفرام مدياي (ܐܦܪܝܡ ܡܕܝܝܐ)، وانتهى من كتابته في ٧ آب سنة ١٨٦٩، في أيّام البطريرك إغناطيوس يعقوب الثالث، ومار إيوانيس أسقف طور عبدين. وجاءت النسخة من نسخة قديمة كتبها يوحنّا برملكا قرمز الذي من مزياح القرية الواقعة في طور عبدين، إلى الشرق من مديد وإلى الغرب من قرتمين أو دير مار غبريال. "كُتب هذا الكتاب من أجل مار ميليطيوس برنابا مطران حمص وحماة".

العنوان: شرح الرسالة إلى الفيلبّيّين، الدافع إلى (كتابة) الرسالة إلى أهل فيلبّي. هؤلاء كانوا في مقاطعة مقدونيا. ومدينتهم كولونيا. وبسبب إيمانهم الحقيقيّ أحبّهم بولس ولا سيّما من أجل فضيلتهم.

وفي مدينتهم عُذِّب بولس وسيلا. وفيها كانت امرأةٌ بائعة أرجوان، آمنت (أع ١٦: ١٤-١٥). وفيها أيضًا توسّل رؤساء الجند إلى بولس وسيلا ليُقيمَا (عندهم). وكثيرون من الفيلبّيّين تألّموا من أجل المسيح. لهذا أحبّهم بولس. هذا ما نعرفه من الرسالة.

١: ١ بولس وتيموتاوس عبدَا يسوع. سمّى نفسه "عبدًا"، لا رسولاً، مع أنّه كان موقّرًا لديهم أكثر من الإخوة. وحين أراد أن يعلّم ويضع ناموسًا"، دعا نفسه رسولاً. هنا دعاه "عبدًا" لأنّهم كانوا ملوكًا وفضلاء.

إلى كلّ القدّيسين، الذين في يسوع المسيح، الذين في فيلبّي. دعاهم "قدّيسين" لأنّ اليهود دعوا نفوسهم "قدّيسين" بسبب العطايا الأولى، إلاّ أنّهم لم يكونوا قدّيسين في المسيح.

مع القسس والشمامسة، أي دعا الأساقفةَ "قُسسًا". كانوا يدعون بهذه الكنية في ذلك الزمان، أساقفة وقسسًا. ودعا "شمامسة" كلّ الإكليروس، وبما أنّهم كانوا يحبُّونه، قرّب إليهم ثمرة، أبفروديتس، الذي كان منهم.

١: ٣ أشكر الله على ذكركم (لي)، أي أشكر الله على الفرح الذي كان له حين ذكرَ فضيلتهم.

متضرّعًا على مشاركتكم، أي أصلّي وأنا فرحٌ، لا وأنا مضايَق. فهناك أيضًا صلاة الكآبة. وأيضًا أشهدَ عليهم أنّهم شاركوه، كما سائر الرسل، بكرازة الإنجيل وفي المتاعب، لا في وقت واحد فقط، بل في جميع الأوقات.

١: ٦ فالذي بدأ فيكم الأعمال الصالحة. الله بدأ، فلكم الإصلاحات الإلهيَّة لا البشريَّة، بمساعدة الله الذي يُتمُّ فيكم.

١: ٧ لأنّكم موضوعون في قلبي. بيّن

لهم حبّه الكبير؛ ومع أنّه سجين، فهم موضوعون في قلبه، من أجل كرازة الإنجيل وبسبب فضيلتهم.

وفي قيودي وفي دفاعي عن حقّ (الإنجيل). هي قيود حقيقة الإنجيل وفيها يفرح أن يتألّم من أجل الله، لا في الضلال، والله هو من يجازي الأعمال. **أنتم مشاركون في النعمة؛** دعا نعمةً القيود والعذابات والاضطهادات، بحسب الكلمة: "تكفيك نعمتي".

١: ٨ يشهد الله لي كم أحبّ. يدعو الله ليشهد على حبّه من أجلهم، ليس كما أنّهم لا يعتقدون أنّه **أحبّكم** لا برحمة حسب الطبيعة (البشريّة)، بل تلك الرحمة الحميمة، برحمة المسيح.

١: ٩ أيضًا تكثر فيكم وتتفاعل في المعرفة، أي يكثر حبُّكم ولا يكون عاديًّا، بل في المعرفة، أي في الحكم وفي الإدراك، لا بكلام لا تمييز فيه تجاه كلّ إنسان.

١: ١٠ لكي تكونوا مميّزين المناسبين، أي المتلألئين، لئلاّ يفسدكم تعليم الهراطقة. هكذا تكونون أنقياء بلا تعثُّر.

١: ١١ قال: تكونون أنقياء في يوم المسيح أو ممتلئين ثمارًا صالحة، فلا تشكّكون إنسانًا، لا في التعليم ولا في السلوك. **ومملوءين ثمار البرّ التي في يسوع.** دعا الصدقة ثمار البرّ، لكي يتمجّد الله أيضًا بهذه.

١: ١٢ أريد أن تعرفوا، أيُّها الإخوة، أن عملي. أراد أن يعرّفهم أنّ الكرازة لم تكن باطلة، لأنّه سجين، بل الأحرى أتت إلى أمامهم وكأنّهم أحبّاء الله، فدفعهم نحو جهادات الفضيلة.

١: ١٣ تجلّت بالمسيح في دار الولاية. دعا الدار مملكة نيرون في المدينة.

١: ١٤ حيث كثرةُ الإخوة الذين في ربّنا، أي الإخوة الكثيرون الذين رأوا قيودي، تشجّعوا بالكرازة، وبالأحرى كنتُ مشجّعًا للآخرين. **فأقدموا بالأحرى بلا خوف.** قال: وبالأحرى تجرّأوا، لأنّ كثيرين شرعوا يكرزون بعد أن اتّكلوا على قيودي.

١: ١٥ وأناس (كرزوا) عن حسد وخصام، أي أناس كثيرون لا يؤمنون، كرزوا بالمسيح لكي يحتدّ الملك حين تنمو الكرازة، فيفرّغ غضبه كلّه على بولس، وذلك لأنّهم حسدوه في تمجُّده ووقوفه (ثابتًا).

١: ١٧ أناس بإرادة صالحة، أي ببشاشة بعيدًا عن الممالقة. **لأنّي وُضعت للدفاع عن الإنجيل،** أي آخذُ التبعات من أجل الإنجيل الذي أكرز به. سواء آمن الكثيرون أو القليلون، فلي الأجر أو العذاب.

١: ١٦ فهؤلاء في خصام يكرزون بالمسيح، لا بنقاوة (قلب)، بل يظنُّون أنّهم يزيدون قيودي (قيودًا). وهكذا يغتاظ الملك وتبطل الكرازة، وتكثر القيودُ عليّ.

١: ١٨ بهذا فرحتُ وأفرح، لا في لحظة فقط، بل في كلّ وقت أفرح من أجلكم.

١: ١٩ لأنّ هذا يؤول إلى الخلاص. إن **كان بعلّة أو بحقّ** (آ١٨). سواء كرز الضالُّون بالحقيقة أو الضلال، يبقى أن اسم المسيح يُكرَز به في العالم. بطلبتكم وبموهبة الروح. فإن كنتُ أهلاً لصلواتكم، صرتُ أهلاً لموهبة الروح. وأنجو من الخطر الذي أنا فيه.

١: ٢٠ كما أظنُّ وأنتظر، أي أنا متعلّق بالرجاء الذي هو علّة الخيرات، والمضلُّون لا يقدرون عليّ، لأنّ رجائي في الله لا يخيب، والآن أيضًا **يتعظَّم المسيحُ في جسدي.** في كلّ وقت. في أخطار الموت سقطتُ. والآن يطلب المضلُّون أن يقتلوني فتبطل الكرازة. هم الذين يُخزَون. **إن بالحياة وإن بالموت.**

١: ٢١ **الحياة لي هي المسيح** . وإذا أموت، المسيح يحيا فيَّ، وإن متُّ جسديًا فأنا حيّ. لأنَّ في المسيح الحياة الحقَّة.

١: ٢٢ **سواء في حياة بشريَّة لي ثمار بأعمالي**. لي حياة الجسد، ولي حياة الدهر. قال: الحياة التي في الخطيئة ليست حياة. قال: الحياة التي في الطبيعة الجسديَّة تحمل ثمار الأعمال الصالحة والحسنة. **ماذا أختارُ لي؟** حين قال "اختار" أنَّ الربَّ هو (من يختار). سواء نحيا أو نموت، أختار الربّ الذي يريدنا عبدًا له.

١: ٢٣ **أشتهي أن أنتقل لأكون مع المسيح**. الآن صنع لهم أهمِّيَّة موته، حين ينحلُّ ويكون مع المسيح. يتحمَّلون بعزيمة ولا يتضايقون.

١: ٢٤ **ولكن إن أبقى في جسدي ملزمٌ** من أجل نموِّ الكرازة، ومن أجل تعزيتكم، أنا متضايق لكي أبقى في الحياة.

١: ٢٥ **لأمكثَ وأبقى**. بيَّن الآن أنَّه من أجلهم أراد البقاء، لا لأنَّه يشتهي الحياة الجسديَّة، ولا العاديَّة، بل أبقى معكم لأراكم. فانظروا. لا تخجلوا لبقائي وأنا أودعكم المسيح. **لفرحكم ولتقدُّمكم**. قال: تقدُّمكم. لا تتوقَّفوا عن التدرُّج في الإيمان، لكي يأتي الآخرون بأيديكم إلى تقدُّم الإيمان، فتكونوا أنتم وهم ثابتين.

١: ٢٦ **حين أجيء إليكم يزداد بي**، أي حين أتى تفتخرون ويفرح قلبكم بمجيئي، ساعة هؤلاء المضلُّون يُذَلُّون، أنتم تتثبَّتون في الإيمان.

١: ٢٧ **لكي تكونوا سالكين كما يليق بالإنجيل**. هذا ما يُطلَب، ولا شيء آخر. **إذا كنتُ بعيدًا**. سواء كنتُ بعيدًا أم قريبًا، أسمع أنَّكم **قائمون بروح واحد وبنفس واحدة**. إذ أسمع أبتهج أنَّكم في الوفاق والبشاشة، بحيث لا يقلقكم شيء.

١: ٢٨ **لتبيان هلاكهم**. أي لهم الهلاك، ولكم الخلاص.

١: ٢٩ **وهذا وُهب لكم من الله**. كلُّ شيء يعود إلى الله. فيحسب الكرامة والمنحة، لأنَّنا نتألَّم من أجل المسيح، بحيث لا يأتي الخجل إلى أحد.

١: ٣٠ وتحتملون **الجهاد كما رأيتم**. هم قاموا بالجهاد، ذاك الذي رأيتموه فيَّ. فأنا أحمل إليكم الفرح. فقاتلوا كما رأيتم فيَّ وسمعتم. هو يحثُّ الجميع على الجهاد ويحضُّهم على القتال.

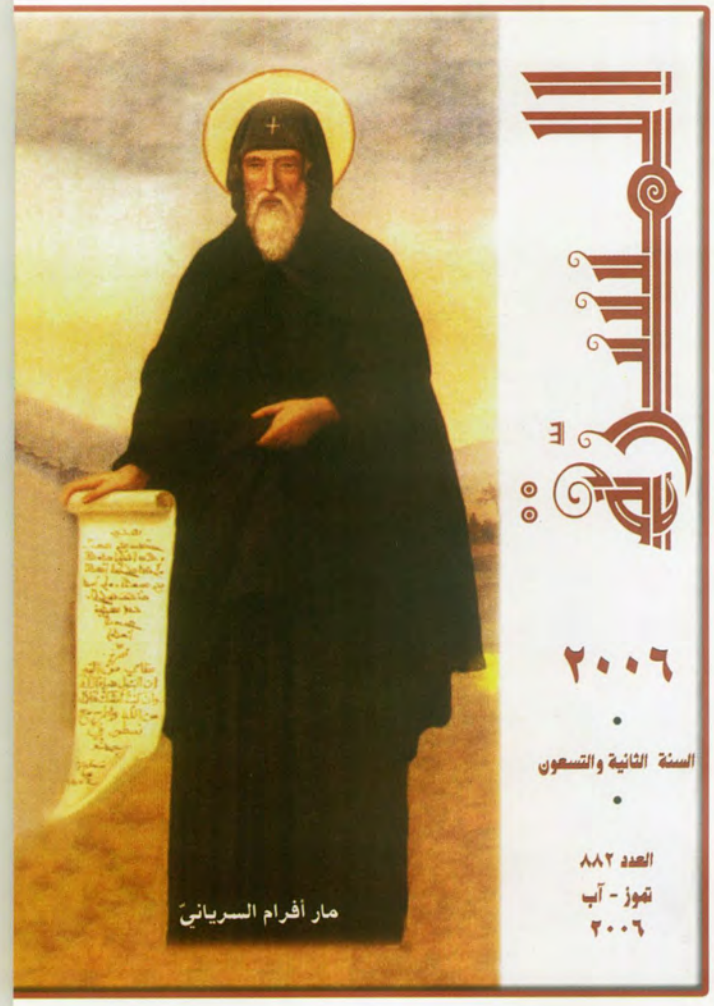
مار أفرام السريانيّ
٢٠٠٦
السنة الثانية والتسعون
العدد ٨٨٢
تموز - آب
٢٠٠٦

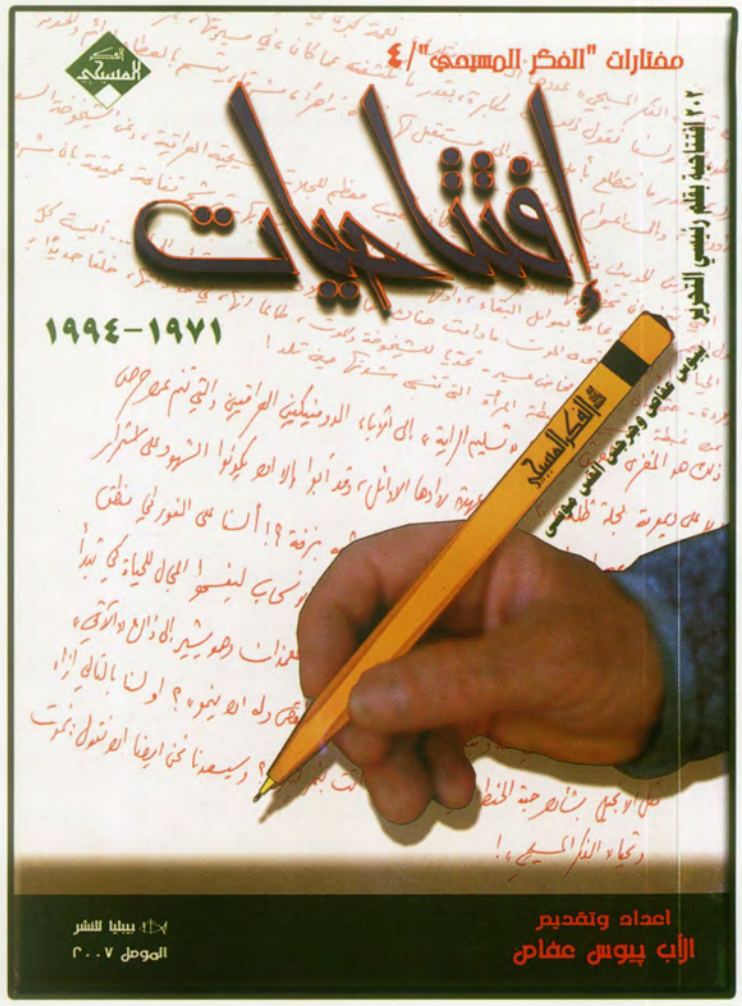
مختارات "الفكر المسيحي" /٤
٢٠٢ افتتاحية بقلم رئيسي التحرير
إفتتاحيات
١٩٧١-١٩٩٤
الفكر المسيحي
اعداد وتقديم
الأب بيوس عفاص
بيبليا للنشر
الموصل ٢٠٠٧

الفكر المسيحي
السنة الثالثة والأربعون
العدد ٤٢٥ - ٤٢٦
أيار - حزيران ٢٠٠٧
لا يمكن للمسيحي أن يذهب بعيدًا للقاء مؤمنين آخرين،
إن لم يكن متأصلًا في إيمانه العريق.
الأب ميشيل فيدو اليسوعي

أبو الفرج عبد اللّه بن الطيّب [1]

تفسير رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي

تحقيق الأب د. أيوب شهوان
أستاذ مادة الكتاب المقدّس في جامعة الروح القدس – الكسليك

١ – مقدمات عامة

١/أ – نشر تفاسير ابن الطيب البيبلية

بعد أن نشرنا تفاسير ابن الطيب لرسائل القديس بولس التالية: الأولى إلى الكورنثيين[٢]، والرومانيين[٣]، والغلاطيين[٤]، والثانية إلى الكورنثيين[٥]، والأفسسيين[٦]، والكولسيين[٧]، والأولى إلى التسالونيكيين[٨]، والثانية إلى التسالونيكيين[٩]، كما أيضًا تفسيره لأسفار يشوع بن نون[١٠]، والقضاة[١١]، وأشعيا ١–١٢[١٢]، وأشعيا ١٣–٣٩[١٣]، وأشعيا ٤٠–٥٥[١٤]، ننشر على صفحات هذا الإصدار من مجلة بيبليا، الرسالة إلى أهل فيلبي.

١/ب – ملاحظات منهجية

- الحرف "V" يشير إلى المخطوط الذي اعتمدنا في نشر نص ابن الطيب، وهو الحرف الأول من كلمة "فاتيكان" (Vatican) حيث يُحفَظ المخطوط.
- أدرجنا أرقام صفحات المخطوط في سياق النص.
- أدخلنا الترقيم على النص، تسهيلاً للقارئ والمفسِّر على حدٍّ سواء.
- أدخلنا على النص التشكيل (الحركات)، والفواصل، والنقاط...
- أضفنا عناوين على مقاطع النصّ بهدف إبراز الموضوعات الرئيسية في النصّ البيبلي وفي تفسيره.

---

(١) أنظر نبذةً عنه في **مجلة بيبليا**، ٢ (١٩٩٩) ٣٨–٣٩.
(٢) "تفسير ابن الطيّب لرسالة بولس الأولى إلى الكورنثيين"، **مجلة بيبليا**، ٣ (١٩٩٩) ٤٥–٥٥.
(٣) "ابن الطيّب، الرسالة إلى الرومانيين"، **مجلة بيبليا**، ٦ (٢٠٠٠) ٥٧–٦٢؛ ٧ (٢٠٠٠) ٦٥–٦٩.
(٤) "تفسير الرسالة إلى الغلاطيين، أبو الفرج عبدالله ابن الطيّب، **فردوس النصرانية**"، **مجلة بيبليا**، ١٤ (٢٠٠٢) ٤٩–٥٤.
(٥) "تفسير ابن الطيّب، الرسالة الثانية إلى الكورنثيين"، **مجلة بيبليا**، ١٨ (٢٠٠٣) ٥٣–٦٠.
(٦) "تفسير ابن الطيّب للرسالة إلى الأفسسيين"، **مجلة بيبليا**، ٢٢ (٢٠٠٤) ٥٥–٦٠.
(٧) "تفسير ابن الطيّب لرسالة القديس بولس إلى الكولسيين"، **مجلة بيبليا**، ٢٣ (٢٠٠٤) ٦١–٦٤.
(٨) "تفسير ابن الطيّب لرسالة القديس بولس الأولى إلى التسالونيكيين"، **مجلة بيبليا**، ٢٩ (٢٠٠٦) ٦٦–٦٨.
(٩) "تفسير ابن الطيّب لرسالة القديس بولس الثانية إلى التسالونيكيين"، **مجلة بيبليا**، ٣٠ (٢٠٠٦) ٧٤–٧٦.
(١٠) "تفسير ابن الطيّب لسفر يشوع بن نون"، **مجلة بيبليا**، ٢ (١٩٩٩) ٣٧–٥٠.
(١١) "سفر القضاة، تفسير ابن الطيّب"، **مجلة بيبليا**، ٢٠ (٢٠٠٣) ٤٩–٦٠.
(١٢) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير أش ١–١٢"، **مجلة بيبليا**، ٢٦ (٢٠٠٥) ٦٦–٧٦.
(١٣) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير أش ١٣–٣٩"، **مجلة بيبليا**، ٢٨ (٢٠٠٥) ٧٧–٨٨.
(١٤) "أبو الفرج عبدالله بن الطيّب، تفسير أش ٤٠–٥٥"، **مجلة بيبليا**، ٣٢ (٢٠٠٦) ٦٧–٧٤.

- أدخلنا المراجع المتعلّقة بالنص البيبلي في سياق النص.

١/ج – تفسير ابن الطيب

- لا يفسر ابن الطيب كل الآيات، بل ينتقي ما يراه مناسبًا لإعطاء عبرة للقارىء.
- لا يفسر ابنُ الطيّب وفق منهجيات علمية محدّدة، بل وفق الحاجة الروحية أو الخُلُقيّة.

٢ – نصّ المخطوط[١٥]

V332a الرسالةُ إلى أهلِ فيليبسيوس[١٦]

الإصحاحُ السادسُ والثلاثون

أهل فيليبي

١ والفيليفيسائيّون[١٧] كانوا قومًا
حُفَصاءَ في تدبيرِهم، ويُحبّونَ
السلِّيحَ، ويقومونَ بأمرِه، فَعَرَض
بينَ الفُضَلاءِ منهم مِرًى في
الرئاسةِ، V332b كما يَعرِضُ للناسِ
مِنْ ضَعْفِ طِباعِهم.

صراع متواصل مع اليهود (١: ١٧؛ ٣: ٩)

٢ وَطَرَقَ المَوضِعَ قومٌ مِنَ اليهودِ
مِمَّنْ كانَ يَسِبُّ بولسَ،
ويَستَخِفُّون عَمَلَهُ (رج ١: ١٧).
٣ وكانوا يقولونَ: "معَ الإيمانِ
بالمسيحِ نَحفَظُ الناموسَ" (رج ٣:
٩). فكَتَبَ هذهِ الرسالةَ إليهِم مِنْ
رُومْيَةَ.

تحيّة (١: ١)

٤ وفيليفوسُ (ܦܝܠܝܦܘܣ، ١: ١) كانَ
رئيسَ ماقيدونيةَ[١٨].
٥ وفي اليوناني كانَ يُسمَّى الأُسقُفُ
(رج ١: ١) "قَسًّا"[١٩]؛ والدلالةُ على
أنَّ ذِكْرَهُ "القِسَّانَ" (ܩܫܝܫܐ، ١: ١) في
هذهِ الرسالةِ أرادَ بهِم القِسّانَ لا
الأساقفةَ، ذِكرُهُم بالكثرةِ،
والأسقفُ واحدٌ.
٦ وقرَنَ اسمَ طِيماتاوسَ (ܛܝܡܬܐܘܣ)
إلى اسمِه (١: ١)، لأنّه دُفعةً أنفَذَهُ
إليهم معَ أَرِسْطُوسَ (ܐܪܣܛܘܣ) (رج
أع ١٩: ٢١-٢٢)، وكانوا يَعرِفُونَه.

رجاء في الشدّة (١: ٢٠)

٧ مَسْكِنُ المَلِكِ، الآنَ "تَعظَّمَ
المسيحُ بجسمي" (١: ٢٠)، يريدُ:
معَ الشدائدِ التي تَطرأُ عليَّ، وقَطْعي
الرجاءَ مِنْ هذهِ الحياةِ، فأنا مُتَوكِّلٌ
أنَّ المسيحَ تَعْظُمُ بِشارتُهُ بي، حيًّا
كنتُ أو ميتًا.

الإصحاحُ السادسُ والثلاثون[٢٠]

وأخلى ذاته (٢: ٧-١٠)

٨ قَولُهُ: "فَكِّروا في نفوسِكُم" (٢: ٥)
وما بَعْدَهُ، يَقولُ: إنَّ المسيحَ لَم
يَختَطِفِ الأُلوهَةَ[٢١] اختطافًا (رج
٢: ٦)، لكنَّها بالجوهرِ لهُ. ومعَ هذا
الشَرَفِ قَبِلَ الذلالةَ (رج ٢: ٨)
بسببِ منفعةٍ أُخرى.
٩ وقَولُه: "أَبْطَلَ نَفْسَه وأَخَذَ شِبْهَ عبدٍ"
(٢: ٧)، أي أَظْهَرَ خُلُوَّهُ مِنَ
الأُلوهةَ[٢٢]، و"أَخْفَى مَجْدَهُ" (رج ٢:
٥) حتّى يَتَحقَّقَ أنَّهُ إنسانٌ (رج ٢:
٧).
١٠ و"صارَ شِبْهَ إنسانٍ" (٢: ٧)، أي
اتَّخَذَ V333a إنسانًا وظَهَر فيه؛
وشِبْهُ الإنسانِ إنسانٌ (رج ٢: ٧)،
وهذا إشارةٌ إلى قُنُومِ الناسُوتِ
الذي هو في الجِبْلَةِ عبدٌ (رج ٢: ٧)،
وفي الشَكلِ بشكلِ الإنسانِ؛

(١٥) ورد وصفٌ للمخطوط في **مجلة بيبليا**، ١٤ (٢٠٠٢) ٤٩.
(١٦) V: والفيليفيسائِيّينَ. طريقة الكتابة متأثرة بالصيغة السريانيّة ܦܝܠܝܦܣܝܐ، "فيليفيسُيا".
(١٧) كتابة متأثِّرة بالصيغة السريانية: ܦܝܠܝܦܣܝܐ.
(١٨) كتابة متأثِّرة بالسريانية: ܡܩܕܘܢܝܐ؛ رج أع ١٩: ٢١.
(١٩) من السريانيّة ܩܫܝܫܐ، "قَشِيشُا".
(٢٠) V: وثلثون.
(٢١) V: الاهة.
(٢٢) V: الاهة.

فإذلالُهُ لنفسِهِ مِقْدارَ ما رَأى كأنَّه إنسانٌ (رج ٢: ٧). وما أحسنَ ما قالَ، "أَخَذَ" (مص، ٢: ٧)، ولمْ يَقُلْ "صارَ"، لأنَّ الأُلُوهَةَ ما تَغَيَّرَتْ.

١١ والشيءُ يُشبِهُ الشيءَ للشيءِ في كرامته؛ وقد يُشبِهُ خيالاً كالأشياءِ التي تُظهرُها الشياطينُ، فترى شِبْهَ الشيءِ كما في المرآةِ، وكالأشياءِ التي تَكونُ في عُقُولِ الصنّاع.

١٢ ولمّا خَبَّرَنا عَنْ قُنُومِ الأُلُوهةِ، وأنَّهُ أَخْفَى بهاءَه ونُورَهُ بسببِنا، ولبِسَ إنسانًا[٢٣] منّا (٢: ٧) لمنفعتِنا، أخَذَ أن يُخبرَ عن قُنُومِ الناسُوتِ، فقالَ: و"أَذَلَّ نفسَهُ، وانطاعَ إلى الموتِ" (٢: ٨)، وأخرجَ الكلامَ الأوّلَ والثاني كأنَّهُ على واحدٍ، لأَجْلِ الاتّحادِ الذي به صارَ الإلهُ والإنسانُ مَسيحًا؛ فالعالياتُ صفاتُ أُلُوهَتِهِ[٢٤]، والمُنحطّاتُ صِفاتُ ناسوتِه.

١٣ وإظهارُهُ للخلافِ بقَولِهِ: شِبْهُ اللهِ "شِبْهَ العبدِ أَخَذَ" (٢: ٧)، وها هنا آخِذٌ ومأخوذٌ، ولهذا دلَّ على إخلافِ الأقانيمِ والجوهرِ.

١٤ و"أخلَى نفسَه عنْ مجدِهِ" (رج ٢: ٧)، لا لأنَّه أَبطَلَهُ، لكنْ أَخْفاهُ لِعِلْمِهِ بأنَّهُ لا يَقدِرُ أَحَدٌ على ابتزازِهِ منه.

١٥ وقولُهُ: "باسْمِ يسوعَ كُلُّ ركبةٍ تَسجُدُ" (٢: ١٠)، يُريدُ: V333b في القيامةِ يُقِرُّ لهُ السَماويّون[٢٥] والأرضيّونَ.

السعي إلى المسيح (٣: ١٢)

١٦ ويَقولُ: إذا كانَ إيثارُكُم حُسنَ المعاونَةِ لي (رج ٤: ١٦)، فاللهُ يُعينُكُم لِتَفعَلوا ما يُوافِقُ رِضاهُ.

١٧ ولأنَّه فيما تَقَدَّمَ خَبَّرَ بأنَّ المسيحَ ظَهَرَ له، ما يَعلَمُ أنَّه لَمْ يَبْلُغْ بُعدُ الكَمالَ، لكِن يَرجو[٢٦] بلُوغَ الكَمالِ (رج ٣: ١٢).

الإصحاحُ السابعُ والثلاثون[٢٧]

حثّ على الفضائل (٣: ١٢)

١٨ وَقولُهُ: "إنَّني أُسارِعُ إلى فِعْلِ ما يَنبَغي" (٣: ١٢؛ رج آ ١٤)، حَثَّهُم على المُسارعةِ إلى عَمَلِ الفضائلِ والمسارعَةِ نحو المحبَّةِ.

همّهم ذواتهم (٣: ١٩)

١٩ يُشيرُ بـ"الّذينَ إلهُهُم بُطونُهُم" (٣: ١٩) إلى اليَهودِ؛ فشغلُهُم في تَمتينِ المآكِلِ؛ فَهُم أبدًا مُتَشاغِلون[٢٨] بِبُطونِهِم كأنَّها آلهة، ويَظنُّونَ أنَّ عِبادةَ اللهِ بِهَذا تَتِمُّ، أعني أنْ يَقُولوا: "إنَّه يَأكُلُ كذا ولا يَأكُلُ كذا" (رج روم ١٤: ٢-٣، ٦، ١٤-١٥)، ولا يَعلَمونَ أنَّ الغذاءَ يَؤولُ إلى الزِبْلِ، وبالجُملَةِ، تَشاغُلُهُم بالختانةِ (رج ٣: ٢-٤) وتَمتِينِ المآكِلِ، وكِلاهُما يُؤَدِّيانِ إلى ما يَعافُ الحاسَّةَ الالْتِفَاتُ عليه.

٢٠ وقَولُهُ: "أولَئِكَ الذينَ فِكْرُهُم في الأرضِ" (٣: ١٩)، يريدُ: في حِفْظِ ناموس[٢٩] الجسد.

مشاركة في المجد (٣: ٢١)

٢١ وقولُه: "بَدَلَ جِسمِهِ المُمَجَّد" (٣: ٢١)، يُريدُ: إنّا وإنْ كُنّا لا نَبلُغُ إلى مُماثلةٍ مُمجَّدةٍ، فإنّا نُشارِكُهُ، في اليوناني كالقيامةِ.

نضال في الإنجيل (٤: ٢-٣)

٢٢ وإِوُهُديا وسونطاخي[٣٠] (٤: ٢)، كانَ المِرَى بسببِ الرئاسةِ، فكانتا

---

(٢٣) V: إنسان.
(٢٤) V: الهته.
(٢٥) V: السماويّين.
(٢٦) V: يرجوا.
(٢٧) V: وثلثون.
(٢٨) V: متشاغلين.
(٢٩) V: الناموس.
(٣٠) كتابة متأثّرة بالسريانية: ܐܘܕܝܐ، ܣܘܢܛܟܐ.

فاضلتَين قديستَين[٣١]، فسـأل V334a أن تَتَوادًا.

٢٣ و"الرفيقُ" (٤: ٣)، قومٌ قالوا: إشارةٌ إلى إنسانٍ كان بينَه وبينَه مَحبّةٌ.

٢٤ وقالوا: "يُرينا الذي اختارَهُ الروحُ ليكونَ مَعَه في الدعوةِ"، ولأنَّه كانَ في ماقيدونيا كَتَبَ إليهِ بسببهِم، ولإقليمِيسَ (ܡܟܣܡܣ، ٤: ٣) فضائلُ كثيرةٌ.

٢٥ وكانَ بطرسُ زمانًا طويلاً، وكان يُناظِرُ سيمونَ. وصَارَ بعدَ لِينوس، الـذي كـانَ عَـقيبَ الصفـا أُسقُفًـا بروميَةَ، إقليمِيسُ (ܡܟܣܡܣ، ٤: ٣).

تجرّد بولس (٤: ١٥)

٢٦ ومَعنـى قـولِـهِ: "لَـم يَـكُـنْ إنسانٌ يُـشـاركُـنـي فـي حِـسـابِ الأَخْـذِ والعَطاءِ" (٤: ١٥)، أيْ أنتُم كُنتُم تُعطُونَ وأنا آخُذُ.

نقل الرسالة (٤: ١٨)

٢٧ وبيَدِهِ الرِسالةَ أرسلَها من رومية (ܪܗܘܡܝ) بيـدي[٣٢] أبفـروديطـوس (ܐܦܦܪܘܕܝܛܘܣ، رج ٢: ٢٥؛ ٤: ١٨).

تَمَّتِ الرسالةُ.

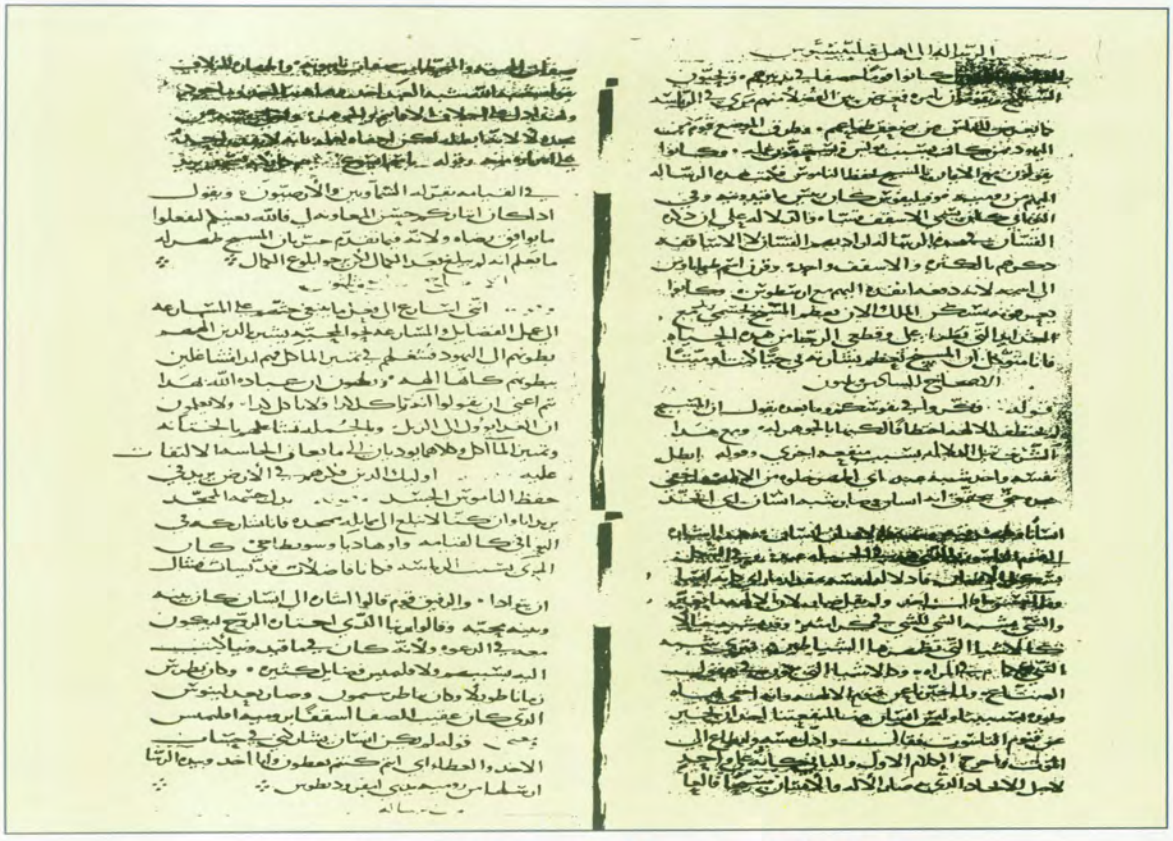

المخطوط الڤاتيكاني العربي، الرقم ٣٧، سنة ١٢٩١، ص ٣٣٢أ – ٣٣٤أ
تفسير ابن الطيّب للرسالة إلى أهل فيلبّي

(٣١)V:فكانا فاضلات قديسات.

(٣٢)V: يدي.